

2272.687.343.1949
Muhammad Kurd 'Alī
Ghūtāt Dimashq

DATE	ISSUED TO
AUG 18 '65	BINDERY

[illegible]

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>



32101 017406743

1848-1849

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

غُوطَةُ دِمَشْقَ



تَأَلَّفَ

مُحَمَّدُ كَرْدُ عَلِيٍّ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

١٣٦٨ هـ طبع في مطبعة النور في دمشق قمرية ١٩٤٩ م

Muhammad Kurd 'Alī

A. Z. Abushady

عبدی ابراهیم

مَطْبُوعَاتُ المَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشَقْ

Ghūṭat Dimashq

غُوطَاتُ دِمَشَقْ



تأليف

محمد كرد علي

حقوق الطبع محفوظة للمجمع العلمي العربي

١٣٦٨ مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الغوطة

ليس من السهل التوسع في الكلام على زراعة الغوطة وطبيعتها وتاريخها لأن القدماء قلما كانت يعينهم ما يعيننا اليوم من أمر البلدان ، ولذلك لم يؤثر عنهم غير جمل قليلة لا توفي الغرض كله ، وما وصلنا من المصادر أكثر مما ورد في الثبت الذي اوردناه بعد هذا .
صورنا الغوطة بما وقفنا عليه من النصوص تصويراً مقارباً ، ونحن على يقين ان وراء ما رسمنا اشياء كثيرة ، لو قيض لنا الظفر بها لانتظمت بها السلسلة المفقودة واتصل السند الضائع .

ولولا ان جمع ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ما تيسر له جمعه بالعرض من اخبار القرن السادس وما قبله من القرون ، واقتبس جانباً مما دونه ابن المهنا الداراني في تاريخ داريا ، وابن أبي العجائز في تسمية من كان بدمشق وغطتها من بني أمية ، ومما دون السميساطي في كتاب الديرة ، ولولا ان جاء ياقوت في القرن

السابع وعرض في معجم البلدان لاكثر قرى الغوطة ومن خرج منها من المحدثين ، ولولا عناية شيخ الربوة في كتاب عجائب البر والبحر وتفرد به باشيء في الكلام عن الغوطة ، ولولا رسائل ابن عبد الهادي في بعض خطط دمشق في القرن التاسع ، ولولا مادونه ابن طولون الصالحى من اسماء قرى دمشق في القرن العاشر ، ولولا معلومات وردت بالعرض لمؤرخين دمشقيين على الاكثر كابن القلانسي والقرماني والظاهري وابي شامة والذهبي وابن خلكان وابن فضل الله العمري والصفدي وابن العماد ، لولا هؤلاء المؤلفين ما استطعنا ان نجري في هذا الطريق اللاحب شوطاً ، ولا ان نوفي من شروط التأليف شرطاً .

قد يقول بعضهم ان الضياع في العالم كثيرة ، وهل الغوطة الا مجموعة ضياع فما الذي ميزها عن غيرها حتى استحققت ان تفرد بالتأليف ؟ ثم يزعم لها هذا الجمال ، والجمال قد يكون في الصحارى والبادي ، فالجواب ان الغوطة امتازت بخصائص كثيرة تفرقت في البقاع على ما تلسه وتحسه فيما ستقرأه في هذه الباكورة . ولقد اغتبطنا بما عثرنا عليه من شعر تجلى لنا به بعض غوامض

موضوعنا ، وهذا الشعر في الواقع جزء من ادبنا القومي يجب
ان نتدارسه ولا ننساه .

وعلى كثرة ما حرصنا عليه من الاحتكاك ببناء الغوطة للوقوف
على ما سكنت عنه الدفاتر مما له علاقة بحاضرها وغابرها بقيت
أمور ربما اهتدى اليها الباحثون بعدنا والله الهادي .

محمد كرد علي

١٧ شوال ١٣٦٨

جسر ين (غوطة دمشق)

و ١١ آب ١٩٤٩

مصادر الكتاب

المخطوطات

- ١ - تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١)
- ٢ - تاريخ داريا لابن المهنا الداراني
- ٣ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢)
- ٤ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٩٠٢)
- ٥ - الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة للنجم الغزي (١٠٦١)
وذيله لطف السمر له
- ٦ - ضرب الحوطة على الغوطة لابن طولون الصالحى (٩٥٣)
- ٧ - ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر له
- ٨ - الذيل على الروضتين لأبي شامة (٦٦٥)
- ٩ - محاسن جلق لابن خنداويردي (١١٩٥)
- ١٠ - تاريخ الصالحية لمحمد بن كنان (١١٥٣)
- ١١ - التيسير والاعتبار للاسدي (القرن التاسع)
- ١٢ - محاسن الشام للبوريني (١٠٢٤)
- ١٣ - الاشارات الى معرفة الزيارات لعلي بن أبي بكر الهروي (٦١١)
- ١٤ - الدارس للنعمي (٩٢٧)
- ١٥ - الاشارات الى أماكن الزيارات لأحمد الصباغ وذيله بتراجم بعض المشاهير من كتاب الزيارات لمحمود العدوي
- ١٦ - الاعلام في فضائل الشام لأحمد المنيني (١١٧٢)

- ١٧ — كتاب الدبارات للشابشي (٣٨٨)
- ١٨ — عجائب الامصار لابن اباس (٩٣٠)
- ١٩ — غدق الافكار في ذكر الانهار ليوسف بن عبد الهادي (٩٠٩)
- ٢٠ — ثمار المقاصد في ذكر المساجد له
- ٢١ — تاريخ الصالحية له
- ٢٢ — الاعانات في معرفة الخانات له
- ٢٣ — عدة الملمات في تعداد الحمامات له
- ٢٤ — مذكرات يومية مجهول مؤلفها كتبت من سنة ٨٨٥ الى ٩٠٨ بتلوها
١٥ ورقة بين سنة ٩١٠ و ٩١٤
- ٢٥ — حوادث يومية من سنة ٩٨٥ الى ١٠٠٦
- ٢٦ — التذكرة الكمالية لكمال الدين الغزي (١٢١٤)
- ٢٧ — ديوان النصائح والأنوار للوائح محمد الحافظ النجار (القرن الثاني عشر)
- ٢٨ — كناش المحاسني (١١٨٧)
- ٢٩ — التمهيد فيما يجب فيه التحديد لعلي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦)
- ٣٠ — الأعلام الخطيرة لابن شداد (٦٨٤)
- ٣١ — الروضة الربا فيمن دفن بداريا لعبد الرحمن العمادي (١٠٥١)
- ٣٢ — المدبجات لعبد المنعم الجلياني (أوائل المئة السابعة)
- ٣٣ — ديوان ابن حيوس (٤٧٣)
- ٣٤ — ديوان ابن عنين (٦٣٠)
- ٣٥ — تعليقات في القرى المتاخمة دمشق أو التي اندمجت فيها لمحمد احمد دهمان
- ٣٦ — عدا الوثائق والصكوك

المطبوعات

- ٣٧ — كتاب وقف عثمان بن المنجا (٦٤١) بتعليق صلاح الدين المنجد
٣٨ — معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦) (ليبسيك)
٣٩ — معجم الأدياء له (القاهرة)
٤٠ — المشترك وضعاً والمختلف صقلاً أيضاً (ليدن)
٤١ — معجم ما استعجم للبكري (٤٨٣) (غوتا)
٤٢ — معجم الشعراء للمرزباني (القاهرة)
٤٣ — قاموس الكتاب المقدس لپوست (١٩٠٩) (بيروت)
٤٤ — نخبة الدهر لشيخ الربوة (٧٢٨) (بطرسبرج)
٤٥ — زبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣) (باريز)
٤٦ — المسالك والممالك لابن حوقل (اواسط القرن الرابع) (ليدن)
٤٧ — احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري (بعد سنة ٣٧٥) (ليدن)
٤٨ — مسالك الممالك لابن خرداذبة (في حدود سنة ٣٠٠) (ليدن)
٤٩ — كتاب البلدان لابن الفقيه (القرن الثالث) (ليدن)
٥٠ — فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩) (ليدن)
٥١ — أنساب الاشراف له (القدس)
٥٢ — النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤) (القاهرة)
٥٣ — أخبار الدول للقرماني (١٠١٩) (القاهرة)
٥٤ — مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٠) (ليدن)
٥٥ — كتاب الروضتين لأبي شامة (٦٦٥) (القاهرة)
٥٦ — الانساب للسمعاني (٥٦٣) (لندن)
٥٧ — بتيمة الدهر للثعالبي (٤٢٩) (دمشق)
٥٨ — المشتبه في أسماء الرجال للذهبي (٧٤٨) (ليدن)

- ٥٩ — اب الباب في تحرير الأنساب للسيوطي (٩١١) (ليدن)
- ٦٠ — تاريخ يعقوبي (٣٧٨) (ليدن)
- ٦١ — صفة جزيرة العرب للهمداني (٣٢٤) (ليدن)
- ٦٢ — نزهة المشتاق للادريسي (٥٦٠) (رومية)
- ٦٣ — المنتظم لابن الجوزي (٥٩٧) (القاهرة)
- ٦٤ — صيد الخاطر له ()
- ٦٥ — فتوح الشام للازدي (١٧٨) (كلكتة)
- ٦٦ — ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (عشر التسعين والاربعمائة) (بيروت)
- ٦٧ — تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (اواسط القرن التاسع) (بيروت)
- ٦٨ — وفيات الأعيان لابن خلكان (٧٦١) (القاهرة)
- ٦٩ — فوات الوفيات للصالح الكتبي (٧٦٤) (القاهرة)
- ٧٠ — تهذيب الأسماء للنووي (٦٧٦) (غوتا)
- ٧١ — أنساب العرب للقلقشندي (٨٢١) (بغداد)
- ٧٢ — صبح الأعشى له (القاهرة)
- ٧٣ — رحلة ابن جبير (٦١٤) (ليدن)
- ٧٤ — رحلة ابن بطوطة (٧٧٧) (القاهرة)
- ٧٥ — مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (٧٤٩) (القاهرة)
- ٧٦ — التعريف بالمصطلح الشريف له (القاهرة)
- ٧٧ — تمييز نوعي المثنيين للمجبي (١١١١) (دمشق)
- ٧٨ — القاموس المحيط للفيروزابادي (٨١٧) (القاهرة)
- ٧٩ — تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥) (القاهرة)
- ٨٠ — معجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي (دمشق)
- ٨١ — ديوان حسان بن ثابت (٥٤) (ليدن)
- ٨٢ — ديوان الأخطل (٩٠) (بيروت)
- ٨٣ — ديوان ابن قيس الرقيات (نحو سنة ٨٥) (فيينا)

- ٨٤ — ديوان الوليد بن يزيد (١٢٦) (دمشق)
 ٨٥ — ديوان الحماسة لابي تمام (٢٣١) (القاهرة)
 ٨٦ — الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦) (القاهرة)
 ٨٧ — عيون الاخبار له (القاهرة)
 ٨٨ — ديوان البحري (٢٨٤) (الاستانة)
 ٨٩ — ديوان كشاجم (٣٦٠) (بيروت)
 ٩٠ — ديوان ابن الخطيب (٧١٧) (بيروت)
 ٩١ — ديوان ابن الساعاتي (٦٠٤) (بيروت)
 ٩٢ — ديوان التلعفري (٦٧٥) (بيروت)
 ٩٣ — خطط الشام للمؤلف (دمشق)
 ٩٤ — دمشق مدينة السحر والشعر له (القاهرة)
 ٩٥ — مجلة المشرق (بيروت)
 ٩٦ — مجلة المقتبس (القاهرة ودمشق)
 ٩٧ — مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق)
 ٩٨ — جهانما لكاتب چلبى (من اهل القرن الحادى عشر) (بالتراكى) (الاستانة)
 ٩٩ — قاموس الاعلام لشمس الدين سامى (بالتراكى) (الاستانة)
 ١٠٠ — تاريخ جودت (بالتراكى) (الاستانة)
 ١٠١ — طبوغرافية تاريخية لسورية في الاعصر القديمة والقرون الوسطى
 لدوسو (بالفرنسية) (باريز)
 Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique
 et médiévale (Paris)
 ١٠٢ — معلمة الاسلام (مادة غوطة • بردى • دير مران • قاسيون • دمشق
 وغيرها) (لندن)

Encyclopédie de l'Islam (article : Ghuta, Barada, Deir
 Murran , Qassiun, Damas etc.)

الفصل الأول

حدود الغوطة

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، ومعنى الغائط المضمئن من الارض
وجمع غيطان وأغواط . وقال ابن الاعرابي : الغوطة مجمع النبات .
وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال
ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض (الغوطين) وأهلها فلي بجنوب (الغوطين) شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفني الى (بردى) و (النيرين) حنين
وممن ثنى الغوطة ابو نواس الحسن بن هاني بقوله :

يؤمن أرض (الغوطين) كأثما لها عند أهل (الغوطين) نذور
وثناها ابن عنين بقوله :
ولاحت قصور (الغوطين) كأثما سفائن في بحر يعب عتابة
وقال :

وأيام دوح (الغوطين) وظلها الظليل اذا صام الهجير وممما
وقال رشيد بن النابلسي :

وحيا حواشي (الغوطين) من الحيا ملث^(١) اذا ما أبطأ الغيث أسرعا

(١) الملت المطر دام اياماً

وشاها ابن الساعاتي أيضاً فقال :

سقى الله عهد (النيربين) عهاده وعيشاً لنا (بالغوطين) تصرماً
فلم أر ظلاً سابغاً غير ظله ولم أر ورداً غيرها ينقع الظما
عروس حصان كل يوم زفافها من الدهر عيداً للسماح وموسماً
له ركبت خيل الاماني مغيرةً وما ركبت الا لتغنى وتغما
(النيربان) واحدهما النيرب وهي قرية كانت على نصف فرسخ
من دمشق تدخل في الغوطة قال ياقوت انها أنزه موضع رآه . وفي مراريد
الاطلاع أن النيرب قد جاء في الشعر مثني فاعل ياقوت فهم منه أن
هناك موضعاً آخر وليس كذلك فان الشاعر قد ثنى الغوطين وليس
الا غوطة واحدة كما ثنوا (الغيضتين) .

قال ابن منير :

سقاها وروى من (النيربين) الى (الغيضتين) و (حمورية)
الى (بيت لها) الى (برزة) دلاح^(١) مكففة الاوعية ،
ويقول المحبي ان النيربين موضعان من صالحية دمشق . والغيضتان
غير معروفين ، والغياض كثيرة .

ويظهر أن القدماء كانوا يقصدون بالغوطين الغوطة الغربية والغوطة
الشرقية وقال بعضهم الغوطتان الغوطة الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء ، ج دُلح

وقيل انه كان يطلق على (الغوطة) اسم (البريص) . وقد ورد في شعر
حسان بن ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمتهم يوماً (بجَلَّتْ) في الزمان الاول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المعمر المخول
يسقون من ورد (البريص) عليهم (بردى) يصفق بالرحيق السلسل
قال ياقوت وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة باجمعها ، ألا تراه
نسب الانهار الى البريص وقال يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من
ورد البريص ، ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح
وخالد بن الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقسلاط وهو موضع النحاسين
وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون
من ورد البريص عليهم البيت ، ولا تعطي العبارة أن البريص هو بردى
بل يفهم منها انه مكان آخر .

وأقدم نص ورد فيه اشارة الى تحديد الغوطة كتاب خالد بن الوليد
لبنی مشجعة ، وهو « هذا كتاب خالد بن الوليد لبني مشجعة أن لهم
ساقية قُصم عذيبها وسقيها وجلدها ^(١) عامر الأرض ما شرقها ، وأن لاهل

(١) الجلد بالتحريك الارض الصلبة المستوية المتن ، ونظنها ما نطلق عليه
اليوم اسم الحماد ويبدأ بعد مرج الغوطة . والعذي بفتح العين وكسرهما الارض
التي تسقى بالمطر .

الغوطة ما غربيها » وقُصم كما قال ياقوت موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مرَّ به خالد بن الوليد رضي الله عنه لما سار من العراق الى الشام فصالحه به بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة من قضاة ثم منه الى تدمر . ولعلهم كانوا على سيف (بكسر السين) البادية ساحل الوادي ولكل ساحل سيف وبه فيما نحسب يفسر بيت نابغة بني شيبان في وصف الجامع الاموي بدمشق .

وقبة لا تكاد الطير تبلغها أعلى محاريبها بالساج مسقوف
لها مصابيح فيها الزيت من ذهب يضيء من نورها (لبنان) و (السيف)
أي يضيء بها الساحل والداخل .

لم يحدد القدماء الغوطة ولم يعرفوها التعريف المطلوب . وقد قال المقدسي ان مساحتها مرحلة في مثلها^(١) ، وقال القزويني : ان طولها مرحلتان في عرض مرحلة وقال ياقوت : ان استدارتها ثمانية عشر ميلا ، وقال شيخ الربوة : انها من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا ، وقال ابن طولون الصالح ان

(١) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل والميل مئة ألف اصبع إلا أربعة آلاف اصبع أو ثلاثة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف ذراع بذراع القدماء أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا الفرسخ أنه ثلاثة اميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع او عشرة آلاف والذراع ايضا يختلف باختلاف الاقطار والامصار .

قرية زبدین آخر حدودها وهو صحيح ولم يذكر حدها من الشرق والغرب. وزعم ان (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المريج وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب . وهكذا عدها ياقوت وهو غير صواب والاولی أن يقال من مرج الغوطة^(١) . وذكر البكري أن قرية دمر من الغوطة وعد الدو من الغوطة وقال انها تلقاء البضيع^(٢).

والظاهر ان القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسموية . فقد قال صديقنا العلامة دوسو ان الغوطة تطلق على الصقع الذي يروی حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بحيرة المريج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الانهار وان

(١) خلط ابن طولون قرى الغوطة بقرى المريج ، ولم يفرق بين الاقليمين، وغلطه في ذلك ظاهر ليس بحاجة الى دليل .

(٢) كذا البضيع مصغراً ويروی بالفتح في شعر حسان بن ثابت :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل
والبضيع بالصاد المهمة وقال انه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة هذا قول ياقوت . وروی في التاج عن الازهري انه رأى جبل البضيع وقال انه جبل قصير اسود بأرض البلينة فيما بين تيسل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . قلنا وفي وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانع اسمه المضيع (بالميم والضاد والباء المشددة) ولعله هو هو . والبضيع او البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في اول حوران .

الغوطة الآن اذا أطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين
أي ان المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء ان
الشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق . وقال مرتين : الغوطة
أريضة من اجل ما احدثت يد الطبيعة تسقيها الانهار الكثيرة
وتكسوها الخضرة . ويعشها النبات الغض الوفور عرضها نحو ستين
كيلومتراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن
مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ولعله
يريد طولها ولا يمكن ان يكون طولها كذلك ولو تجوزنا وادخلنا
فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وارباب
الرحلات ومما اصطلح عليه القوم لعهدنا ان الغوطة هي كل ما احاط
بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الارض المطمئنة التي تروى
من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والانهار الصغيرة
أو القني ، وعلى هذا فحد الغوطة يبدأ غرباً من فوهة وادي الربوة
فالمة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات
وحوش الريحانية . ومن الشرق الريحان والشفونية وحوش مباركة
وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابة

وبيت نايم وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير المعروف اليوم بجبل قلمون ويسمونه لهذا العهد أيضاً بجبل الخلو وهو فرع من فروع جبل لبنان الشرقي Anti - Liban والى ما بعد القرن السابع ما كان يطلق على هذين الجبلين الاسم سنير وجبل الثلج ويشرف الجبل الاسود وجبل المانع على الغوطة من الجنوب ومن الشرق ارض المرج ، وهو اقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة اضعاف الغوطة وهو أيضاً في نجد منخفض من الأرض واشجاره قليلة وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف ^(١) .

(١) من القى رائد الطرف على الغوطة من جهة الشرق يرى انها تنتهي بالتربة السوداء ويبدأ المرج بالتربة البيضاء ، ولا تجود في قرى المرج الاشجار المثمرة لقرب المياه من سطح الارض ، وقد لاتعلو المياه عن المتر الواحد فتختنق جذور المشمش والجوز والزيتون وغيرها من الشجر المثمر لكثرة المياه وحرمانها التنفس والهواء ولا يجود فيها من الاشجار الا الدردار والدلب والصفصاف والخلاف والخور الفارسي والحموي والكيينا (الاكالبتس) مما تنفعه المياه ولا تضره ، هذا مع مايزرع في اديمها من الحبوب . ولذلك احجم القدماء بعد التجربة على ما رأينا عن تشجير ارض المرج وخصت الغوطة وحدها بأشجارها الباسقة الجنية الثمار الازلية الاعمار . ورأينا الاشجار ترقد أو تركد كما يقول الغواطنة بعد السنة العاشرة في أرض المرج أي يقف نموها أو تيبس ولا تبلغ شجرة الجوز في أوتايا وقلايا وغيرها من قرى الحدود في خمسين سنة ماتبلغه في ارض الغوطة في بضع سنين . م (٢)

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومتراً وعرضها يختلف بين
١٠ و ١٥ كيلومتراً تقريباً ، وقد تمت مساحتها في العهد الأخير
فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار اي نحو خمسة وستين ألف فدان والفدان
ستة دونمات وكسّر ، والدونم مبذر مد من الحنطة . والفدان
٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق
في هذه المساحة .

والتقسيم

الفصل الثاني

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد ان الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة واربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة ان بساتين دمشق مائة واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلبى ان في الغوطة مائة وثلاثين الف بستان . وقال ابن اياس انها بساتين كلها . وهذا الوصف الاخير أقرب الى الحقيقة . ويصدق عليها هذه الأيام خاصة . وقد أكثر الغوطيون من غرس الأشجار فزادت بذلك بساتين دمشق زيادة تذكر . ولا يستبعد ان تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب وغيرها من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أبيّ ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر عن ان يسرح مئة متر كانت خالية من الشجر

فعدت اليوم غابات غيباء ، وأدرك الجبل الذي قبلنا ان قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المريج تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط ، وأشجارها قليلة جداً ، وربما عدتا من المريج وهما لعهدا من اكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً انواعه

ويقول الظاهري : وقيل ان في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المماليك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، فخرّب معظم قراها وانضمت أرضها الى القرى المجاورة وابتدع سكانها واضمحل عمرانها ، وما يشاهد من الدمن والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك . وربما كان في قول الظاهري بعض المبالغة في دعواه ان فيها أكثر من ثلاثمائة قرية ولا تبلغ هذا العدد فيما نحسب ولو ضمنا الى هذا العدد قرى المرجين .

وذكر ابن طولون الصالحى ان بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس ولم يهتد الى تحديدها فنقل عن ابن شداد انها شرقي دمشق وشمالها وذكر قرى واقعة غربي دمشق وفي جنوبها وجنوبها الغربي وعد من الغوطة قرى ليست منها مثل بيت نايم والبويضة وتل كردي وحريستا القنطرة والجديدة والعبادة وعذرا والسويداء ، وهذه من مزارع الجربا في المريج ، والبرية وتل الشعير وتل الذهب

وجربا وحزرما وحران العواميد والدوير والبحدلية والقيسا . وجميع هذه القرى ليست من الغوطة وقرى الغوطة اليوم ثنتان واربعون قرية أهمها من حيث وفرة السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد سكان دومة على ثمانية عشر ألف نسمة وسكان داريا أقل من ذلك و (كفرسوسية) و (عربيل) و (جوبر) ثم تجيء (المزة) (وحرستا^(١)) . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضعة عشرات من الأنفس كالحدثة وبالا والافتريس والمحمدية الى بضعة مئات ومنها ما يبلغ الألف والألفين والثلاثة والاربعة كجرمانا والقابون وبرزة وسقبا وحمورية وكفربطنا وجسرين والمنيحة وصحنايا وزملاكا .

واليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها :

- (١) (دومة) (٢) (داريا) (٣) (عربيل) يقال لها اليوم (عربين)
- (٤) (جوبر) (٥) حرستا (٦) كفرسوسية (٧) المزة (٨) مسرابا
- (٩) (مديرة^(٢)) (١٠) (بيت سوا) (١١) (المحمدية) (١٢) (حمورية)

(١) رسمها صاحب القاموس هكذا : حرستی وقال انها بلدة بباب دمشق وأهلها الآن يلفظونها هكذا على لغة تميم بالامالة والنسبة اليها حرستاني وحرستاوي ويقولون اليوم حرستاني ويجمعونها على حراسته .

(٢) رسمت في الدارس مديرى .

- (١٣) (كفر بطنا) (١٤) (جسرين) (١٥) (الافتريس^(١)) (١٦) (حزوة)
 (١٧) (زملك^(٢)) (١٨) (عين ثرماء) (عين ترما) (اليوم) (١٩) (القابون)
 (٢٠) (برزة) (٢١) (الحديثة) (حديثه الجرش اليوم) (٢٢) (المنيحة)
 (المنيحة اليوم) (٢٣) (بالا) (القديعة والحديثة) (٢٤) (زبدن)
 (٢٥) (البلاط^(٣)) (٢٦) (الخياره) (خياره نوفل اليوم) (٢٧) (عقرباء)
 (عقربا اليوم) (٢٨) (جرمانا^(٤)) (٢٩) (دير بجدل^(٥)) (٣٠) (قبر الست)
 (راوية بالأمس) (٣١) (سبينه^(٦)) (٣٢) (سبينات) (٣٣) (حوش
 الريحانية) (٣٤) (حجيرة) (٣٥) (بيت سحج) (٣٦) (بيلا^(٧))

(١) لم يذكر ياقوت في معجمه المنقح قرى عريبل وزبدن وعقرباء
 والحياوة وسبينه وسبينات وبيت أبيات والمحمدية والافتريس وذكر كثيراً
 من القرى التي دثرت مثل صنعاء وبيت الآبار وبيت ارانس وبيت أبيات الخ
 (٢) يقال لها زملكاً وزملكاً رسمها صاحب القاموس زملكاً بالنون
 وقال ان منها شيخه ابو المعالي

(٣) في التمهيد فيما يجب فيه التحديد ان القاضي الفاضل اشترى من الملك
 الناصر صلاح الدين قرية البلاط من الغوطة في العشرين من الحرم سنة
 اربع وثمانين وخمس مائة .

- (٤) جرمانا وفي معجم البلدان لعلها جرمانس
 (٥) ماندرى ان كانت هذه هي القرية المعروفة بالبعولية الى القرن
 الثامن فقد ذكرها ابن عبد الكافي على انها قرية من الغوطة .
 (٦) في الدارس رسمت سبينه وسبينات بال التعريف السبينه والسبينات
 (٧) وقفت قرية بيلا خطلجة بنت ابراهيم والد فروع شاه ابن شاه شاه
 ابن ايوب خلا ما فيها من مساجد وطرق ومعابر وذلك سنة ٥٩٣ هـ في كتاب
 التمهيد ويستدل من هذا انها كانت قرية عظيمة لانه كان فيها مساجد ومقابر .

(٣٧) (يلدا) (٣٨) (القدم) (٣٩) (الأشرفية^(١)) (٤٠) (صحنايا)
(٤١) (البويضاء) البويضة اليوم (٤٢) (بلاس) .
والنسبة الى هذه القرى هنا كالنسبة الى القرى عامة اختار لها القدماء
والمحدثون ما سهل على النطق فيقولون في دوما الدومانى أو الدومي
وفي حرستا حرستاني أو حرستاوي وينسبون الى بيت سوابيت سواي
والى عين ترماء عين ترمي واليوم يقولون في الجمع عتارمة والى المليحة
مليحي ومليحاني والى برزة برزاوي والى عقرباء عقرباني .
واذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين
الصالحية والربرة والمزة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور
والعناية تألف منها بضع قرى .
ومن القرى ما كان على أبواب دمشق فدخل فيها كما دخلت
فيها الارزة وسطرا ومقرا وغيرها على ما يجيء في باب قراها
الدائرة . ومنها ما امتد الى ما وراء السور : الصالحية ، العقبية ،
ميدان الحصى ، الصفوانية . ومن القرى ما كان صغيراً منذ قرون
فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة فأصبحت اليوم قرية متوسطة .
ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزمكا وبلاس وعقرباء .
قالوا ان البويضة بلدة كبيرة تحت يلدا قال في التاج والبويضاء
(١) يقول ابن المنجا ان الاشرفية من الضياع المستحدثة .

قرية بالقرب من دمشق الشام وأهلها مشهورون بالجود بها مات
الملك الأجدد . والبحدلية قرية جامعة . وذكر صاحب نزهة المشتاق
ان (بلاس) قرية كبيرة وقد قرنها حسان بن ثابت في الجاهلية
بداريا منذ قال :

لمن الدار اقفرت بمغان بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقرىات من (بلاس) (فداريا) (فسكاء) فالقصور الدواني
وسكاء كانت تعرف في القرن السابع بقصر سكا كما في كتاب
التمهيد وهي ما زالت باقية وليست من قرى الغوطة .

كان في بعض قرى الغوطة اسماء تبدأ بكفر ، والكفر القرية
بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفر سوسية وكفر بطنا .
واسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة ومعناها بيت الأرض ،
جرمانا - عظمى ، جسرين - جسور ، حجيرة - عرج ، حرسنا - خشنة ،
حزة - حُفر ، داريا - دور ، زمنا - كا - رواق الملك ومصيفه أو سلاح
الملك ، سبينة - مبتاعون ، سقبا - شيخ ، عربيل - غربال ، قابون -
عمود ، كفر بطنا - قرية الجنين ، كفر سوسية - قرية الفرس ، مديري
أو مديرة - طبقات البناء ، مسرابا - مشرب ، يلدا - ولد .

ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل النيحة ، المحمدية ، القدم ،
عين ثرماء ، الحديثة ، الأشرفية ، البويضة أو البويضاء ، الخيارة ، البلاط .

ومن الاسماء ما كان أصله فارسياً أو يونانياً أو عبرانياً (فافتريس)
تحريف فاراتريس أي ضارب الأعداء ومبيد هم وهو من أسماء
المشتري و (مقرا) من مكر ايونانية بمعنى المستطيلة ، (المزة) قيل
عبرانية ، سميت على اسم حفيد عيسو ومعناها الخوف وقيل يونانية
الاسم بمعنى التل او الربوة ، جوبر قيل من الفارسية من جويسار
مسيل النهر العظيم .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لاحدى القرى دثرت القرية وبقي
اسم نهرها مثل قناة دير بشر المارة بحوش بلاس ، تنسب الى بشر
ابن مروان الأموي ومثل قناة بيت ارانس والقناة تمر بارض الشاغور
ولا أثر لبيت ارانس ومنها نهر حردان (بضم الحاء) نسبة لقرية
كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط يلفظونه بفتح الحاء.
وان ما نراه اليوم من تقارب بعض القرى من بعض برهان
على اكتظاظ أرض الغوطة قديماً بالقرى والمزارع والقصور ،
والظاهر انه ما كان بين القرية وجارتها اكثر مما نرى من البعد اليوم
بين يلدا وبديلا ، وعقرباء وجرمانا ، وجسرين وكفر بطنا ، وسقبا
وحمورية وذلك ليمكن أهل القرى من تجويد زراعتهم ، وفرق
بين قرية تكون حقولها على قيد غلوة وأرض بعيدة عن المساكن
الساعة والساعتين .

الفصل الثالث

ميزات الغوطة وخصائصها

أجمع من وصفوا الغوطة على الأيام أنها قرى شجراء وان فيها قرى كالمدن وان أهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وأزيائهم وان في أكثر قرأها الحمامات والجوامع . ومنذ القرن الثامن قال شيخ الربوة ان العمارة المبثوثة فيها لو جمعت لكانت مدينة عظيمة ما بين جواسق وقصور وقاعات واصطبلات وطواحين وحمامات واسواق ومدارس وترب وجوامع ومساجد ومشاهد غير القرى والضياع الأمهات وان هذا لا يوجد بغيرها اصلاً . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من اجمل مدن العالم ولولا دمشق ما كانت الغوطة الا صحراء خالية تعيث البادية في ربوعها .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل من عنايتهم فنزلها رجال منهم وعمرؤا فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا الجداول ، وعنوا باستثمارها واستنباتها ، وكان معاوية بن ابي سفيان يقيم احياناً في الغوطة وينصب الأبنية والأروقة والفساطيط . ولولا الأمويون ما حازت الغوطة هذه الشهرة ، ولولا هم

ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس
الا حسنة من حسنات بني أمية . ودمشق مدينةٌ للأمويين
لاختيارها عاصمةً خلافتهم ، وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار .

قال ابن قيس الرقيّات :

أبارك الله والخليفة (بالغو طة) دار بها بنو الحكم
المانعو الجار أن يُضام فما جارٌ دعا فيهم بمهتضم
وقال أيضاً :

أفقرت منهم (الفراديس) (فالعو طة) ذات القرى وذات الضلال
وقال في المزة :

حبذا ليأتي (بمزة كلب) غال عني بها الكوانين غول
بت أسقى بها وعندي مصاد^(١) انه لي وللكرام خليل
مقديا^(٢) احله الله للناس شراباً وما يحلّ الشمول
عندنا المشرقات من بقر الأئس هواهن لابن قيس دليل
قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى النغوطه
ونظر الى المدينة والقصور والبساتين قتلا قوله تعالى : « كم تركوا

(١) المصاد الهضبة العالية الحمراء وما أظنها الا محرقة .

(٢) مَقْد قرية بالشام من عمل الأردن والشراب منسوب اليه والمَقْدِي
مخفف شراب منسوب الى القرية يتخذ من العسل .

من جوارحهم وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ،
كذلك وأورثناها قومًا آخرين » ثم انشد قول النابغة :

هما هما دهر يكرُّ عليهما نهار وليل يلحقان التواليا
إذا هما مرًّا بحَيٍّ بغبطة أنأخا بهم حتى يلاقوا الدواهيما
ابن كثير : هذا يقتضي بادي الرأي انه - أي عمر - دخل
دمشق وليس كذلك فانه لم يقل أحد انه دخلها .

وقى ان أمير المؤمنين المأمون أقسم يومًا وقد نظر الى أشجار
الغوطة ونباتها انها خير مغنى على وجه الأرض ، وقال : عجبت لمن
يسئ غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الاثيق الذي لم يخلق مثله .
وكان أولئك بني العباس يخفون الى دمشق على ما قال ابن عساكر طلبًا
للصحة وحسن المنظر ومنهم المأمون .

والعواطنة بأقليمهم وهم راضون عن حالتهم ويقولون في أمثالهم
« بالية الخروف ولا ذراع بذنب الثور » يريدون بان جزءاً
من أرضها أعود على صاحبها ممن يملك مساحات عظيمة في
غيرها من الأرض الفقيرة . ومن يملك في الغوطة ثلاثة أفدنة ويقوم
بنائها على تعبهها فهو سعيد مرفه ، ومن مزايها ان اهليها يجزئهم
ما لهم أرضهم من المواد الأولية . ولو كان عندهم الحديد والفحم
الذي لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم . ومن مزايها

انها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها
إذا أصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستفيض من الأصناف
الباقية ما تعيش به سنتها .

وما برحت الغوطة تأخذ من دمشق وتعطيها تعطي الأهل للثانية
ثمارها وحبوبها وبقولها والبائها . وبعض رجالها يعملون في المصناعات
والشؤون التي تتوقف على سواعد الأقوياء ، وتعاون دمشق الغوطة
إذا أعوزها المال وحاربها الطبيعة بالجذب والأوثة وغرس ماؤها
وعدا عليها أعداؤها . ولما وقف صاحب المدرسة الأشرف بدمشق
مدرسته أمر أن يصرف من مغل الوقف ما تدعو الحاجة اليه من
تقوية الفلاح واقراضه وشراء دواب وآلات ، وكان لهذه أولاً
وبالذات فلاح الغوطة ، والأقربون أولى بالمعروف . والوقت العظيم
كان يشعر ولا شك بضرورة مثل هذه المعونة للفلاح الطي وهو
يراه يضيق بعض السنين ولا يجد من ينجده .

نعم تأخذ الغوطة من دمشق ودمشق من الغوطة ، ويجتمع
الغوطيون بالدمشقيين كل يوم في أسواق الثمار والحب والخبز
والاسكافيين والسروجيين والاكافيين والقوافيين والحدادين وأسواق
الخليل والبقر والحمير والغنم والجمال وأسواق الصوف واللبان والقشور
والحبال والغزل . وكما كان لكل قرية في الغوطة لها أهلها الخاصة

فكذلك نشهد في الغالب لنساء كل قرية زياً خاصاً اللهم الا من
تمدن منهن وأخذن بأزياء الدمشقيات . فالديرانية لا تلبس كما تلبس
العربيلية والدومانية لا تكتسي كما تكتسي السقباية والمنيحية
والجرمانية لا تكتسي بكسوة البرزاوية والقابونية .

ومما جعل روح الغوطة واحداً ان قراها في القرون الأولى
كانت متشابكة لا تبعد القرية عن جارتها أكثر من دقائق قليلة
ولذلك تمازج السكان وتعاونوا وتعاطفوا وكانوا على تكافل بينهم في
حال سعتهم وضيقهم وفي سلامهم وحرهم ولا سيما منذ خففت نعمة
قيس ويعن على ما انفصله بعد هذا .



الفصل الرابع

سكان الغوطة وأديانها

كانت السريانية لغة الشام قبل الفتح العربي واللغة الرومية هي اللغة الرسمية . وكانت الآرامية لغة سورية القديمة ولغة الكلدانيين . والكلدانيون يتكلمون بالرومية مجارة لحكومتهم ولم تكن الآرامية لغتهم الخاصة ولا العامية ، وظهرت السريانية في القرن الثاني بعد المسيح وهجرها أهلها نحو القرن الثاني عشر . وأهل معلولا ونبخعة وجبعدين في جبل سنير (قلمون) يتكلمون الى اليوم بفرع من هذه اللغة يسمونها بالسريانية .

ودخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام لنزول بني غسان العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ أقدم العصور ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق غزا بني غسان في الغوطة يوم فصحهم أي انهم كانوا سكانها أو معظم سكانها يومئذ . قال اليعقوبي ان اهل كورة الغوطة غسان وبطون من قيس وبها قوم من ربيعة ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة اذاً

من أصول عربية واكثر من نزلها في الفتح كانوا من العرب ،
دع من كان فيها من الغساسنة ، وغيرهم قبل الاسلام
وفي مسالك الأَبصار ان من بني زُبَيْد فرقة بغوطة دمشق وقالوا
ان مم نزلها آل علي فرقة من آل فضل وديارهم مرج دمشق
وغوطتها بين اخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا . قال في التعريف
وانما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الامرة الى عيسى بن مهنا وذكر
القلقشندي من قبائل العرب كثيرين منهم آل رجال كانت منازلهم
في الغوطة وهم بطن من زبيد آل علي وهم بعض من آل فضل
عرب الشام وديارهم مرج دمشق والحريث بطن من زبيد من
القحطانية وفي مسالك الأَبصار وهم جماعة نوفل لا بنو زبيد .
ولاشك ان عرب الغوطة أمشاج من القبائل تبدلت اسمائها على
توالي القرون كما تبدلت أسماء منازلهم في ظاهر دمشق والغوطة
منذ دخلت في حكم العرب

أما اديان الغوطة فقد تأصل الاسلام فيها منذ اوائل القرن
الأول واصبح اهله الكثرة الغامرة وكلهم جماعيون من اهل السنة
ولم يتشيعوا وكان في الشام مذهب الشيعة الاسماعيلية مذهب الدولة
الفاطمية اكثر من قرنين . ولم يعرف العصر الذي اصبح فيه الدين
المسيحي اقلية وليس بها اهدنا سوى بضع مئات من النصارى في داريا

وعربيل وحرستا وصحنايا والأشرفية . وفيها مئات من المسلمين
الدروز في جرمانا وصحنايا والأشرفية . وكان جميع أهل قرية جوبر
يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى فانتقلوا إلى دمشق في زمن لم نعرفه
ولم يبق لهم فيها سوى كنيس مقدس يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم .
ويقول دوسوانه في عهد الشفالية دارفيو من أهل القرن الثامن عشر
كان اليهود يسكنون قرية جوبر .

وقد استغرب ابن طولون الصالحى من أهل القرن العاشر أن أهل
جرمانا تيامنة قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فإن أهلها
جميعهم من أهل السنة . ويريد بالتيامنة سكان وادي التيم من سفوح
جبل الشيخ وكانوا وما زالوا من الدروز .

والمذهب الغالب في الغوطة مذهب الشافعي ويقل المتمذهبون
بالمذهب الحنبلي إلا في قرية دومة . والطرق فيها ضئيلة ومنها بقايا
في أمهات القرى لا يكاد يشعر بها وهي آخذة بالاضمحلال وليس
للمغوطة احصاء يركن إليه في عدد سكانها والمضنون أنهم لا يقلون
عن مئة الف .

الفصل الخامس

الفصح في كلام الغوطة

نأتي هنا على نموذجات مما بقي الى اليوم في ألسن أهل الغوطة من فصح الألفاظ العربية المذكرى .

الدَّكَّة . الحظيرة « المحيط بالشيء قصباً كان أو خشباً » . الصَّفَّة :

في جبل الربوة حل بارز في الجبل ومعنى الصفة في أصل اللغة هكذا والصفة (بضم الصاد وتشديد الفاء) من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك . الصفقة . دويرة تصغير دارة ودوير تصغير دار .

حويرة : تصغير حارة . سويقة : تصغير سوق . سقيفة : تصغير سقيفة كسفينة . العقيبة : تصغير عقبة . الربض : وهو ما حول المدينة من

خارج وجمع الربض أرباض . الرحبة : الميدان . الربع : الدار بعينها والمحلة والمنزلة وجماعة الناس وأكثر ما يطلقونها على المعنى الأخير

فيقولون جاء مع ربه . العرصة : ج عرصات كل موضع واسع لا بناء فيه . البراح : المتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر . البيت :

المخدع . العلية . الخص : (البيت من قصب) القصر . السطوح :

السطح . المشرقة . الدك : ج دكوك السقاطة . الكوة . العوارض :

مفردها عارضة . الخُم . المسقط : ومسقط كل شيء منقطعه
ومنه مسقط داربًا . أرض حُصِيْبَة : كثيرة الحصباء والحصباء
الحصا واحدها حصبة صغروها للتجيب . احتجر الأرض :
ضرب عليها مناراً . الطنافس : واحدها طنفسة وهي النمرقة والبساط
والحصير . السابات : سقيفة تحبها ممر نافذ والجمع سوابيط يحرفونها
فيقولون سدياط . الركيزة : ج الركاز . العشة : بيت صغير يبنى
بقضبان . الخوخة . القبو : (المكان المعقود بعضه الى بعض من قبوت
البناء رفعته) . الكنيف . المربط . الزرب . الاصطبل . المصنع .
الجرن . الداكونة . الروشن . الجناح . المصطبة : (مكان اجتماع الغرباء)
الحى . الحارة . المنزل . المحطة . الجملون . الزابوقة من البيت زاويته
أو شبه دَعَل (مكان خفي) في بيت يكون فيه زوايا معوجة . الكوخ .
الحير : البستان أو مجتمع الماء ويكسرون حاءه وعندهم أرض
يسمونها الحير . وعندهم أرض يسمونها حصيبة من الحصباء تصغير
حصبة ، وأرض اسمها البحصاص . الزور : الأرض البعيدة من الأراضي
الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء وكلاهما يصدق على
حرم نهر بردى أصل أنهار الغوطة . البحرة ما انخفض من الأرض
وعندهم أرض تسمى البحرات . الحسي سهل من الأرض يستنقع
فيه الماء وعندهم منقع اسمه الحُسي بالتصغير .

وكثيراً ما يفتحون بعض الأسماء والأصل الضم او بالعكس
 فيقولون الحنجرة فيضمونها وهي مفتوحة ، ويفتحون الحاء من الحلقوم
 وهي مضمومة ويقولون السَّحْنَةُ بالضم وهي مفتوحة أو مكسورة .
 الحَدَبَةُ يسكنون دالها . الكلف : النَّمَش . أشوص . أجهر . أخنَّ
 (خن عندهم) . اندمل الجرح تراجع الى البرء . قبَّ الجرح : اذا يبس
 وذهب ماؤه . قيَّح الجرح : صار فيه القيح وهو الصديد . التحم
 الجرح : التزق . بزل القرحة وبزَّ لها فتبزَّلت وانزلت شقها .
 رجل غُفْل : لم يجرب الأمور . أحَّ : سعل . سخمت وجهه
 بالسخام وهو سواد القدر . قرقف : رعد من البرد . قف الشعر : قام
 من شدة الفزع . قفقف من البرد : ارتعد . شورَّ : لوح بشيء
 يفهم من النطق . زهقت نفسه تعبت . زاح الشيء وأزحته : نجته .
 ركله برجله : رفسه . مزع الثوب . قطعه . ثوب بايخ : متغير . وحديث
 بايخ : لا محصل له . جرَّس : شهرَّ . تفرعن : تكبر وتجبهر . الأهوج
 المتسرع الى الامور كما يتفق . أصنَّ : سكت وهو مصن . هرج في
 كلامه : خلط ومنه المهرج يطلق على من يأتي بالمساخر ليضحك الناس .
 راز : اختبر . ودَّر الرجل : اوقعه في تهلكة . برشق : لون من برشق
 الشجر ازهر ، والنور تفتق ، والعروس مبرشقة : مزينة بالالوان .
 قلعه : حوله من موضعه كقلعه واقلعه فانقلع وتقلع واقتلع يقولون

قلعنا : اي هيا بنا . هو مباط : معيى من اعىى يستعملونه في الاعياء
 عامة . جوعان حفتان اي جوعان جوعاً شديداً من حفته اهلكه .
 فزّ خف ونهض . دحس الثوب في الوعاء : ادخله يقولونه بالشين .
 يقولون الفرشحة بالخاء وهي الفرشحة بالخاء . يقولون فنك بتسديد
 النون وهي فنك بالتحريك والتخفيف . يقولون الغب وهي شرب
 الماء من غير مص والاصل العب بالعين لا بالغين . شاكتني شوكة :
 اصابتني . فقع اصابعه : فرقعها . القرفصاء : الجلسة المألوفة يشتقون منها
 فعلاً فيقولون قرفص لمن يقعد تلك القعدة . لزه على العمل : شده
 وحثه . رمحت الدابة وشمست وجمحت : حرنت ونفرت ودابة رموح
 وشموس وحرون وجموح ونفور ، هكذا ينطقون بها صحيحة . حاش
 الدابة : ردها . عقل الدابة ربطها . عرقت الدابة رعت ما بقي من المرعى
 بعد رعيه . شبّ الفرس . اجتريت الدابة : مضغت لقمة تعللت بها
 الى وقت علفها . شردت الدابة : نفرت . البقر الخماسي القصير من غلام
 خماسي طوله خمسة اشبار . يقولون في زجر الغنم وغيرها من البهائم
 هايّ هايّ وحايّ وحايّ حايّ . هس : زجر للغنم هقط :
 زجر للفرس تخّ تخّ : زجر للدجاج . سق سق : زجر للشور . عاي : زجر
 للخروف والغنم .

فرتك قلبه : قطعه . نتر يده جذبها بحفء . المرش : الحلك باطراف

الاضفار مصعته بظفرها : حر كته وفر كته : يقولون : امصع رقبتة
اقطعها . لهوجت اللحم اذا ادرته على النار ليشتوى فلم تنعم شيه . شرح
اللحم (بالتخفيف والتشديد) قطعه قطعاً طويلة ومنه الشرايح . شيط
اللحم في الشي : اذا دخنه واحرق بعضه ولم ينضج . شاطت القدر :
احترقت ولصق بها الشي . يقولون سقاني تنفة من لبن أى شيئاً وهي
نُدفة في الفصيح . اعطني شوية حليب والشواية بالضم : الشيء الصغير
من الكبير وتقوله العامة بحذف الالف كما في التاج . عدان الشيء :
زمانه وعهده واوله يطلقونه على وقت اعطاء كل صاحب حق حقه
من الماء . ويقولون هذا مكان عدي اي جيد من عذي بالذال عذا
المكان : طاب هواؤه . العيانة المطر المتواتر أياماً وفي اللسان العين مطر
لا يقلع وقيل هو المطر يدوم خمسة ايام أو ستة أو أكثر لا يقلع . رال
الصبي اخرج لعبه يقولون ريل والمريلة : الثوب الذي يلبسه الصبي ليقى
ثيابه من الروال . نأناً في الاكل : أكل أكلاً ضعيفاً . دهبل : كبر اللقمة
ليسابق في الاكل يقولون دعبل تنا كفا الكلام : تعاوراه يقولون فلان
ينا كف فلاناً اي يضايقه . بحجم : غبي أخرق عندهم وفي الاصل من
لا يمكنه النطق بسهولة لعي او فزع او رهبة . فلان مبرطم اي
مغيظ من البرطمة الانتفاخ من الانف والبرطمة غضب مع عبوس .
الرتوت الرؤساء واحدها رت . الاستطراق : طلب الطريق في حدمن

الحدود . بيت فلان مطروق : اذا كان يطرقه كل احد . شحط الثمن :
 بلغ اقصى القيمة ، وهبط نزل . تسوق القوم : باعوا واشتروا ، ما في البيت
 دو مري : احد والاصل تو مري كتبه (بالتشديد) عامته الكتابة ،
 وهجته عامته الهجاء وحفظته الكتاب حملته على حفظه . العزوة
 العصابة من الناس . والمة : الجماعة والجف : جماعة من الناس يقولون
 قام جف وقعد جف عند الكلام على الموأيد . القرفة : بكسر القاف
 واسكان الراء وبفتح الفاء الخلطة والمدانة . طمس على مال فلان :
 اخذه واستصفاه من اطمس على اموالهم اهلكها . قنطر : اغتنى .
 دغر عليه : هجم واقتحم . الهوشة : الفتنة والهيج . البلبلة : تفرق
 الآراء . التلتلة : الزعزعة . الفضفضة : سعة الثوب والعيش ومنه
 تفضفض بهذا المال . فلان متعنفض متكبر . لاص : حاد يقولون هو
 يلوص ولائص سقلبه : صرعه عمل له سقلبا اي شبكاً ورماء به زعر
 بالجهش : دعاه للسفاد يقول الاولاد للاتان زعر . الازعرج زعران
 الحدث . شتر عليه : عابه . عزره : اهانته وشتمه ، قرط عليه مبلغ كذا
 حرمه اياه البجبة : السعة في النفقة وتجبجج في الجلوس اتسع له
 المقعد . لالح المسار : ازاله عن موضعه . التجليط : الكذب وفلان
 يجلط . يقولون هو شرواك بالخير اي مثلك وهو ماشي مع سبره
 اي مع اقرانه والسبر الشبه والهيئة . هو يحبق له كم قرش من حبق

متاعه جمعه . الهبش : الجمع والكسب . يقولون اعطيته الزخم أي
الشدة . حضرت العكرة : الهوشة والفتنة . العزيب من الابل والشاة
التي تعذب عن اهلها في الرعي وابل عزيب لا تروح على الحي
جمع عازب . ويستعملون روح بكر شرق غرب . الزكرة : الزق
الصغير . الدبة : ظرف للبزر والزيت والماء واللبن . يقولون الدبة . الحقة .
الحق . العكة : آلة السمن أصغر من القربة او الظرف . الخلية .
الكوارة . العلبة . الخنجور : قارورة للذريعة . القشوة : صندوق صغير
ذو ادراج تجعل فيه المرأة ما يصالح ولدها من المراهم والذرور والمساحيق
والقطن وفي اللغة قفة من خوص لعطر المرأة وقطنها . البطة الدبة
او اناء كالقارورة . الدولة شيء مثل المزادة ضيقة الفم (قاموس)
وهي عندهم ابريق تغلى به القهوة . الطابونة فرن في الارض وطابون
القداحة الحراق . كف الثوب ولقعه وغبنه وشلته وخبته ورقيقته
ورفوته وفتقته ولقطته وبطنته يستعملونها على معناها في الفصح ،
ثوب مريح فضفاض متسع . الصوبة (ويقولون الصبة) الكدسة
من الخنطة والتمر وغيرهما . روشم الطعام ختمه والروشم اللوح .
الزواق زوقت المرأة . قش وقشقش اكل من ههنا وههنا
والشيء جمعه يقولون فلان يقشقش الباقي من الطعام . يقولون الحب
طيس واللبن طيس كثير من طاس يطيس كثير . اللخن قبح الكلام

يشتقون منه فعلاً يقولون فلان يلخن لفلان بالكلام أي يكلمه كلاماً
قبيحاً ويوري له . نوز قلال يقولون . نوس : الضوء قلال من اضاءته
يقولون فلان ينتظر فلاناً على عترة (بالتاء) وفصيحتها بالتاء كما يقولون
التغرة بالتاء وهي بالتاء ويقولون درع في السباحة : اي اتسع وهي
بالذال ذرع كما يقولون ادرع هذا اي ازرعه اي قسه بذراعه .
وبحتر واصليها بحثر الى غير ذلك . يقولون انا اكنكن من كنكن :
كسل وقعد في البيت .

هذا نموذج ضئيل مما بقي في كلام اهل الغوطة من الفصيح العربي
ومن اراد التوسع في الفاظ الغوطة فعليه ان يرجع الى ما نشرناه
في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي
تحت عنوان الفصيح والمولد في كلام اهل الغوطة وهناك يقع على
الفاظ كثيرة داخلية في الزراعة اليوم وهي من اصل سرياني والفاظ
كثيرة في الادوات والآلات جاءت من الفارسية . عدا ما هناك من
الفاظ رومية وتركية .

الفصل السادس

الطرائق الزراعية في الغوطة

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الاخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في ارجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم يتسرب اليها من الاساليب الحديثة الا قليل ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلاحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على اصول الاجداد ، مع الاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة . ومعظم ما أبدعته فيها الايدي والعقول لا يبدو عليه اثر التجدد الا بقدر الخال في الوجه الجميل ، ذلك لان من عادة الغوطين الا يبادروا الى اقتباس المحدث الا اذا قامت البراهين المحسوسة على عظيم فائدته ، ويعصون على ما لم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة ارضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات كما عرفوا بصبرهم على مني القحط .

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس والنبيد
والجلاب من غنهم والعصير (القمر الدين) والنقوع من مشمشهم
والعطور من زهرهم ووردهم ، والصابون من زيتهم ، والاجبان
والسمون والزبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسمهم
والذشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيتهم ، ويعالجون
استخراج الياف القنب على أسلوبهم ، ومنه يتخذون حبالهم
وخيوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سخيائهم ، ويحيكون
من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من اخشابهم أدوات زراعتهم
وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبنائهم
من ترابهم ، وما برحوا يعلفون دوابهم بالقديم من طرائقهم ،
ويحرثون الارض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما اعتاد آبائهم .
وما جلب بعض الغوطيين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها
لارواء صعيدهم الا لما اعوزتهم المياه تجري من أنهارهم ، وشحت
الجدول في بعض السنين فخافوا أن تصوح ادواحهم ، وما عرفوا
الاسمدة الكيماوية الا عندما اختلطت بالاسمدة الطبيعية مواد
ظهر ضررها في محصولهم ، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم الى
تسميده وتجديده من الارضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي
اوجدها احد مواطنيهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذراة حين

هبوب الريح مما يطيل أمد نزعها من تنبها، وتضيع عليهم بعض حباتها .
والغوطة السمحة التربة ، المعتدلة الهواء ، الصافية الاديم ، تعطف
على الفقير أيضاً لا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل
من أبنائها أجوراً تنسيهم بعض اتعابهم فلا تعتمد الى الآلات
والادوات الحديثة الا في احوال شاذة . الغوطة تنوق الغلطة التي
وقع فيها الغرب لما استعاض عن الايدي العاملة بما اخترع من
الآلات ، فهي لا تريد أن تبدع ما يكثر به الناقون والموتورون ، ثم
تعم الشيوعية والاشتراكية وفيهما الفوضى والبلبلة .

ورت الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع
والاشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة
تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما نقلوه
عنهم . واتقنوا بفطرتهم معرفة اوقات الزرع وجميه واوقات نضيج
الثمار والبقول ، وأساليهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون
أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب
عليهم تطبيقه والانتفاع به حق الانتفاع . رسخت في نفوسهم
طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تهديهم الى طرق جديدة يتبعونها ،
ونذر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الاصول الحديثة ، اكتفاء
بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة واجب تعليم الغوطين فيما تربو به مكاسبهم
وتعتقد فيه هناءتهم وناعم عيشهم . وعليها ان تقيم لهم المخابر
والمشائل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شا كل ذلك على ما يقضي
به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها
انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين عملاً يقتاتون به . ولو صرفت
العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية
الدواجن والطيور لكان للغوطة من ذلك أرباح ثابتة لا يستهان
بها تُضاف الى ريع أرضها واشجارها ، فان البقر البلدي والماعز
البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثل في
سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما يدر من الالبان الجيدة . وهذه الانواع
من الماشية لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمرى غير
مراعيها ومياهها بيد أن اصحاب الاملاك والفلاحين اصحاب
الاراضي يشكون مرّاً الشكوى من اضرار الماعز بالاشجار وسبيل
اتقاء مضرتها أن تقيّد أبداً او تختار لها مناطق خاصة ترعى بها
بعيدة عن الاشجار ، ويسقط النحل ، بما في الغوطة من أشجار
مشمرة وأزهار عطرة ، على غذاء شهى ندر مثله في الاقاليم الاخرى
كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعها ما ظهر في اقطار
أخرى من صناعات ، فعطلت صناعاتنا او اضعفتها لقلة الصادر

منها الى الاقطار ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة أيضاً لانتشار الكيمياء وكما بارت منسوجات القطن والكتان والحرير ثم عادت بأخرة تنهض نهضة مباركة .

وقد أبقي لنا شيخ الربوة صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة ووردها ، قال : ان حرقته تلقى على طرقات المزة وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير ، ويكون ألد من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانايق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ؛ وما هناك من كركات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلاماء بل بوقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والشقشقيق والهندباء او بورق القرفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . وما أروحه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولاخيه قطعة بأرض تسمى شور الزهر طولها مائة وعشر خطوات ، وعرضها خمس

وسبعون خطوة ، باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم وذلك سنة خمس وستين وستمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

نعم ليس في الغوطة اليوم من الصناعات ما يسد عوز اهليها فهم يشخصون الى العاصمة في استبضاع ما يلزمهم من اثاث وملبوس وادوات ومآكل المرفهين من اهل المدن ومن آنس من ابنائها ميلاً الى بعض الصناعات يغدو ويروح الى دمشق يتعلم ما تهفو اليه نفسه كعمل الاحذية واصلاح الادوات والسيارات وقد نجح كثيرون في هذا الشأن يبيتون في قراهم ويعملون بهارهم في الحاضرة واكثر من انتفعوا من قربت قراهم منها او كانت على خط الترام كجوبر وزمكا وعربيل وحرستا ودومة . وككفر سوسة والمزة وبلدا وبيلا وجرمانا والمنبيحة وصحنايا .

وفي العهد القديم كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في عقرباء العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم ليست كذلك ، ولا يجود هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا . ويجود في مدينة دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان ينسب القماش الى عقرباء ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الاغلب روى البدرى انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها

اربع فواكه كالشمش والوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل
الثلاث واقهن اللونين من الفا كهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا
(القرن التاسع) فاني رأيت بها الكرمه الواحدة تطرح العنب الايض
والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيرين شجرة توت تطرح التوت
الايض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم ،
وذكر صورته كما هي معروفة اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز
وغيرهما مما يليق ان يجعل كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها
وتفويقها ، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضي على انفع
لباس اخترعه العرب في الدهر السالف ، وهو صالح لكل زمن
لأنه لباس وغطاء ووظاء ، بقي البرد والحر ويتجمل به الرجال والنساء .



الفصل السابع

متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ،
وحنوا اليها حنو الحبيب على حبيبه ، ومنها ما تغيرت أسماؤه .
وتفرد صاحب نزهة المشتاق بذكر وادي البنفسج قال انه من
باب دمشق الغربي وطوله اثنا عشر ميلاً وعرضه ثلاثة أميال
وكله مغروس باجناس الثمار وتسقيه خمسة أمهار . وفي عدد الأميال
مبالغة كبيرة لأن هذه البقعة أضيق من ذلك بكثير الا أن يكون
الميل أصغر من الميل المتعارف .

ومن متنزهاتها (سَطرا) و (مُقرا) وفيهما يقول عبد الرحمن
ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية :
خليلي ان وافيتما الشام بكرة وعانيتما (الشقراء) والغوطة الخضرا
قفا واقراء عني كتاباً كتبته بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)
وقال البحري يمدح خمارويه :

أما كان في يوم الثانية منظر ومستمع نبي عن البطشة الكبرى

وعطف أبي الجيش الجواد بكرة مدافعة عن (دير مران) أو (مقرى)
ويؤخذ من بيت لتوفيق بن محمد النحوي أنه يُخرج إليهما
من باب الفراديس :

سقى الحيا أربعا تحيا النفوس بها ما بين مُقرا الى باب الفراديس
و (الشقراء) مطلة على المرح الأخضر ، وعندها اليوم طاحون
يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مُقرا) المكان المعروف عند
طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) شرق جامع
منجك قرب برج الرؤوس^(١) .

ويقول ابن الساعاتي :

فسقت (جلقاً) فأيام (سطرا) كل يوم عيد علينا أعياد
بلد حسنه يُفقه من كان بليداً حتى يفوق لبيدا
وفي سطرا ومقرى يقول ابن حيوس (٤٧٣) :

وياجبذا ريح على ما تحملت	تروح بريئا كم من الشام أو تغدو
تهيج أشواقاً وتنقع غلة	ففيها الضنى والبرء والصاب والشهد
وربع مقرى لا العقيق ولا اللوى	وورد بسطرى لا العرار ولا المرد
وحالية بالحسن خالبة به	تعرضها هزل واعراضها جد

(١) راجع فصل القصور الدائرة .

قال العارفون : وكل من الشرفين يطل على الشقراء والميدان
والقصر الأبلق والمرجة .

وصف مجير الدين بن تميم الميدان قال :

عجباً لميداني دمشق وقد غدا كل له شرف اليه يؤول
والنهر بينهما لغير جناية سيف على طول المدى مسلول
وكان (البلخي) متنزهاً حسناً بين سطرًا ومقرا . روى البدري
ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت
أشجارها ، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها
في الماء ، ويلقون قشور النارج موقدة في الأشجار ، ويضربون الخيام
في بستان الحجاب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانشراح .
ومن متنزهاتها (جسر الغيضة) بين الحديثة وجسرين على بردى
وبالقرب منه (نصيب) وفي نصيب يقول الراعي :

وفي (نصيب) جفيل الأطيّار ومجمع الأزهار والأشجار
ومجمع الأمواه (جسر الغيضة) وحيثما يمت تلقى روضة
ومن متنزهاتها الربوة . قال ابن طولون الصالحى : أعظم متنزهاة
دمشق (الربوة) كان بها أربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان
بها (التخت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة
الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان

بها خمسة مقاصف ^(١) اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ،
وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف
الجبل الغربي وشماليهما برج عتيق يسمى (العذول) . وقال :
انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى
للوحوش . قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان ياسي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكي (ثوري) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبها شبابة كم بها من (عاشق) سهدا
قال بدر (جهتها) والدف (ربوتها) وخلصها مات في (خلخالها) كمدا
و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك)
و (الجهة) و (الدف) كلها من متزهات دمشق في غربي المدينة .
وفي الجنك والدف يقول الوداعي :

ياربوة أطربتني وحسنت لي هتكي

اذ لست أريح فيها ما بين (دف) و (جنك)

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان
كان فيه سمان وشرائح ومقاصفي وقد خربت ، وشرقها في الطريق

(١) التقصف : اللعب والعب على الطعام والشراب ، والمقصف محله
وكانت المقاصف قبل أن تكون المقاهي وكلاهما يتشابهان .

المذكور (الجهة) ، على حافة نهر بردى فيها مسجد ودكاكين
ومقصف . وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة
فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية)
من متنزعات الصالحية وقال انه مرَّ أيضاً في طريقه الى الربوة
بالنيرين والجنك والدف والميطور وهي أسماء متنزعات . وقد مدح
الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادي (النيرين) سقى	رباك عني من الوسمي مدرار
كم مرَّ لي فيك أيام هواجرها	أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشبيبة بكر في نضارتها	وللصبابة احلاف وأنصار
حيث الرياض تغني حائرها	(بالدف) و(الجنك) و(الميطور) لي جار
حيث الخائل أفلاك بها طلعت	زهر من الزهر والندمان أقار
ومنها (جسر ابن شواس) وفيه يقول فيان الشاغوري (٦١٥)	
يا حبذا جنة (باب البريد) بها	والحسن قد حشيت منه حواشيه
فالمرج) فالنهر فالقصر المنيف على	القصور (بالشرف الاعلى) فثانيه
فالجسر (جسر ابن شواس) فنير بها	تحلو معانيه لا تحلو مغانيه
كأن في رأس عليين (ربوتها)	يجري بها كوثر سبجان مجريه
تلك المراع لارضوى وكاظمة	ولا العقيق يوازيه بواديه
ومنها (الخنيسيات) قبلي مغارة الجوع وانما سميت بذلك لأن مبتدأها	

كان لزيارة الأموات والآل للفرجة يهرع اليها الناس أيام وجود
الثلج وحب الآس (قاله ابن طولون) .

وتشوق أبو المحاسن الشواء الحلبي الى متزهات دمشق ،
ومنها ما دثر اسمه اليوم ، بقوله :

عاطياني حديث (سطرا) (ومقرا)	وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشرب كاسات خمر	شغلتي عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهما) بلهو	وعلونا (بالقصر) و(السهم) قصرنا
ومررنا (بدير صران) نشدو	فيه نظماً وتسجع الورق نثرا
تفتياً ما بين (ارزة) و (القا	بون) دوحاً يبدل القيقظ قرا
ان عندي يا (بيت أبيات) و(الس	يلون ^(١) شوقاً اليكما مستمرا
بأبي (برزة) فكم قد برزنا	نتهادي فيها الى القصف جهرا
يا خليلي ساعداني واني	كنت بالحب قبل ذا اليوم غيرا
خبراني عن (القصير ^(٢)) و(حرنا)	بخبير وددت لو كان خبرا
(معربا) و(الدريج ^(٣)) و(التل) جنا	ت بعدنا عنها ولم نأت وزرا

(١) بيت أبيات حارة كانت غربي الصالحية . قاله ابن طولون الصالحى - ولم
يذكر في المراجع اسم سيلون

(٢) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كفر سوسية . والقصير قرية قرب دومة

(٣) معربا والدريج وحرنة ومنين والثنية ثنية العقاب من قرى جبل سنير
أي قلمون ، شمالي الغوطة وليست منها .

و (مَنيْن) بها مناي فن لي
 فثنايا على (الثنية) قصا
 عللاني (بكفر بطنا) و (جديا)
 واسألا لي عن (جوبر) ثم (جر)
 ولكم بين (دومة) و (حرسا)
 ودَّ جفني ان لو غدا بين (يروى)
 (فلقيلين) بات قلبي مشوقاً
 (بزمك) و (عين ثرما) و (سقباً) (٣)
 لي رياض كأنهن السما
 أن أقضي فيها من العمر شطرا
 وابسطالي عذراً بأكناف (عذرا)
 وذرائي من ذكر لبي وعفرا
 مانا) فلي فيها مأرب أخرى
 غرف توقف النواظر حسرى
 و (كثار) (١) يكثر المزن قطرا
 و (لعرين) (٢) ظلت العين عبري
 و (بحسرين) ظلت اربع (٤) شهرا
 ت تضاهي زهر الكواكب زهرا

(١) ان كلمة كثار ويروى اسم قريتين أو منتزهين من منتزهات الغوطة على ما يظن .

(٢) عربين محرفة عن عربيل وهي من امهات قرى الغوطة كان يطلق عليها احد شعراء دمشق من المتأخرين اسم « ذات القرنفل »

(٣) ادعى العلامة دوسو في كتابه طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى ان سقبا لا اثر لها مع انها اعظم قرى الغوطة الوسطى وكانت عامرة منذ كان الاسلام وكذلك اخطأ في انكاره وجود « حوش خرابو » و « حوش الحياط » وهما معروفان عامران ولم يعين عيون فاسريا مع انها معروفة في سفح جبل دومة كما قال ان الابرشية ينبغي ان يفتش عليها في ضواحي دمشق او خارج الغوطة مع انها من مزارع « الريحان » والريحان والابرشية من المرج . قال ان جسرين عرفت بنحشها والحشب يكثر ويجود في قرى المنبحة والحديثة وبالا .

(٤) اربع أهنا

ثم قصاً عليّ أخبار (أشفا
فلنا حولها مطارح لهُو
(حلفبانا) و (بيت قوفا) و (بيد
انتحي حينما توجهت ظلاً
ولنا تحت دوحها حرم نأ
(بحجيرا) و (تلفيانا) و (دير الببا
دمن لو أقيس حسن دُماها
واذكروا (عقربا) و (دير العصاف
فالى (بيت رانس) و الى (دير النوا
ولنا (بالبلاط) أوقات أنس
كم فتكننا بالهم فيها وأوسع
وشمنا من روض « راوية » نف
يا ليالي « بكفر سوسية » كانت
ويك عودي لا اخضر عودي انرم
فسقى واكف الحيا (ربوة) ذا
جاء في محكم الكتاب لها وصف

نية) تغما بذلك اجرا
مسّ كف الحيا ثراها فأثرى
لا) و (يلدا) قرى بها أنا مغرى
وأرى حيثما تلفت نهرا
وي اليه اذا الهجير استمرا
لسي^(١) انهمكت في اللهو سرا
بسواها لجئت شيئاً نُكرّاً
ير^(٢) لسمعي ان شتما ان تنسرا
طير^(٣) هزني الشوق سكرا
نحتليها بمحلات مُغراً
نا صروف الزمان هجراً وهجرا
حة ربح اذكى من المسك نشرا
وهي « بالمزة » الانيقة زهرا
ت مدى الدهر عن جنابك صبرا
ت قرار يهمني ليالي عشرا
فـ اذا يقول من قال شعرا

(١) من القرى التي لم تعرف

(٢) من قرى المرج . (٣) قرية أو منتزه لم نر له ذكراً في الكتب .

وقال آخر في وصف وادي دمشق من قصيدة :

رقصت قضبه وغنت قماريه وسلساله يصفق بشراً
وسمت في قرارة الأثر السبـ عة سعي الحيات ينفرن ذعرا
فدمشق من أحسن المدن داراً وهي من أعظم الاماكن قدرا
وتراها كالشام في جنة الشام فدع ذكرك العراق ومصر
ومن متزهات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية
قال البدرى : وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور
ومياه تجري بهدير كالبحور ، وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها (نصيب) ولا (سهم)^(١)
وفي السهم يقول ابن الساعاتي :

وما بحت لولا نفحة جلقية حبس عليها طل دمي ووابله
سُلافية الأنفاس مسكية الصبا وآخر تهامي اليها أوائله
حبيب إليّ (السهم) تندی شماله وأعطاف بان (السفح) تُزهي شمائله
لنجدية أفاؤه وظلاله وسحرية أسحاره وأصائله
وزال هذا المتنزه ، واسمه مازال شائعاً على الألسن ، وقد أورده

ابن الزاعي بالثنية (السهمين) .

(١) ونصيب متنزه أيضاً .

ومن متزهاتها الخلل ، وكان هو والمنبيع محلتين ،
وفي محلة الخلل سوقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن
الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك المنبيع والشرفان وبه تدق
طبلخاناتهم وبها زاويتان ، وفي المنبيع محلة وسوقة وحمام وافران
وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها
نهر بانياس ونهر القنوات على بابها وبجوارها دار الأمير ابن منجك
(قاله البديري) .



الفصل الثامن

وصف الغوطة

أعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون إليها في الجاهلية
فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول
عليه الصلاة والسلام. ولما كان العرب في شر المنازل أهل الحجر
وأهل المدر وأهل الدبر (الجبل) كانوا يدهشون كلما ابتعدوا
عن الجزيرة وضربوا في سمت الشمال فاذا صاروا الى الشام ولاسيما
عاصمتها وغوطتها يعجبون بأشجارها وزروعها ، ومنها ما لا يُعرف
في جزيرة العرب ، ويدهشون لخصبها ومياها الدافقة وقد فارقوا
واديًا غير ذي زرع . ولا عجب أن تغنى الشعراء في الاسلام بالغوطة ،
واعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارزمي :
ان جنان الأرض أربع : صُغد سمرقند ، ونهر الأبله ، وشعب
بوان ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه
فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ،
وقال : كأنها الجنة وقد زخرقت وصوّرت على وجه الأرض .
يتألف من مجموع ماورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة
ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء

مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف
والعاطفة والتاريخ . وأرض كلها شعر لا يستغرب فيها أن توحى
الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها
مجمعين على محاسنها ونحن نقطف طاقات من تلك الأزهار
نقدمها ذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات ومباهج .

أطلق البحري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته
التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك إلى عاصمة الشام
وهي التي يقول في مطلعها :

العيش في ليل (داريا) اذا بردى والراح تمزجها بالماء من (بردى)
الى أن قال :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها	وقد وفى لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد	مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقا	ويصبح النبات في صحرائها بددا
فلمست تبصر الا واكفا خضلا	أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته	أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفي الشام يقول :

عنيت بشرق الارض قدما وغربها	أجوب في آفاقها وأسيرها
فلم أر مثل الشام دار اقامة	لراح اغاديها وكأس أديرها
مصحة أبدان . ونزهة أعين	ولهو نفوس دائم وسرورها

مقدسة جاد الربيع بلادها
وقال الصنوبري :

أمر (بدير مران) فأحيا
وببرد غاتي (بردى) فسقياً
تفيض جداول البلور فيها
فن تفاحة لم تعد خدأ
ونعم الدار (داريا) ففيها
ولي في (باب جيرون) ظباء
هي الدنيا دمشق لسا كنيها

وقال ابن منير الطرابلسي :

حيّ الديار على علياء (جيرون^(١))
مرآد لهوي إذ كفي مصرّفة
رايا^(٣) فجوّ حواشي جسر (جسر ين)
(بالتيربين) (غمقري) (فالسري^(٢)) (جـ)

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها -
قاله ياقوت في المعجم . وفيه أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً
من أبواب الجامع بدمشق وهو باب الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة
ينزل عليها بدرج كبير في حوض من رخام وقبة خشب يعاود ماؤها
نحو الرمح .

(٢) لم نهتد إلى السري والغالب أن الشاعر استعملها للتعبير عن المهد
لان من الاساطير ان في الربوة مهد عيسى .

(٣) ليست جمرايا من الغوطة وهي مزرعة فوق الهامة من الغرب وفيها
قال الشاعر الواساني من شعراء اليتمية قصيدته البديعة فيمن آذوه بالتزول عليه .

جريت بحمراء الكهيت الى (الشقرا) مقر الهوى حسنا و اعرضت عن مقرا
وابصرت ما بين (الميادين) سائلا فلم ار الا ان اقبله نهرا
فله ايام تولت بجاني (يزيد) فقد كانت لبهجتها العمرا
وما كان مقصودي يزيد و برده ولكن قصدي كان ان انظر الزهرا

وقال ابن الدهان الموصلی من قصيدة :

نشوى تغني لها ورُق الحمام على أوراقها ويد الاثواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها حتى صفا الظل و ابيضت أعاليها
وصفق النهر و الاغصان قدر قصت فنقطته بدرّ من تراقبها
كأنما رقصها أوهى قلائدها وخانها النظم فاثالت لآليها
وقابل الغصن غصن مثله و شدت أقمارها فأجابتها قاريها
ومنها :

سما دوح ترد الشمس صاغرة عنا وتبدي نجومًا في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ممدودة للنجوم الزهر ايديها
اذا الغصون هز زناها لنيل جنى صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة تخالها جمر نار في تالفيها

وقال موفق الدين بن عبد السلام من قصيدة يصف دمشق منها :
 وانهارها ما بين ماء مسلسل من الريح او ماء من الدفق مطلق
 واشجارها من كل جنس مقسم واثمارها من كل نوع منمق
 وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

اماترى الارض اذ أبكى السحاب بها آذارها ضحكت اذ جاء نيسان
 والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأَبصار الوان
 زمرد قضب فيها مركبة جواهر ويواقيت ومرجان
 كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجا وهو ريجان
 كأن منشورها اذ لاح مبتسما جيش من الروم بانث منه صلبان
 كأنما البان اهدى المسك حين بدا فَعَطَّرَ الكون لما أوردق البان
 كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرياض فكل الكون نشوان
 كأنما حمرة التفاح خدت رشا لي في هواه عن السلوان سلوان
 كأن نارنجها نار وباطنه تلج وفيه لجين وهو عقيان
 والطير تطرب بالعيدان نغمها ماليس يطرب بالأوتار عيدان
 أبدت فنونا فأفنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان
 بلابل هيجت منا بلابلنا وهاج منا صبايات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :
 مواطن فيها (السهم) سهمي فكنا نحت مطايا اللهو فيه ونعنع

كلا جانبيه مُعَلَّمٌ بمجمد
 اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب
 وان فرج الأوراق جادت بنورها
 أطل عليه (قاسيون) كأنه
 تسافر عنه الشمس قبل غروبها
 وتصفّر من قبل الأصيل كأنها
 بدائع من صنع القديم ومحدث
 رياض كوشى البرد تزهو بحسنها
 فمن نرجس يخشى فراق فريقه
 ومن كل ريحان مقيم وزائل
 كأن قدود السرو فيه موائساً
 اذا ما تداعت للتعانق صدها
 وقصر يكل الطرف عنه كأنه
 زها ببديع الوشي حسناً كأنما
 وكم جدول جار يطارد جدولاً
 وكم بركة فيه تضاحك بركة
 وكم منزل يعشي العيون كأنما

من الماء في اطلاله يتدفق
 وان حجبها دوحه فهو أزرق
 فرقم^(١) أجادته الا كف منمق
 غمام معلّى أو لغام معلق
 وترجف اجلالاً له حين تشرق
 محب من البين المشتت مشفق
 تألق فيه المحدث المتألق
 جداولها والنور بالماء يشرق
 ترى الدمع في أجفانه يترقق
 تضاعف رياه الرياح فيعبق
 قدود عذارى ميلها يترقق
 عيون من النور المفتوح ترمق
 الى النسر نسر في السماء محلق
 مدبّج روض في نواحيه ملصق
 وكم جوسق عال يوازيه جوسق
 وكم قسطل في الماء للماء يدفق
 تألق فيه بارق متألق

(١) الرّقم ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود .

وفي (الرَبوة) السماء للقلب جاذب
 فهمام بها الوادي ففاضت عيونه
 تكفل من دون الجداول شربها
 اذا أشرف الولدان من شرفاتها
 وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر
 اذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً
 رأيت به بجرأ من الدوح مزبداً
 تميل مع الأفنان فيه كأنها
 وتعطف اعطاف الغصون حمامة
 وتجمع فيه كل حسن مفرق
 كأن رياض (الغوطتين) جنوده
 وهكذا أجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات
 وجسرين والصالحية وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها
 وتوفي سنة ٦٩٧ .

وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة
 أيضاً ويذكر أرباضها ورياضها بدأها بقوله :
 لي نحو ربك دائماً يا جلق شوق أكاد به جوى أعمق

الى أن قال مخاطباً دمشق :
ولكم أحدث عنك من لاقيته
والأرض في عرض وطول دائماً
لله (وادي النيربين) وظله
وسقى ديار (الصالحية) وابل
و (السهم) ما افترت تغور أقاحه
كم فيه من قصر منيف مشرف
(وببيت لها) لا تعداه الحيا
هو منزل آثاره مشهورة
وحباك يا أطلال (جوبر) واصلا
لله سرحة ذلك الربع الذي
و (القصر) و (الشرفان) و (الشقراء) و (الميدان) عشقا الذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة
فمخضب ومؤزر ومعمم ومززر ومبرقع ومقرطق
و جميع من سمع الحديث يصدق
لم يحو مثلك غربها والمشرق
لا (الرقتين) و (رامة) و (الابرق)^(١)
يهمي على تلك المنازل مغدق
الا ودمع سحابه يترقق
يبدو به قمر منير مشرق
طلل عليه من النضارة رونق
ولأهله عهد علي وموثق
غيث مررع مستهل مشفق
قلبي يهيم به وذاك الجوَّسق
و (القصر) و (الشرفان) و (الشقراء) و (الميدان) عشقا الذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة
فمخضب ومؤزر ومعمم ومززر ومبرقع ومقرطق

(١) الابرق والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة
اماكن تضاف الى أمكنة أخرى . ورامة منزل بينه وبين الرامة ليلة
في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني برامتين سلجما .
والرقتان تثنية الرقة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان
احدهما قرية من البصرة والاخرى بنجد .

كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الغصون تحديق
وكأن أشجار الرياض سرادق في ظلها من كل لون مُعرق^(١)
والورد بالألوان يحلو منظرأ ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلا بل منها تهيج بلا بلا وكذاك أثواب الشقيق تشقق
وهزاره يصبو الى شجورره ويجاوب القمري فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادق عود حلا مزومومه والمطلق
والورق في الاوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخلي الموثق
تتلو على الأغصان أخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق
وقال شيخ الربوة في الغوطة (٧٢٧).

شموس وأقمار من النور طلع لذي اللهو في اكنافها متمتع
كأن عليها من مجاجة طلبها لآليء الا أئها منه ألمع
نشاوى تنهيه الرياح فتنتي يعانق بعض بعضها ثم يرجع

(١) النمرق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق .

وقال تاج الدين الصرخدي من قصيدة وكتب بها من مصر :
 اشرف على الشرف الاعلى اذا سبحت
 في يوم سبت ترى الوفرات جائلة
 وسهمها حي ذاك « السهم » فهو لقا
 واقرا السلام على (الوادي) وسرحته
 وقف (بمسجد خاتون) فان به
 وان اتيت الحمى وهنأ فحي به
 وبرز (ببرزة) حيث الماء منحدر
 يشفي الغليل برياه ويسعدها
 وامطر دموعك بالميطور وابك على
 وسل حمائم ذاك الدوح مبتكراً
 حيث الشقائق تلقى خدها خفرا
 والترجس الغض قد اضحت مجامره
 الى أن يقول :

ما المقس داري ولا السبع الوجوه أرى
 ولست آسف يوماً أن طعنت عن (الم)
 ولا أرى نظراً (الاهرام) يقنني
 كلا ولا ساحة (القصرين) تقطعني
 المقام فيها وليس التاج يعنني
 قياس (والنيل طام مثل جيحون
 عن جوسق في ربي (جنديا) و (زبدین)
 عن حسن جامعها يوماً وتلهيني

ولا القرافة تثني زيارتها
عن قاسيون ولا الارصاد تسليني
ولا أرى زهتي في اللوق لاثقة
من بعد سطر او مقرى والطواحين
ولا تعوضت عن باب البريد بما
اراه في الليل من سود الداخين
هذا حديثي وما حال الزمان ولا
طال المطال وعندي من يسليني
سأرحل العيس عنها وهي صاغرة
الى الشام وادنى الرزق يكفيني
اسعى له فيعنيني تطلبه
ولو قعدت اتاني لا يعنيني
ولعبد المنعم الجلياني الاندلسي شاعر صلاح الدين قصيدة في
الغوطة مطلعها : عهود ليلى وما ضمت لياليها
قال فيها :

وليلة (الربوة) السماء معامة
حتى الصباح بروح الذكر نحيتها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها
قد بوركى بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سد مسربها
لطم شاخه الآطام طاميتها
كأنها الحجر الملقى عصاه به
موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها
خيطة بلبات آكام تواليها
معينة بحار يلتظمن بها
مُعينة خيار أختبوا فيها
وصخرة (المزة) الغراء ناطحة
قرن الغزالة في مبدا تجليها
محلة السفح ماشيب السفوح بها
بل مثل ماروق الصهباء ساقها
يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر
فلن يحلّ الوبا أطراف ثاويها

إن الهواء إذا رقت مناسمه
واذ كرضى الشرف الاعلى اذا طلعت
ومنظراً يستبي الألباب رائعه
يرنو الى (بردى) ينساب في برد
تكسر الماء بلوراً وراكده
وحيث شئت فأشجار تمد على ال
فكل صورة أنس في منازلها
لولا أمور وأرزاق مقدره
وقال امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين يصف الغوطة

من قصيدة :

آمنت بالله واستثنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت خمائلها
جرى وصفق يلقاناً بها (بردى)
دخلتها وحواشيها زمردة
والحور في (دمر) او حول (هامتها)
و (ربوة) الواد في جلباب راقصة
والطير تصدح من خلف العيون بها
دمشق روح وجنات وريحان
الارض دار لها (الفيحاء) بستان
كما تلقاك دون الخلد رضوان
والشمس فوق لجين الماء عقيان
حور كواشف عن ساق وولدان
الساق كالسمة والنحر عريان
واللعيون كما للطير الحان

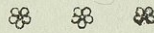
(١) الخوق من حاق الشيء يحوقه : دلكه وملسه .

وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو أصباغ وألوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتعدت لدى ستور حواشيهن أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذبال وأردان
خلفت (لبنان) جنات النعيم وما نُبتت أن طريق الخلد لبنان
ولصديقنا الأستاذ السيد خليل مردم بك الدمشقي من المعاصرين
قصيدة يصف فيها ما في الغوطة من جمال وروعة :

غوطة دمشق

كم في أزاهير الرياض لناظر	من مقلة وسني وخدي ناضر
ماست أماليدُ الغصون بوشيا	معطارةً وازينتُ بجواهر
لله ما صنعتُ وما جادتُ به	في «الغوطين» يدُ الربيع الباكر
بسطتُ وثيرَ قطيفةٍ فوق الثرى	خضراءٍ فيها كلُّ لونٍ زاهر
من أحمرٍ قانٍ وأصفرٍ فاقعٍ	أو أزرقٍ زاهٍ وأبيضٍ سافر
وكستُ وحلَّتْ سمحةً أشجارها	فخلتُ عرائسها بوشيٍ فاخر
معقودةً الاكليل زهراء الحلى	خفّاقةً الاقراط ذات أساور
أرختُ من الظل الظليل غصونُها	طُرّاً وأذبالاً وفضلَ ما زر
حيّاً جنان «الغوطين» وجادها	سمّحُ القياد من السحاب الماطر
حلمٌ من الإبداع فيها ماثل	من دونه يعيا خيالُ الشاعر
تتناثر الأزهارُ في أجوائها	مبثوثةً مثل الفراشِ النائر

فَنَنْ يُرْنَحُهُ النسيمُ كأنه
عَرَقَتْ جِباهُ الزهر من قطر الندى
كالبكْرِ يرشحُ للحياءِ جبينها
وإذا الرياحُ نأوْهتْ سقط الندى
وترى الجيمَ إذا الرياحُ تناوحتْ
وشقائقُ النعمانِ في قيعانها
والشمسُ من خللِ الفصونِ على الثرى
وترى الجداولَ كالوذيلةِ رونقاً
والأليكِ في شطآنها كنعاماً
نشوانُ من نَفَسِ برودِ عاطرِ
ملتفةَ الأعناقِ ذاتَ تَاطُرِ
عرقاً إذا ضُمَّتْ لصدرِ الهاصرِ
من كل زاهرةٍ كدمعِ هامرِ
متموجاً مثلَ الغديرِ المائرِ
تقطعُ أكبادِ وشقِّ مرائرِ
كدراهمِ أَلَقَتْ بهما يدُ نائرِ
من مستقيمِ في المسيرِ وجائرِ
مَدَّتْ بأعناقِ لها ومناقِرِ



مرآةُ أحلامي ومرتعُ صبوتي
في كل مغنى من فؤادي شعبةُ
وتكادُ أخيلاتي تطلُّ عليَّ في
كم جولةٍ لي ثمَّ حائرة الخطي
يقتادني في كل شطرٍ جاذبُ
والزهر يلقاني بشعرٍ باسمِ
وأرى الفصونَ كأذرعٍ ممدودةٍ
وهوى فؤادي بل ومتعةُ ناظري
وبكل وادٍ هائمٌ من خاطري
أرجائها من طائفٍ أو زائرِ
بين الخائلِ كالفرّاشِ الحائرِ
من منظرٍ نضرٍ وحسنٍ باهرِ
وبوجنةٍ حمراءٍ وجفنٍ فائرِ
لتعانقِ من بعد طولٍ تهاجرِ

في كل ربعٍ موقٍ لي وقفةٌ هي وقفة المسحور عند الساحر
أما اليهود وان تقادم عهدُها فريضة الناسي وهمُ الذاكر



قم في مشارف «قاسيون» وعجبها تشرف على صنع البديع القادر
دوحٌ كسامية القباب حيا لها من باسقات الحور مثل منائر
و «دمشق» ما بين الرياض سفينة عامت على عالي الغوارب زاحر
لا تستبين العين في أثباحه مهما تقصصت أولاً من آخر
تبدو الجبال الشم من متعمم شابت مفارقه وأصلع حاسر



تتجاوب الأطيّار في أفنانها من هاتف أو ساجع أو صافر
ياربَّ سوداء الملاءة شمّرت عن ساقها ورنّت بعين مُعافر
مخضوبة الكفين محكي قينة برقت بحمر مراشف وأظافر
وثابة ولها تلفت خائف مترقب ليامن ومياسر
تراقص الأغصان من تغريدها ميّادة لتطاول وتقاصر
غنت بلحن يستثير لواعجاً ويهيج من طرب دفين ضمائر
ريان من دمع ويلهب لوعة كحنين مشتاق وزفرة زافر
والطير لو أبصرت أسعد عيشة ياليت للانسان عيش الطائر

وقال الأستاذ الشيخ فؤاد الخطيب اللبناني من معاصرينا
في الغوطة :

أنا في الغوطة أستوحي الشعور
أحييت الأحداق في رجبها
ان في الغوطة بعثاً ونشور
وأعادت في الأفاقي الثغور

☆ ☆ ☆

ولقد حدثني رمانها
وروى لي البان عن أعطافه
أنه كان نهوداً في الصدور
أنه كان قدوداً وخصور
فلو اجتازت بها الروح لما
كنت إلا بين ولدان وهور

☆ ☆ ☆

نثرت في أرضها حصباؤها
ومشى الجدول في أرجائها
درراً تنجم منها وشذور
كوثراً يسبح فيها ويعور
جلس الزهر صفوفاً حوله
كما استضحك عن لؤلؤة
جل من ألهمها تسبيحها
هكذا الجنة والعبد الشكور

☆ ☆ ☆

سبحي أيتها الطير له
جمع الملف من أغصانها
واملائي الغوطة شدواً وحبور
كنس الغزلان فيها والحدور

والصبا تحقق في أطرافها مثما يحقق في القلب السرور

☆ ☆ ☆

فسل الروض وسل عنا الحمى تنطق الدار وأبراج القصور
وبطون القاع حامت فوقها قم الهضب كأسراب النسور
والمروج الخضر في رآد الضحى لبست ثوبين من نور ونور
كم نفضنا الصدر من كل أسي ونسينا الصد والجذ العشور
وقضينا اليوم في ظل الهوى ليت ذاك اليوم قد طال دهور
وغضيض الأثل عن أيماننا كعذارى الحي أرخين الشعور

☆ ☆ ☆

وخلونا بين أحشاء الربى خلوة الورق جثوماً في الوكور
وتشاكيننا تباريح الجوى حولنا السوسن مستحي غيور
يحمل القول على علاقه ونسيم الروض في الروض نفور
جفنينا الغض من أوطارنا وحظوظ الناس ويل وثبور

☆ ☆ ☆

وأبى العوسج الا فتنه فزوى الشوك بالواذ الصخور
يرصد الغفلة أن يعلق بي علق الفاجر بالعف الوقور

طبعه الوخز اذا استشهدته قبح العوسج من شاهد زور

☆ ☆ ☆

كم وثبنا غلس الليل معاً وثبة البرق خفاء وظهور
نملاً الأعين منا بغتة ثم تخفينا الزوايا والستور
ملعب تعمده الروح فما فيه الانحن والروح حضور
أشرق البدر علينا ورنث نحونا الاثجم كالأعين صور

☆ ☆ ☆

ولبثنا ساعة أو شهبها تتعاطى الكأس من غير فتور
ويد تمسك منا بيد تقصد الرعشة فيها وتجور
وفم فوق فم تسمع من وقع اللثة تترى فتثور
تصعد الزفرة من أنفاسها خلل الأنفاس كالقدر تفور

☆ ☆ ☆

نحن لا نصبر عن حكم الهوى ان عدت الصبر من عزم الأمور
فخذ العفو من الذنب فكم زلة يغفرها الله الغفور

☆ ☆ ☆

مرحباً بالفجر والصوت الذي قرع السمع بشيراً بالبكور

ولقد خطت يد الله على صفحة الكون من الخلق سطور
لفظ المقدار منهم آية بعد أخرى ملأت سمع العصور
فأنهب اللذة في إبانها وذر الغافل عنها في غرور
ودع النوم وإن لج الكرى فعداً تشبع نوماً في القبور
تطبق الأجفان في ظلمتها وهي لا تعرف للصبح سفور



الفصل التاسع

ثمار الغوطة وزروعها

يجود في الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم المعتدلة، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال والموز والنخيل للبرد القارس في الشتاء فان الحرارة تنزل أحيانا إلى خمس وأحيانا إلى عشر درجات وأكثر تحت الصفر.

اشتهرت داريا بعنبها الزيني وغيره ويقل نظيره في أنواع العنب الجيد وقد جرت تجارب بنقل جفئات كرومها وزرعت في غير أرضها فما أتى كالعنب الذي يأتي من كروم داريا. وعرفت دومة بعنبها الأحمر اللذذ، ويجود الزيتون على أنواعه اجمالا في القرى التي تسكن في أرضها الحصباء وليست لزجة التربة كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفر سوسة وبيلا وحوش الريحانية وغيرها، والزيتون في العادة يحمل (يطرح) سنة ويمحّل سنة أخرى لأن أصحابه اعتادوا أن يضربوه بعصي كبيرة تقضي على الطرايين فلا يخلف من قابل. ذكر المؤرخون أن هشام بن عبد الملك

الخليفة الأموي ، وكان بعيد النظر في الأمور الاقتصادية ، وقف يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له فسمع نفض الزيتون فقال لرجل : انطلق اليهم فقل لهم : التقطوه ولا تنفضوه فتفقؤا عيونه وتكسروا أغصانه .

ويجود القنب في الغوطة الوسطى ولا مثيل لجنسه فيما يزرع منه في بعض قرى حلب وغيرها . يجود في أرض الحمدية وحمورية والافتريس وجسرين وسقبا وكفر بطنا وعين ثرماء وزبدین والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا وبيت سحيم وبيت سوا ، أي في القرى التي تسقى من نهري المنيجي والداعيان الذين يحملان أوساخ دمشق كما يجود في أرض الشاغور والعنابة والقنوات والميدان وفي البساتين الواقعة على ضفاف نهرين هذين . ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته قد يزيد على نصف محصولها السنوي من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة . وتستأثر قرية سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده وأليافه .

ولكل قرية أو بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها . فقد اشتركت بساتين الصالحية وقرية كفرسوسة والقابون بالبقول والخضراوات لا يجاريها مجارٍ في هذه السبيل ، يساعد على

هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة . واشتهرت جسر ين
ببزر الفصة وبزر الخيار وعرفت خرستا وما إليها بالبيقية والأيسنون
والسمسم وعربيل بلوزها وزمكا بكثراها ودومة ببطينها الأصفر
وبيللا والقدم بقشدتها والحديثة والمنيحة وزبدین وبالا باخشابها .
وأكثر ما في الغوطة من الأشجار المغلة المشمش على أنواعه ،
ويكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير بمائتيه ونسكته وقد
يفوق مشمش كليفورنيا كما أكد العارفون . واستخراج عصير
المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي - محرفة عن كل آبي ومعناه
بالفارسية ماء الورد - فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون ومنه يستخرج
القمر الدين وهو عصير المشمش يجفف على الدفوف في الشمس
وينقل الى مصر والسودان وسائر بلاد العرب . أما المشمش البلدي
والحموي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه
إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى (الانجاص) والخوخ
والجائزك وحب الآس والصبّار والدرّاق والتوت (التوت العادي
والشامي) والتين والسفرجل والمان والزعرور والزعبوب وغيرها من
الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونسكتهما وحجمها . وكان

يكثّر في الغوطة الزعفران والسكراز والوشنة والكستانة (الشاه بلوط) والبندق والمشمولة والقراصيا والأجلجق (بالتركية قيزلجق وسمينه الأحيمر) فبطل غرس الكستانة والبندق وظلّ القزلقق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرّة كما نسيت زراعة القطر وزراعة التوت لتربية دود الحرير . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان شرقي المدينة تهرع الناس إليها في أيام حل بذر القز للنظر إليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الخلاف يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان ويلحق به شجر الأزد رخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات . وكان يكثّر فيها السرو وكثرت إلى اليوم في أرض الصالحية . وكان إلى القرن الماضي وافرّاً في أرض الغوطة وما كان يخلو بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه ، وذكر بعض المؤلفين انه كان في جبل الصالحية نخل قطعه تيمورلنك لما جاء الشام فاتحاً وقيل ان عددها اثنا عشر ألف نخلة يؤدى عنها الخراج ومن الأشجار الحديثة فيها الاوكالبتوس او الكينا والسنت والاكاسيا

والشمش الهندي (بني دنيا) وبعض أصناف صارت بالتفنن في
التطعيم مثل الشمش الحلو ، ومنها الكراز . ومن البقول البطاطا
والبنندورة . وحاول بعض الغوطيين ان يربوا شجر الشوح وما أظنه
يجود في اقليمنا كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود .
ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

الفصل العاشر

أنهار الغوطة وريها

تبدلت معالم الغوطة كأن الأرض الخصبة تحتاج أبداً الى من يثيرها ويجددها ويسمدها، وتجمد الأرض وتضيع مزيته إذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع . ولذلك كانت أرض الغوطة أبداً في تجدد ومعها تتجدد المرافق والمعالم والمصانع ، وليس في هذا الوجود ما يثبت على الدهر . والغوطة لم يتبدل ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها وهي ما برحت تسقى من سبعة أنهار او جداول كبيرة مشتمقة من نهر بردى ، أو مشتمقة من قنى مثل قناة الشوافة ^(١) نهر الأشرفية ومثل نهر برزة وهو من ماء معربا وتشرب صحنايا من نهر الأعوج ولذلك قال بعضهم ان صحنايا والأشرفية لا تعدان من الغوطة وان رسمها الأرضي يجعلها من الغوطة . ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما ان مصر هبة النيل .

وبردى هذا يشتق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس

(١) وفي سبينة أيضاً قناة الشوافة .

وثوري ويزيد ونهر يزيد هذا حفرة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية
فنسب اليه ، وقيل حفرة يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية
وفي سنة ١١٥ أمر هشام بن عبد الملك القاسم بن زياد بفتح أنهار دمشق
وممن حضره محمد بن يزيد من رجال عبد الملك بن مروان . وفي
نهر ثوري يقول ابن الخياط الدمشقي :

جرى النهر من شوق الى حامل الثرى وأجريت دمعاً شاقه المنزل القفر
فلو كنت يوم البين شاهد عبرتي وعبرته لم تدر أيهما النهر
فيما نهر (ثوري) قد أثرت من الهوى دفيناً أجنته الجوانح والصدر
فلو كان لي صبر كففت مدامعي ولكن من يشاق ليس له صبر
وفي نهر باناس والقنوات يقول الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة:
يا صاحبي سقى منازل جلق غيث يروي محلات طساسها^(١)
فرواق جامعها فباب بريدها فشارب القنوات من باناسها
ويدخل دمشق من هذه الأنهار القنوات وباناس وثوري ويزيد
يحمل قاذوراتها فتكون سماداً لا ينقطع على الأيام يوزع في أرضها
كلما أراد الفوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الفوطة
يضاف الى تربتها الغنية وجوها المعتدل . والنهر الذي يحمل أكبر
قدر من القاذورات يسمى نهر قليط أو قلو ط . وقد يحفر المرء في

(١) جمع طسوج والطسوج المحلة .

بعض الأماكن بالغوطة أربعة أو خمسة أمطار ولا يصل إلى طبقة
الحصباء والحجر لكثافة الطمي أو المادة الصالحة للزراع .

ومن أنهار الغوطة التي تتجمع من بردى بعد خروجه من دمشق
نهر الداعيان ويسقي من القرى كفر بطنا ، جسر ين ، سقبا ، حمورية ،
الاقتريس ، بيت سوا وبعض أراضي عين ثرماء وجوبر . ومن أنهارها
نهر المنحجي ويسقي أرض المنيحة ودير بحدل والخيارة وبعض
الأراضي القريبة من دمشق ، ومنها حوش القواس . ويسقي نهر
ثوري بعض بساتين الصالحية وأرض جوبر وعين ثرماء وزملاكا وحزة
وعربيل ومسرابا ودومة . ولقرية عذراء في المريج سياق خاص منه .
أما نهر يزيد فيسقي أعالي بساتين الصالحية وأرض القابون وحرستا .
يقول ابن عبد الهادي ان لنهر داعية ثلاث عشرة مسكبة وهو
نهر الزلف - ومعنى الزلف الحياض الممتلئة أو الحوض الممتلئ
فاذا كان بالضم فعناه ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار
الآخذة من الليل - وهذا الاصطلاح ما زال معمولاً به في السقيا
في كل قرية .

هذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن أرضها تتبع عدة
قري تسقي مزارعها وأراضيها وما وراءها من أرض المريج مثل عيون
فاسريا فانها تتبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد

وكذلك عيون قلايا في أرض الحمدية تسقي بعض قرى المرج .
ومثل نهري الزابون والملك ينبعان من بردى أو من عين قريبة من
بجراه ويسقيان بعض أراضي جسرين والحمدية والاقريس ومثل
نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلائي (البالائي) يسقيان الحديثة
وبالا وهما مما ينبع من قرارة بردى ويتجمع من مصاصات المياه
المجاورة ومن قرارة نهر بردى يشتق نهر الزيدني فيسقي الحديثة
وزيدن .

ومن القرى ما لا تصل اليه مياه بردى كبعض أرض داريا
ومنها ما يكون معولها في السقيا على القنى كالأشرفية واسم قناتها
شواقة وحوش الريحانية وبلاس وسبينة وسبينات وحجيرة والبويضاء
وقبر الست وبرزة فانها كلها تسقى من قني خاصة بها أو من جدول
قريب كبرزة فانها تسقي من نهر معربا أو من عيون هي في حقيقةها
رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زيدن التي يتكون منها
قناة تسقي عدة قرى في المرج . ومياه هذه العيون كمياه الأنهار
منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على
أصحابها توزيعاً عادلاً ، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل
القرى أن يفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش
زروعه الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال . وأكثر أهل

الغوطة تتمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة يسقون عندما يريدون من مواصيهم .

وما أجمل ما قاله أحد الشعراء في توفر الرزق لفريق وحرمانه فريقاً آخر وقد شبهه بتوفر المياه في الغوطة من السماء ومن الأثمار قال :

الرزق كالوسمي^(١) ربّتها عدا روض القطا وسقى حدائق جائق
فاذا سمعت^(٢) الحوّل متأدب متألّه فهو الذي لم يرزق
والرزق يخطئ باب عاقل قومه وليت بواباً لباب الأحمق

وبعد قرون أتت على الغوطة لا تعرف الا مياه الأثمار والقني وما يستخرجه أهلها من الآبار بالمدار جاء العهد الأخير بالآلات الرافعة للمياه تروي مساحات عظيمة أيام الصيف من أرض الغوطة كما كثرت العناية بحفر القني تسقي ما كان بوراً ، حتى لقد زاد المزروع من أرض الغوطة بكثرة آلات الري الحديثة وبهارويت مساحات واسعة كانت محرومة الماء .

هذا وأكثر مياه الغوطة غير صالحة للشرب على ما يظهر
ولذلك يطمح أهل الغوطين ان يستقوا من ماء الفيحة بجر أنابيب

(١) الوسمي مطر الربيع الاول . وعدا تجاوز . والقطا طائر .

(٢) الحوّل (بضم الحاء وتشديد الواو) : ذو التصرف والاحتيايل في

غ (٧)

الأمور والمتألّه المتعبد .

منها الى قراهم وقد أرسلت زجاجة من ماء بئر بيتي وهو ارتوازي عمقه تسعة أمتار ونصف متر عن سطح الأرض الى صديقي العالم الجرايمي احمد حمدي الخياط فكتب الي عن خبره انه لا يصلح للشرب ولا للاستعمال وان كان مظهره الخارجى غير ذلك لأن الطبقة التى يرشح منها غير كافية على ما يظن لنقاوته تماماً واذا كان هناك ضرورة لاستعماله فالواجب غليه وتبريده او ان يقطر في كل لتر منه نحو (٨ - ١٥) قطرة من صبغ اليود وينتظر مدة ٣٠ دقيقة ويشرب بعدها باطمئنان واذا أريد زوال طعم اليود من هذا الماء يكفي أن يضاف اليه في نهاية تلك المدة قليل من منقوع الشاي أو قليل من القهوة .



الفصل الحادي عشر

تمليك الأرض

لما فتح العرب الشام كتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يسأله رأيه في الأرض التي تغلب عليها العرب فأجابه عمر: فهمت ما ذكرت من (أمر) الأرض التي ظهر عليها وعلى أهلها المسلمون، فقالت طائفة نقر أهلها على أن يؤدوا الجزية الى المسلمين، ويكون "عمار الأرض"، وقالت طائفة نقسمهم. واني قد نظرت فيما كتبت الي من هذا ففرق (?) رأيي فيما سألتني عنه، الا اني قد رأيت ان نقرهم، وان تحمل الجزية عليهم، ونقسمها بين المسلمين، ويكونوا عمار الأرض، فهم أعلم بها وأقوى عليها من غيرهم. أرأيتم لو أنا أخذنا أهلها واقتسمناهم، من كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين. والله ما كانوا اذا ليجدوا انساناً يكلمونه ولا يكلمهم، ولا ينتفعون بشيء من ذوات يده، وان هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء، فاذا هلكنا وهلكوا، أكل أبناؤنا أبداً ما بقوا، وكانوا عبيداً لأهل الاسلام أبداً ما دام دين

الاسلام ظاهراً . فضع عليهم الجزية وكف عنهم السباء ، وامنع
المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحقها .
وعلى كتاب أمير المؤمنين هذا قامت السياسة المالية في الدولة

الاسلامية ، وارتاح قدماء السكان ، وانتفع العرب بالأرض التي تخلى
عنها من لحقوا بهرقل من الروم من أهل دمشق وغوطتها فكثرت
فضول المنازل وكثرت الصوافي أي الأملاك والأراضي التي جلا
أهلها عنها أو ماتوا ولا وارث لهم . فصوافي - واحدها صاف -
الروم في الشام هي الأرضون التي ارتحل أهلها عنها فأعطاهها المسلمون
لمن أحبوا ، وآثروا الفاتحين وأبناء الفاتحين بقسم عظيم منها .

وكان السكان في هذه الديار فتيين منهم من قتلهم الحرب أو نفثهم
فساكنهم وكنائسهم قسمة بين المسلمين ، ومنهم من حقن دمه
العهد الجديد الذي أعطاهم خالد بن الوليد فهو لاء مساكنهم وكنائسهم
لم تسكن ولم تقسم . وكان من أم الضياع في الغوطة أراضي الأمراء
بطارقة الروم ممن فروا من جيوش العرب أو قتلوا في الحرب وكانوا
قواد جند الروم ، فشغرت أملاكهم فأوقفها الفاتحون أو وزعوها
على من يحسن استثمارها .

تولى العرب من الأرضين ما كان يتولاه أربابها الأصليون فلم
يبدا نقص كبير في مغل الأرض وريمها لتخلي أهلها عنها ، وامتزج

في بودة الغوطة طوائف من القادمين من العرب وقدماء السكان .
وما كانت همه الآتين في العمارة أدنى من همهم وهم آتون ليقضوا
على دولة الروم . ويمكن أن توصف الغوطة في حالتها الجديدة بان
فريقاً جلا عنها . فاستعاضت عنه بالفريق الذي نزلها بدون فاصلة تذكر
ولا ان يعرفوا الجباية فتور .

مثال من تملك الأمويين الأرض : وفد الأعور الكلبي الشاعر
على معاوية فقال له : اختر لك منزلاً فاختار المزة فأقطعه فيها
وعشيرته أرضاً فقال :

إذا ذكرت أرض لقوم بنعمة فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدين والأفصال والخير والندي فمن ينتجعها للرشد يصيب
ومن ينتجع أرضاً سواها فانه سيندم يوماً بعدها ويخيب
مثال آخر : قال حفص بن عمر الأزدى لعبد الملك بن مروان :

يا أمير المؤمنين ان في غوطة دمشق قرية يقال لها زملكا ولي فيها
بنو عم وسألوني الاشراف عليهم وليس لي في الموضع شيء فقال له
عبد الملك : سل هل لنا في تلك القرية شيء فنظروا فإذا بها صنعة
(الصنعة الأرض المغيلة) من صوافي الروم فأقطعه إياها .
وكتب له عبد الملك بذلك كتاباً يقول فيه بعد البسملة : « هذا
كتاب من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين لحفص بن عمر بن سعيد

ابن عبد العزيز الأزدى انى أنطيتك بقرية زمكا كذا وكذا فداناً
وأشهد على نفسه أخويه محمداً وعبد العزيز وقبيصة بن ذؤيب
وروح بن زباع .»

وكان العمال كثيراً ما يقبلون الأرض أي يضمونها ويضيفون
دخلها الى بيت المال . ومن العمال من كان يحبس القرى على مصالح
المدينة ومراقبتها قاصداً بذلك عمارتها . وهذا من أول الأقباس في
الشام . وكثرت الأوقاف الخيرية والأهلية بكثرة الظلم وشدة
الاستبداد في العصور التالية ، فكان الواقفون وأكثرتهم من رجال
الدولة يقفون على الجوامع والمدارس وأعمال البر لتنجو أملاكهم
وضياعهم من المصادرة . وأنت عهود كثرت فيها أوقاف الغوطة
فقام رجال أذكى وأقنذوا الأوقاف بأن حلوها بحيل سموها شرعية
واخترعوا لها أسماء كالتحكير والاحترام والاجارتين والمرصد ،
وأخرجوها عن ملك الوقف الى الملك الخاص ، وكثرت هذه الحيل
أيام العثمانيين . وكانوا على عهد المماليك يؤجرون ملك الوقف مئة سنة
وفي العهود الأخيرة أنزلوا مدة الإيجار الى ثلاث سنين .

وما سلم الوقف من الاحتيايل على حله واستصفاء أعيانه حتى وقف
الجوامع والمدارس والمبرات المجمع على نفعها . مثال ذلك وقف
شمس الدين بن المقدم من أمراء صلاح الدين فانه وقف قريتي الحمديّة

وجسرين على مدرستيه المقدمة الجوانية والمقدمة البرانية بدمشق وعلى
المقدمة بحلب فافاده وقهله ما نوى أكله المتولون عليه . ورأينا بقايا هذا
الوقف تبدل والنظار عليها يستحلون أكلها جهاراً بل لقد أكلوا المدرسة
برمتها وجعلوا منها دوراً يسكنونها ونخازن يؤجرونها ولم يبقوا حتى
على المسجد ، فما انتفع الواقف بما وقف ولا المسامون بما وقف عليهم ،
وأصحاب الأوقاف ما برحوا يزعمون أن شرط الواقف كنص
الشارع ، كلمات اخترعها من عاشوا بسرقة الأوقاف حللوا لأنفسهم
وحرموها على غيرهم ، وكان من العوامل في الإخلال بنظام الوقف
نحيل طائفة من القضاة على إخراجهم عما وضع له . كان يقصد بالوقف
في أول صنعه الخير فأصبح في الزمن الأخير شراً .

وأضر الوقف في عمران الغوطة وهو آخذ بالزوال سنة عن سنة
بتوفر الأهلين على الاستبدال الذي كان نفعه ظاهراً كما كان من النعم
على هذا الإقليم كون أرضها مقسمة بين أهلها قسمة طبيعية فلا ترى
فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، ومهما بلغ من سعة المزارع الكبرى
أو الحوانيت فإنها تدار بعناية كما تدار الزراعات الصغيرة ، ويظهر
أنها كانت على ذلك منذ الزمن الأطول .

قلنا أن أغلب قرى الغوطة ملك أربابها ومنها ما لم يملك أحد
فيها شبراً من الأغنياء أو من أهل دمشق وتقل حصص أرباب

رؤوس الأموال فيها على مر السنين وكما زاد مقدار ما يملكه
الفلاح عن القدر الذي يملكه الآن امكن أن يقال ان القائم على
الأرض بدأت ايام سعادته

ولما حاول سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب أن يضم الغوطة
الى الأملاك السلطانية ليجعل له منها كلها مزرعة واحدة كاتب
أهل دمشق ملك مصر فجاء وطرده سيف الدولة عن الغوطة

وحاول الظاهر بيبرس البندقداري بعد ثلاثة قرون أن يحتاط
على الغوطة أي يحجزها فتكلم أحد العلماء بحضرته في دار العدل
فقال: الماء والكلاء والمرعى لله لا يملك وكل من بيده ملك فهو له
وفي رواية أخرى ان القائل قاضي قضاة الحنفية عبد الله الأذري
فقال: اليد لأرباب الأملاك ولا يحل لأحد أن ينازعهم في
املاكهم ومن استحل ما حرم الله فقد كفر وكان هذا لما وقعت
الحوطة على املاك الناس. وللظاهر في هذا الباب محاولات كثيرة
لأخذ أموال الرعية.

أما عقلاء الملوك فما كانوا يجوزون غير اقطاع الأرض فقط
وكان زنكي والد نور الدين محمود ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك
ويقول اذا كانت البلاد لنا فأي حاجة بكم الى الأملاك فان
الاقطاعات تغني عنها وان خرجت البلاد من أيدينا فان الأملاك

ذهب معها ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية
وتعدوا عليهم وغصبوا أملاكهم .

وهكذا كان صلاح الدين لا يملك الأرض الا على سبيل
الاقطاع وقد طلب اليه أخوه الملك العادل تمليك حلب وان يكتب
له كتاباً كأنه بيع وشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون اقطاعاً
وبالبلاد لأهلها والمرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ودعاة للدين
وحراس أموالهم وقال ان السلطان ملك شاه السلاجوقي لما وقف
طبرية على جامع خراسان لم يحكم أحده من القضاة ومن الفقهاء .
وملاك الأمر أن غرام الطغاة في الأغلب كان في أن يجعلوا
الغوطة كلها اقطاعاً أو يملكوها أو أكثرها كما فعل كيوان من
عمال العثمانيين فاستولى على أكثر بساتين الربوة والمزة بغصب أملاك
الفلاحين واستخلاص ما يملكون بالشراء أو بالمغارسة . وكما كاد
صيارفة يهود دمشق في القرن الماضي ان يملكو جزءاً مهماً من
الغوطة بما تكاثر لهم من الربا الفاحش الذي كانوا يتقاضونه من
كبار الفلاحين وصغارهم فقام رجل من رجال المحاماة من الترك
الأستاذ أسعد أفندي وأنقذ الفلاحين من الصيارف فاضطر اليهود
إلى أن يبيعوا ما ملكوها من الأرض تخلصاً من تضيق جيرانهم
من أرباب الأملاك .

ومما انتقلت به بعض أملاك الغوطة من أيدي مالكيها من
الأهلين إلى أيدي الأغنياء وأصحاب النفوذ ما حدثني به صديقي
السيد حكمت شيخ الأرض من المزارعين على لسان شيخ معمر
من أهل المرج أدرك جيش إبراهيم باشا المصري في الشام قال إن
سبب خروج الأملاك من ملك الفلاحين إلى الأفندية أن كل
ما كان يقع من دين ومظامة أو غيرها كان يلقى على « حجر الضيعة »
أي على حساب الضيعة كلها فتجمعت هذه الديون على القرية حتى
اضطر أهلها إلى بيعها بأرخص الأثمان صفقة واحدة . ومن الفلاحين
من تشردوا في القرى أو من ارتضوا بأن يكونوا فلاحين عند
أرباب الأملاك الجدد . وأوشكت دومة أكبر قرى الغوطة في
القرن الماضي أن تستغرقها الديون وأراد أهلها أن ينزلوا الغريمهم عن
نصفها ويبقى لهم النصف الآخر ولو لم تلغ قاعدة « حجر الضيعة »
لخرج بعض أرض الغوطة أو أكثرها من أيدي مالكيها الأصليين
وما نظن قرى زبدین وبالا والحديثة والمحمدية والافتريس إلا كان
السبب في نزاعها من أهلها ذلك المصطلح أو القانون المضر أو أن
ضرائب الدولة تراكت على الفلاحين فاضطرتهم إلى بيعها بالمزاد
وكان بعض الأعيان لا يرضون إلا أن يتناعوا القرية كلها صفقة
واحدة كما فعل آل سرسق مع حكومة سورية وحاولوا أخذ مرج

ابن عامر صفقة واحدة وتم لهم ما أرادوا وخرج أهالي أكثر من
ستين قرية عن أملاك آبائهم وأجدادهم لأداء أموال الدولة العلية.
نعم كان من احالة كل دين عقده أهل القرية على ما دعوه حجر
الضيعة أن تجمعت ديون فاحشة اضطر أهلها الى بيعها فانتقلت الى
غير الفلاحين ممن لهم مال. ولما حسنت حال الفلاح في الغوطة
ومرجها بعض الشيء وعرف بعضهم طرق الاقتصاد من غلاتهم
السنوية أصبح في مملكته أن يبتاع ما اضطر صاحب الزراعة الى
بيعه من ملكه. وسمعت أن بعض الفلاحين الذين كان أجدادهم
يهربون من ملك الأرض ويؤثرون أن يعيشوا بسلام في أملاك
الاعنياء بصفة فلاحين وعملة عادوا الآن يؤلفون شركات منهم
ويبتاعون كل أرض احب صاحبها الغني أو ابنه أو حفيده ان يبيعها
ويتقاسمونها بينهم فيضم كل واحد الى أرضه ما جاوره من القطع
المباعة وبذلك أنشأ الفلاحون يملكون ما كان حقهم أن يملكوه
دون سواهم منذ القرون الماضية.

ومن جملة ما عمرت به الغوطة في بعض القرون استعمال أسلوب
القطائع - واحدها قطيعة - وهي ما أقطعه السلطان من عفو البلاد
التي لا مال لك لها ولا عمارة ولا توجب ملكاً لأحد فيقطع الامام
المستقطع لها قدر ما تهيأ له عمارة باجراء الماء اليه ، أو باستخراج
عين فيه أو بتحجير عليه بناء أو حائط . واحتجار الارض أن يضرب عليها

منار ، والحائط البستان . وبهذه الطريقة يملك المقتطع رقبة ممالك وأحي .
والاقطاع اقطاعان اقطاع تملك وهو موات وعامر ومعادن
واقطاع استغلال وهو عشر وخراج . وكان اقطاع الموات قليلاً
في الغوطة لأنها كانت عامرة في أكثر القرون .
ومن أعظم الدوافع الى عمارة الارض ان كل من أحيأ مواتاً
كان ملكاً له . ومما يدعو الى عمارة الارض ان بعض الولاة كانوا
يفلحون أرض الغوطة ويكثرون فيها من الغروس من أصناف
الفاكهة ويجرون المياه الى الضياع وغيرها ليكنوا قدوة لغيرهم
ويزيدوا في رفاهيتهم . وكان الولاة ينزلون الغوطة أو ما يقرب
منها من الضياع . جروا في ذلك على قدم الايوبيين في العمران .
وبديهي ان السواد الاعظم ممن نزلوا الغوطة في الفتح كانوا
من القواد والجند الذين كان لهم من سهامهم من الغنائم التي أصابوها
ومن عروض الراحلين وأموالهم ما اقتنوا به الرباع والضياع وانفقوا
عليها ما يلزم لغرسها واستنباتها ولما تم الاستقرار وانصرف كل
فرد الى ما يعمر ملكه ويجري فيه على أثر صاحب الارض السابق
في طرائقه الزراعية ويدخل التحسين الذي يراه ، ويحملون لخسائر
اذا طرأ عليها بعض السنين نقص في ثمراتها وغلاتها وما كانت تبور
أرضها حقيقة الا في الأدوار التي يحيف الظلم بأهلها . وعدل السلطان
كما قيل ، أنفع للرعية من خصب الزمان .

وفي معظم الادوار كان الناس اذا اشتدت بهم الحال يرفعون
أصواتهم بالشكوى من العمال والامراء والملوك ، ولولا نصائح
العلماء وخوف الامراء منهم لكانت الولايات أعظم والبلاء أعم .
قال رجل لامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - وعصره خير العصور
التي تجلى فيها العدل الاسلامي - يشكو اليه عماله :

ان الذين أمرتهم أن يعدلوا نبذوا كتابك واستحل الحرام
وأردت أن يلي الامانة منهم برّ وهيات الابرّ الاسلام
طُلس الذئاب على منابر ارضنا كل بتقص نصيبنا يتكلم
وأهم الاسباب في عمارة القوطة في القرون الثلاثة الاولى خاصة
ان العرب المسلمين دوخوا هذا القطر كسائر ما فتحوه من
الاقطار بعدلهم ، أكثر مما دوخوه بسيوفهم كانت سماحة الاسلام
من أعظم ما أدهش السكان الاصليين رأوا عدلاً لم يشهدوا مثله
من الدولة الراحلة . لقد تطف المسمون مع النازحين ومن خلفوا
وراءهم من أهلهم فعاملوهم معاملة قلّ أن وصلت الى مثابها أمة
متحضرة . ذكر ابن عساكر أن سبرة أو سمرة بن قاتك من الصحابة
تولى بعد الفتح قسمة المنازل بين أهل دمشق فكان يترك الرومي
في العلو ويترك المسلم في السفلى لئلا يضر المسلم بالذي .

الفصل الثاني عشر

الجباية والأموال

كان على الشاميين في العهد الروماني أن يؤدوا الجزية والعشر وأتاوة من المال عدا المكس والمناجم. وكانت الحكومات الرومانية المتعاقبة تؤجر الحقول الصالحة لزراع الخنطة والمراعي لشركات يسمون أربابها العشارين يتعاونون من الحكومة حق جباية الخراج فيظلمون الأهالي ويرهقونهم وإذا تأخروا عن الاداء باعوم بيع العبيد فانتقل النقد من هذه الأرض الى رومية وعزّ هنا وجود الذهب والفضة وارتفعت فوائد القروض الى اثني عشر في المئة وأحياناً الى أكثر .

كان صلح دمشق على المقاسمة الدينار والعقار ودينار على كل رأس . والجباية تجمع من الخراج والعشور والصدقات والجوالي - والجوالي جمع جالية يطلق على الذين جلوا عن أوطانهم ويسمى في بعض البلدان مال المجاجم أي الرؤوس - ثم صارت الجباية عشرة أصناف : الخراج والجزية والعشور والأجور والزكوات وأثمان المبيعات والمقاسمات

والغنيمة والنبيء والمعادن . والخراج ما يؤخذ من أرض الصلح والعشر ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها والتي أحيها المسلمون من الأرضين . والصدقات زكاة السوائم من الابل والبقر والغنم دون العوامل والمعلوفة . والمكس ضريبة تؤخذ من التجار في المراسد وما يطلق عليه اليوم الجمارك .

وراعى الخليفة الثاني في كل أرض ما تحتمله . وكانت الجزية في بدء الأمر ديناراً في كل حول على كل جمجمة ثم جعلت على الذهب أربعة دنائير وعلى الورق أربعين درهماً ، وجعلوا طبقات لغنى الغنى واقلال المقل وتوسط المتوسط والجزية تؤخذ من غير المسلمين والخراج يشترك فيه كل من يملك أرضاً .

وصالح أبو عبيدة بن الجراح نصارى الشام حين دخلها على أن يترك لهم كنائسهم وبيعهم وعليهم ارشاد الضال وبناء القناطر على الأنهار من أموالهم وأن يضيفوا من مرائبهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون ، ولا يكلفهم ذبح شاة أو دجاجة وتبيت دوابهم على غير الشعير وذلك على أهل السواد دون المدن .

ثم حملت الأموال على قدر قربها وبعدها ، فجعل على كل جريب زرع مما قرُب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً والجريب عشر قصبات في عشر قصبات والقصة ستة أذراع

فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة وجعلوا على كل ألف أصل كرم عما قرب ديناراً وعلى كل مئتي شجرة مما بعد ديناراً. وكان غاية البعد مسيرة اليوم أو اليومين وأكثر من ذلك ومما دون اليوم فهو في القرب .

وعدّل المنصور العباسي أرض الغوطة فجعل كل ثلاثين مدّاً بدينار القاسمي ، ومسحت الأرض الخراجية وحملت كل أرض ما تستحقه . وقد تعفى بعض الضياع من الخراج . وهناك نوع من الاستثمار يسمى اللجاء أي ان يلجأ صاحب الأرض الى بعض الكبراء وينزل له عن ضيعته تعزّزاً به من عمال الخراج فتصبح الضيعة مع الزمن ملكاً لذلك الكبير .

كانت الجباية في أيام الامويين معتدلة وفي بعض أيام العباسيين والفاطميين جائرة وفي أوائل حكم الامويين كان بعض جباة الخراج يعذبون من يتدكأ في أدائها ويجعلونه في الشمس عقوبة له فنهى عن ذلك الفقهاء وبطل تعذيب المكافين . وكانت الجباية غير مستقرة على عهد الفاطميين شأنها شأنهم في سياستهم وإدارتهم حتى اذا كان الساجوقيون نشقت الغوطة أرج الفرج ولا سيما على عهد طغتكين فعمرت وجاء بعده بقليل الملاك العادلان نور الدين وصلاح الدين فأبطلا ضرائب كثيرة مع بقاياها اكتفاء بالخراج والحزبة وكانا

لا يخرجان عن حد الشريعة ولا يخالفان رأي الفقهاء في الجباية. وأكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف وعمارة المساجد والمدارس وأسقط كل ما فيه شبهة حرام وما أبقي سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسم الغلات. ولما عزم صلاح الدين على أداء فريضة الحج صرفه عنه مدبر دولته القاضي الفاضل بقوله من كتاب له : ان كشف مظالم الخلق أهم من كل ما يتقرب به الى الله وما هي بواحدة في اعمال دمشق وفيها من ظلم الفلاحين ما يستغرب معه وقوع المطر ، ومن تسلط المقتطعين على المقتطعين ما لا ينادى وليده . ومن ذلك استنتجنا أن حالة الجباية لم تكن على ما يرام لأن الامة كانت تحارب الصليبيين منذ عشرات من السنين والحرب تتوقف قبل كل شيء على المال .

أما عهد المماليك فكان كعهد العثمانيين بعدهم سلسلة من المغارم والمظالم يجوزون ان يتقاضوا من الرعية أموالاً زائدة عن الجباية المتفق عليها وكان الملك الظاهر بيبرس البندقداري أجراً^(١) ملك على

(١) لما دهم التتر البلاد بعد وقعة بغداد ضاقت بالملك الظاهر وعساكره الارض فاستشاروا الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال : اخرجوا ما عندكم من الأموال وانا أضمن لكم على الله النصر فقال له السلطان : ان المال في خزانتي قليل وأنا اريد ان اقترض من اموال التجار فقال له الشيخ عز الدين : اذا احضرت ما عندك وعند حرمك واحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكة -

مصادرة الرعية يأخذ أموالها ويصرفها في تجاريدته أو حملاته وقد
يجبي في السنة الواحدة جبايتين في آن واحد وهو مما دعوه بالعوارض
وهي سنتان سنة جديدة وسنة عتيقة . والعوارض مظلمة
سلطانية تؤخذ من البيوت في الشام في كل سنة ويقال إنها من
محدثات الظاهر بيبرس وقد أشار إليها الأكرمي بقوله :

لما الله أيام العوارض أنها هموم لرؤياها تشيب العوارض
يضيق لها صدري واني لشاعر ضليع ويأتي ما عليه عوارض
وكان الظاهر على عتوه واستبداده يحاذر أن يجبي شيئاً

— ونقداً وفرقة في الجيش ولم يقيم بكفائتهم ذلك الوقت اطلب القرض وأما
قبل ذلك فلا . فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي
الشيخ وكان للشيخ عندهم رهبة بحيث لا يستطيعون مخالفته فامتثلوا أمره
فانتصروا . وبما كان يزيد منزلة الشيخ عندهم ان الملك الظاهر بيبرس لم يبايع
احداً من الخليفة المستنصر او الخليفة الحاكم إلا بعد ان تقدمه الشيخ عز الدين
للمبايعة ثم بعده السلطان ثم القضاة . ولما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت
القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه . اليوم
استقر امري بالملك لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع
الملك مني . كان الناس يخافون السلاطين وعز الدين يخافه السلاطين . ولما تملك
الصالح اسمعيل دمشق واعطى الافرنج صفد والشقيف ذمه ابن عبد السلام هذا
على المنبر وترك الدعاء له ، وفي الامثال : « ما انت الا من العوام ولو كنت
ابن عبد السلام » .

لا يقره العلماء^(١) وكذلك كان الملك المؤيد شيخ فانه كان كثير المصادرات للرعية وهو الذي قطع دابر النواب العصاة الذين خربوا غالب البلاد الشامية وأحدث في أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد . والخروج الى التجاريد كان من جملة الأسباب التي تهيب للملوك الشرا كسرة ان يسلبوا الناس أموالهم ، ولا تكلف التجريدة أقل من نصف مليون دينار . وكانت الرعية اذا أحست بالخطر الداهم يهون عليهم اعطاء جانب عظيم من أموالهم للسلطان حتى يدفع عن البلاد عادية أعدائها ، ولما وردت الأخبار بعودة التتر الى الشام سنة ٧٠٠ استخرج من غالب الاغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة . وفي هذه السنة استخرجت الحكومة مالا عظيماً من جميع الاملاك والأوقاف بدمشق وظاهرها وأخذوا من الغوطة من كل قرية تكثر أموالها ثلث ضماها وأخذوا من القرى الخاصة بزراعة القمح والشعير والقطن والحبوب على نسبة

(١) اراد الظاهر ان يجي ضريبة جديدة يصرفها في احدى تجاريد على التتر فكتب علماء مصر والشام كتاباً في ذلك يقرونه على ما طلب وما استنكف منهم توقيعها الا الامام النووي فاستدعاه الملك وسأله عن سبب امتناعه عما وافق عليه العلماء كافة فقال له ان عند محظياتك وجواريك وماليكك من الحلي والسيوف والخناجر وزينات الحيول وغيرها من الذهب شيء كثير فاذا بعته وصرفته في الجيش ولم يجزئك يحل لك عندئذ ان تفرض ضريبة فغضب الظاهر وقال له لا تساكنني في بلد انا فيه . فخرج النووي الى بلده نوى في حوران ومات هناك .

مفلّ سنة ثمان وتسعين وستمائة . فعظم ذلك على الناس وهرب خلق كثير واستخفى جماعة والذين وقعوا بأيديهم قطعوا أشجار الباقين وباعوها حطباً ، القنطار الدمشقي بثلاثة دراهم ، فخربت الغوطة بهذا السبب وبشدة الطلب وكثرة الظلم والجور .

وما خلا قرن من علماء اتقياء يرفعون أصواتهم بالانكار على ما يخالف الشرع ويظلم به الفلاح قال التاج السبكي (٧٧١) : ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين بالاقطاعات بالفلاحة والفلاح حرّ لا يدّمي عليه وهو أمير نفسه وقد جرت عادة الشام بأن من نزع من دون ثلاث سنين يعاد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة ، والحال في غير الشام أشد منها ، وكل ذلك لا يحل اعتماده والبلاد تعمر بدون ذلك بل انما تخرب البلاد بذلك لأنهم يضيقون على الناس اه .

كانت خراجات ضياع الغوطة والمرج خاصة للسلطان في القرن الثامن وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق الى العريش وذلك لأن خراجها كان يجبى بسهولة .

قال الاسدي في خلال كلامه على جباية هذه الديار وما يجب فيه الحق من الركاز والمواريث والغنائم والفيء مما يحمل الي بيت المال من الأموال الواجبة والمباحة وأما المال الحرام فهو ما استخرج

بخلاف ذلك على غير وجه الحق حسبما وضعوه من الرسوم والخدم
الموضوعة في كل ديوان وما رتبوه وأجروا به العوائد مثل الموجبات
التي لا حق فيها والمكوس التي هي محرمة على مستخرجيها وآكليها
وما يرتكب في أبواب الأحكام من وجوه التبعات والمظالم وضروب
الحوطات (الحجز) على أموال الناس التي لهم بالحق وأخذها منهم
بوجوه المغارم . قال وفي الظاهر ان هذه الأموال المحصلة بهذه الوجوه
الخبیثة مصالاح للسلطان ومعونة للاعوان وفي الباطن انما هي فساد
وظلم وتخريب .

أكثر الأتراك العثمانيون من أصناف الضرائب وما كانوا في
هذا المعنى لأول أمرهم أقل ظلماً من المماليك في آخر أمرهم ثم تفتنوا
في فرضها حتى بلغت كما قيل في بعض الأدوار سبعة وتسعين ضريبة
ورسمًا . ولما فتح السلطان سليم الشام وضع مكسًا على الأحكام
الشرعية ورسومًا على الحانات والمواخير والمومسات . وكانت الجبايات
الى هذا تجبى بالعسف والشدة ولئن كانت الجبايات في آخر أيامهم
مما يمكن احتمالها لكن طريقة جبايتها كانت شديدة على الأهليين
شدة عظيمة .

وأكثر ما كان يؤذي الفلاح ويسود الدنيا في وجهه طلب
الاموال في غير الاوقات التي يقتدر فيها الفلاح على الاداء وتقاضي

مظالم علاوة على الضرائب والجبايات المقررة قال ابن عابدين : ان غالب الغرامات الواردة على القرى في هذا الزمان (القرن الثالث عشر من الهجرة) ليست لحفظ املاك ولا لحفظ ابدان ، وانما هي مجرد ظلم وعدوان ، فان غالب مصارف الوالي وأتباعه وعمارات منزله ومنزل عساكره وما يدفعه الى رسل السلطان الواردين باوامر ونواه ، وأمثال ذلك كله يأخذه من القرى ويسمون ذلك بالذخيرة تؤخذ في بلادنا في السنة مرتين ، ويزيد فيها دراهم كثيرة رشوة لاعوانه وحواشييه من أعيان البلدة وقد جرت العادة بقسمة ذلك كله على عدد فُدُن القرية ، وتارة يقسمونه على مقدار حق الشرب بالساعات الرملية ، فمن كان له فدان مثلاً يؤخذ منه ما يخصه أو من كان له ساعة يؤخذ منه ما يخصه سواء كان رجلاً أو امرأة أو صبياً ، وكذا يجعلون منها على رقاب الرجال الساكنين في القرية الذين لا ملك لهم فيها اه .

هذا ما قاله أفقه فقهاء دمشق في ذاك العصر المظلم ووصفه هذا نسخة صحيحة عما كان يجري في ظاهر بلده . كتب هذا قبل احتلال جيش محمد علي الكبير الديار الشامية وكانت الدولة تريد أن تضع مالا قليلاً على الدور فشق ذلك فيما قيل على أهل دمشق

كتب قنصل انكلترا في دمشق سنة ١٨٥٨ يقول ان الضرائب

كانت باهظة على عهد الحكومة المصرية والأمن مستتب، والحكومة لا تبخل في اتفاق ما يعود على الشعب بالفائدة. وكان الدخل يدار بنزاهة واقتصاد أما حالتها اليوم (أي على العهد التركي) فهي على عكس ذلك من كل وجه، فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق مع أنها أقل من قبل، والأمن مفقود، والدخل يقل كل يوم، لا همال القرويين حرارة الارضين، وكل ما يتم جمعه ينفق باسراف أو يسرقه الموظفون. وأيد الوالي مدحت باشا كلام القنصل وقال ان كبار الموظفين وصغارهم لا يلتفتون الى غير مصالحهم الخاصة، وبسوء تأثير ذلك فسدت أخلاق الناس وكثر القتل والنهب والغارة على الاموال والعروض في كل مكان.

ولما قلت اليد العاملة في الغوطة نتيجة لازمة للسياسة المتبعة في هذا القطر ولما نشأ من الآفات السماوية - اخذ بعض الميسورين في الغوطة يتبعون العبيد ليسخروهم في استثمار أراضيهم. وكان اعراب البادية يأخذون الخوّة او الضريبة السنوية من كل قرية وكل بستان يقرب من دمشق وعادت فكثر انواع الضرائب في آخر ايام العثمانيين وكان أكثر ما يشكو منه الغوطيون ضريبة الأعشار على الحاصلات كلها، وكثيراً ما يزيد المال المجبي من الفلاح ضعفي ما يجب عليه أدائه او اكثر وذلك عدا ما يضاف

الى الأعشار من الزوائد للسماسة والملتزمين وأرباب النفوذ . ووقع في كثير من الأرجاء أن قطع الفلاحون أشجارهم تخلصاً من العشر لأن الدولة كانت تتقاضاهم الاعشار عنها أثمرت أم لم تثمر لا تعتبر الجوائح التي تصيبها .

وحدثنا الشيوخ بما كان أهل الغوطة يلقونه من العنت والارهاق اذا دقت الطبله وجاءت سرية من الجند لتحصيل المال المطلوب منهم وربما أقام الخمسون جندياً مع خيولهم في القرية بضعة أيام حتى يتيسر جمع مال الدولة وبذلك كره الناس امتلاك الأرض فنزل ثمن الفدان الى بضعة مئات من القروش . وربما كان الحقل يباع أحياناً بلوح من الصابون أو اقية من التبنك ليقال ان الأرض بيعت وقبض البائع ثمنها . أما امان الحاصلات فكانت من التذني على ما يضحك ويكي .

وألغيت في عهد الانتداب بعض الضرائب وصارت الجباية تؤخذ برفق لأن الدولة كانت تتقاضى وارداتها من الضرائب غير المباشرة على ان ما كان يؤديه المكلف كان مما يحتمل اذا قيس بآخر ايام العثمانيين، ثم الغي العشر وخراج الأرض واستعيض عنها بضريبة سموها ضريبة الانتاج الزراعي وقدرها سبعة في المئة من

كل صنف من أصناف الزراعة يباع في السوق من محصولات
الأشجار والأرض وغيرها كما تؤخذ الجمارك في المواقي والحدود
وهناك رسوم تؤخذ من بعض الأصناف ورسوم عن المواشي
وكل ذلك مما تحتمله الرعايا بالقياس الى ما كان من ضروب
الضرائب والمظالم. ولا شكوى للفلاح الا من فساد طريقة جباية
هذا الانتاج فقط .



الفصل الثالث عشر

الحكم والادارة

اختار العرب في القرون الأولى للإسلام أصول الحكم الذاتي أو اللامركزية في إدارة ملكهم العظيم . ينصبون العامل الأكبر ويطلقون له حريته في الحكم يتصرف بما يرى فيه المصلحة ويوزع العدل على السكان من أيسر سبله لا يراجع العاصمة أو حكومة الامام أو السلطان الا في المعضلات ويجعل للأهلين حظاً من الاشتراك في الحكم .

وكان الرومان في هذه الديار من قبل يحاذرون أبداً عادة الأعراب على المعمور من هذه الكور وما تآخها فأقاموا لذلك على سيف البادية مخافاً ليأمن هذا الجزء من الديار الشامية عيث العائين ، وتأمن العاصمة اعتداء المعتدين ذلك أن الأعراب من القديم ولا سيما عرب شمال الجزيرة اذا أحسوا بان سماءهم شحّت ، وأرضهم أقحطت لا يرون أمامهم غير أرجاء الشام يتسللون اليها للانتجاع فيفسدون زروعها، ويحتطبون المشر وغير المشر من أشجارها، ويروون أنعامهم من مياه عزيزة جمعها أهلها لشربهم وارواء ماشيتهم . وكان سلطان

الأمويين والعباسيين بعد الرومان أعظم وقاية مما كانت عليه الحال
زمن الرومانيين أيام العز . وسعدت الغوطة أيام الأمويين والعباسيين
عن قلم فيها من رجال كانوا يغارون على مصلحتها وعلى تحقيق^(١)
ما يصلحها .

(١) روى ابن عساكر ان نهر يزيد كان صغيراً يجري فيه شيء يسير يسقي
ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم بنو فوقا (فرقا ؟) ولم يكن لاحد غيرهم
فيه شيء فماتوا في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن لهم وارث فاخذ معاوية
ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي
ابنه يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس لها ماء وكان مهندساً فنظر الى النهر فاذا
هو نهر صغير فأمر بحفره فمنعه من ذلك اهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم على ان
ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فأجابوه الى ذلك فاحتفر نهراً سعة عرضه ستة
اشبار في عمق ستة اشبار على ان له ملء جنبه ، وكان على ذلك كما شرط لهم .
ومات يزيد سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان بن عبد الملك
سنة ست وتسعين فاقام عنده رجل من اهل الذمة يقال له جرجه بن قعرا شاهدين
يشهدان ان له في النهر قناة تجري الى حمام له بديره ، فسجل له سليمان بذلك
سجلاً واشهد به شهوداً ونسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب كتبه
سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجه بن قعرا بثبات قناة في نهر يزيد لما قامت
له البينة وفيه من الشهود عبد العزيز بن عبد الرحمن وعبد الله بن الحصين المبارك
الهمداني ويزيد بن اسلم بن عبد الله القرشي وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك
من اهل الغوطة ومحمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن عباس الهاشمي وذلك يوم
الخامس من شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين . وكتب سليمان بن عبد الملك
بخطه واشهد على نفسه وكفى بالله شهيداً »

قال الرشيد يوماً للحسين بن عمار وقد غضب عليه بما أتى من الأعمال :
وليتك دمشق وهي جنة تحيط بها غدُر تتكفأ أمواجها على رياض كالدراي -

ولقد قسمت العرب الشام الى عدة أقاليم ، والاقليم لفظة يونانية يراد بها كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى ، وسموا الغوطة اقليماً تارة وكورة أخرى ، والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى أيضاً ولا بد لها من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . ونسي على الأيام اسم الاقليم ولم يبق الا في بعض أرجاء الشام مثل اقليم

— فما برح بك التعدي لارفاقهم حتى جعلتها أجرد من صخر وأوحش من القفر . قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصدت لغير التوفيق من جهة ولكني رأيت أقواماً ثقل الحق على أعناقهم فتفرقوا في ميادين التعدي ورأوا المرائعة بترك العمارة أوقع باضرار السلطان ، وارادوا بذلك المشقة على الولاة وان سخط امير المؤمنين فقد اخذ بالخط الاوفر من مساءتي ، فقال الرشيد : هذا اجزل كلام سمع من خائف

وفي القصة التي رواها صاحب الفرج بعد الشدة ما يستأنس به من ان بعض املاك الغوطة ما برحت الى اواخر القرن الثاني محفوظة من التقسيم . ذلك انه رفع الى الرشيد ان رجلاً بدمشق من بقايا بني امية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير المال والاملاك مطاعاً في البلد له جماعة واولاد وماليك وموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يأمن منه فأرسل اليه الخليفة رجلاً اسمه منارة ليأتيه به فلما حمله اليه مر به بظاهر دمشق حتى انتهيا الى بستان حسن في الغوطة فقال الرجل : ترى هذا ؟ قلت (اي منارة) نعم . قال : انه لي ولي فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت . ثم انتهى الى بستان آخر فقال له مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سرية . وبذلك ادر كنا ان من ارض الغوطة ما كان يملكه السراة وان بني العباس اذا غالوا لأول أمرهم في استئصال الامويين فان المسلمين ظلوا على حالة حسنة من الغنى والتمتع برفاهيتهم ما شاء الله ان يتمتعوا .

البلان واقليم الخروب واقليم التفاح في لبنان الشرقي والغربي ، ويقل اسم الكورة . ولعل هذه التقاسيم كانت من وضع الرومان فأقرها العرب وعربوا الاسماء . وعرفنا من الأقاليم حتى القرن السادس والسابع اقليم خولان واقليم باناس واقليم داعية واقليم بيت الآبار واقليم حُردان واقليم بيت لهيا ويدخل في اقليم خولان داريا وبلاس وفي اقليم باناس يدا وبيلا وفي اقليم داعية كفر بطنا وجمورية وفي اقليم بيت الآبار المنيحة وجرمانا وفي اقليم حُردان سقبا وبرتيا وفي اقليم بيت لهيا جوبر وجديا . ورأينا في القرن الثامن اقليم المزة واقليم برزة واقليم الزنار (كذا) واقليم الجهة ، فاستدللنا بذلك ان الاقاليم قد تبدل اسمائها وقواعدها .

وكان في بعض قريات الغوطة قضاة ينظرون في شؤون أهلها ، واذا عرفنا ان القاضي في الاسلام كان اليه النظر في القضايا الدينية والمدنية بل كانت له الحسبة أحيانا أي الاشراف على ما يمتنع الناس بالراحة والصحة والأمن في المدن القرى - وقد يكون له الحكم في الأمور السياسية أيضاً - أدر كنماكانة القاضي من أداة الحكم يومئذ^(١)

(١) كان الولاة في بعض العصور يحاولون أن يفصلوا بين الشرع والسياسة فقد ذكر صاحب الدارس ان شهاب الدين التلمساني قاضي قضاة المالكية في دمشق طلب غريماً من الحاجب فامتنع من ارساله اليه فطلبه القاضي فلما حضر اليه اهانه واخرق فيه فتعصب الامراء وكتبوا الى مصر فورد المرسوم -

ولا نعجب أن سمعنا أنه كان في جسرين^(١) في العصور الأولى قاض ينظر في مسائل الغوطة كما كان لبيت الآبار قاض ولد اربا قاض ولعين ثرماء قاض ولزملكا قاض . وكثيراً ما كانت الغوطتان تفردان بالحكم ويولى عليهما وال على نحو ما كان في القرن الخامس . كان واليهما والياً على جبل سنير وكانت في القرن السادس ولاية تضاف اليها المريج وعمالات أخرى مجاورة . قال ابن القلانسي وصل القائد بدر العطار الى دمشق سنة ٤٠١ والياً على الغوطتين والشرطة وجبل سنير وعزل عنها وجيه الدولة بن حمدان . وبعد عهد الدولتين النورية والصلاحية قسمت الغوطة تقسيماً

— (٨٥٢) . بان القضاة لا يطلبون احداً من عند حكام السياسة ولا يحكمون فيمن سبقت دعواه اليهم وكذلك حكام السياسة لا يأخذون احداً من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه ونودي بذلك بدمشق ، ثم حضر من مصر القاضي ابن عامر المالكي عوضه وعلى يده مرسوم السلطان بان حكام السياسة لا يأخذون من مجالس حكمه غريباً وان كان لأحد عنده محاكمة شرعية وخضمه عند السياسة يطلبه من عندهم ويعمل ما يقتضيه مذهبه الشريف .

(١) من هؤلاء القضاة ابو القاسم العذري الجسريني قاضي الغوطة كان يقضي بين أهلها (٣٣٩) وعبد العزيز بن هاشم قاضي جوبر وعبد الواحد بن محمد الحمداني قاضي عين ثرماء (٤١٥) ومحمد بن خالد الحضرمي البتلي قاضي بيت لهما (٣٢٣) وخلف بن محمد العبسي الداراني قاضي داريا واهم بن هارون خال ابن حيوس الشاعر الدمشقي (٤٧٣) قاضي الغوطة .

آخر وكذلك في عهد المماليك البرجية والبحرية ولم تصل إلينا تفاصيل ذلك . وفي العهد العثماني جعلت الغوطة قضاءين وقسمت إلى عدة نواح أو تبعت بعض القاصي من قراه قضاء وادي العجم أو ضمت إلى دومة أكثر قرى قلمون والمرج كما هو الحال الآن وهناك ناحيتان الأولى مركزها عرييل ومركز الثانية داريا .

ولقرب القرى من العاصمة العظمى واختلاط بعض وجوها بأهل الطبقة المثلى في دمشق كان الظلم الذي يقع على أهل الغوطة قليلاً بالقياس إلى سائر الأقاليم لذلك ظلت أمهات قراها عامرة بعض الشيء ونجت من الانحلال الكلي على نحو ما كان نصيب أكثر البلدان والقرى .

وجاء من الملوك من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً كالظاهر بيبرس البندقداري فإنه كان يرجع إلى أملاك الناس وخزائنهم إذا أحس بأقل ضائقة ولما أراد أن يقرر القطيعة على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى الأملاك والقرى قال له القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي ، هذا ما لا يحل ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه وقام مغضباً وتوقف الحال . ولما أراد السلطان التوجه إلى مصر أحضر العلماء وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاق القطيعة بحكم أن دمشق فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه غنوة ثم قال من كان معه كتاب

عتيق أجريناه والا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ثم قرر عليهم
الف الف درهم فسألوه أن يقسطها فأبى وتماذى الحال فعجلوا له
أربعمائة الف درهم ثم أسقط الباقي عنهم .

قال ابن الأثير : فاتفق انه كان (سيف الدولة) يسير هو
والشريف العقيلي بنواحي دمشق ان قال سيف الدولة ما تصلح هذه
الغوطة الا لرجل واحد فقال له العقيلي هي لأقوام كثيرة فقال
سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين الساطانية ليتبرؤن منها فاعلم العقيلي
أهل دمشق بذلك فكانوا كافوراً يستدعونهم فجاءهم فأخرجوا
سيف الدولة عنهم سنة ست وثلاثين وثلثمائة .

ومن الامور التي يجب اليوم معالجتها وهي تضر بالغوطة كثيراً
تجزئة أرضها أجزاء صغيرة لا ينتفع بها الانتفاع المطلوب، ذلك لأن
قصبات قليلة أو مسكبة صغيرة لا تقوم بأود فرد ولا تحتل انقطاعه
اليها، ولا يتأني لمالكها ان يجعل منها علة معاشه فالأولى عند ظهور
التقسيم أن ينزل الورثة عن حصتهم لأعظم الشركاء في الأرض
ويأخذوا منه من ارشهم يصرفونه فيما يكون أعود عليهم، وبذلك يتأني
لصاحب الحصة العظيمة العناية بما يملك وينصرف هو وعياله الى تعهدها .
واذا انحل الوقف الأهلي أو الوقف الذري - وهو الآن
في طريق الحل - وقسمت الأرض قسمة عادلة على ان لا يملك أكبر

مالك اكثر من خمسين فداناً ولا اقل من خمسة ، واذا أُتي لها
باخصائين من المشهود لهم في العالم بمداواة أمراض الحيوان
والدواجن وابداء الحشرات تدخل الغوطة في دور العمران العظيم .

أما بعد فان حاجة الغوطة ماسة الى رجال ادارة يصدقون خدمتها،
ويصرفون وكدهم في اصلاح المحتل من معوج ادارتها ، يجري
اختيارهم من طبقة تفكر فيما يصلحها أكثر من تفكيرها في منافعها
الشخصية ، فالغوطة يتقصها الموظف الحازم الذي ينظر في مصلحة
الفلاح قبل كل شيء ، على أن معظم العمال لا يهتمون لغير قبض
المشاهرة ، والتهام ما يفتح الله به من الهدايا يستهدونها أرباب المصالح
بقحة عجيبة ، وهم من الصنف الذي لا مزية له الا ارضاء العامل
الأكبر يستميلون قلبه بجريزة ومكر . أما كبار رجال الدولة
فلا يعرفون شيئاً من حال الغوطة أكثر مما يعرف العامة ومنهم
من لم يزرها حياته فضلاً عن أن تحدثه نفسه بجلب الخير اليها .
وقد عهدت وزير زراعة ما كان يعرف ما هي الغوطة أخصب
اقليم وأعمر أرض في هذه الديار الشامية .

ومما يخشى منه على الغوطة زيادة نفوسها على الايام وكثرة
التبطل بعض ايام السنة ، على حين نرى المرج الملائق لها يشكو
قلة اليد العاملة ويود لو نزل المتبطلون ينفعهم ويتفعلون به وهناك
غ (٩)

أقاليم كثيرة يتيسر لابن الغوطة ان يحيطها اذا عاونته الحكومة
بأدى بدء وتخلص الغوطة من الاشباع والتضخم .

مسائل داخلية في اختصاص الصغار من العمال وهم لا يهون بها
الى رؤسائهم ولكن الصغار صغار بتدبيرهم وتقديرهم . ومن الواجب
ان يكون مدير الناحية أرقى من القائم مقام لانه يصدر عن
نفسه في معظم فروع الادارة فاذا كان قليل البضاعة ومن الفريق
الذي لا يعرف غير حوالة الأوراق وارضاء القائم مقام أو المحافظ،
ولا يحب أن يتعب نفسه بالتعلم والعمل، فالأشغال تتراكم والاصلاح
يطول ولسان حال الفلاح يجهر بقول حافظ ابراهيم :
أيشتكى الفقر غادينا وراثتنا ونحن نمشي على أرض من ذهب؛



الفصل الرابع عشر

العلم والأدب

عني بنو أمية وخلفاؤهم بتربية أهل الغوطة، فكما برزوا في عمارة أرضها واقامة القصور المنيقة فيها لم يقصروا في حمل هدي الدين الى نفوس ساكنيها، وذلك مذ كتب أمير الشام يزيد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان أهل الشام قد كثروا وربلوا وملاؤا المدائن واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين رجال يعلمونهم. فأرسل اليه ثلاثة من الصحابة، وكان ابو الدرداء معلم أهل دمشق وعمالاتها. ويعني بقوله أهل الشام العرب النازلين في الديار الشامية يومئذ سواء كانوا من العرب القدماء أو من العرب الفاتحين.

ولم يكن حظ الغوطة من العلم في الاسلام على ما يكون حظ القرى منه في العادة، ذلك لأن قراها وحدائقها أشبه بأحياء لا يبعد بعضها عن بعض مسافة طويلة وهي على مقربة من العاصمة الكبرى. حل بالغوطة الصحابة والتابعون وتابعوهم وبعضهم كان على نصيب من العلم، وكان من انتشار بني أمية في أرجائها ما أعان على

سرعة نشر اللغة والدين ولم تخل قرية من قرى دمشق من رجل سكنها او ولد فيها من رواة العلم . ومن الطبيعي ان يكون للرجل الممتاز مدرسة خاصة أي طريقة في العلم اتخذها لنفسه ، ولكل فرد جماعة وعشراء يأخذون عنه ما ينفعهم ويتفق ومشاربهم وعقولهم . وبديهي أن تكون الفصاحة في بعض النازلين من العرب متأصلة وكان منهم من يقول الشعر بالسليقة ومنهم من يرتجل الخطب ويوجز في انشائه . فقد كان الحارث بن عبد الرحمن الجُرثمي من وجوه أهل الغوطة وفصحائها وفد على أبي جعفر المنصور مع جماعة من أهل الشام كانوا حاربوا المنصور ووالوا عبد الله بن علي ، فقام عدة منهم فتكلموا ثم قام الحارث فتكلم فقال : يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة ولكننا وفد توبة ، ابتلينا بفتنة استفزت كرينا ، واستخفت حلیمنا ، فنحن بما قدّمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فان تعاقبنا فيما أجرمنا ، وان تعف وتحسن فطالما احسنت لمن أساء . فقال المنصور للوفد : خطيبكم الجُرثمي . وأمر برد ضياعه اليه في الغوطة أي أراضيه .

ومن ايجازهم ما كتبه أبو الهيثام رئيس القيسية الى أهل مزنة كلب أيام فتنته المشهورة وقد قطع أهل مزنة الماء عن أهل دمشق

وهو قوله : « الى بني استها اهل مزة ليمسني الماء أو لتصبحنكم الخيل » فوافهم الماء قبل أن يُعتموا .

وكانت جبهة المسلمين لأول الأمر تتأدب في الجوامع والمساجد ، ولا تخلو قرية من مؤدب يؤدب أولادها الأدب الذي لا يستغني عنه مسلم ، يعلمهم القراءة والكتابة ويحفظهم القرآن وبعض السنة ويرويهم الشعر ويذريهم على الحساب ، فينشأ منهم نابتة يشاركون مشاركة لا بأس بها في الآداب ، ومن أنس من نفسه كفاءة واستغنى أهله عنه في زراعتهم أكمل علمه على الشيوخ والعلماء . والناس في العادة يخفون لاستماع من ينزل عليهم من أرباب الذكر وينقلون عنهم ما تهوى اليه قلوبهم من صنوف المعارف .

كان التلقي عن الرجال من أهم عوامل التعليم عند القدامى ، ودام ذلك الى عهد قريب . وكان من الولع برواية الحديث ^(١) النبوي أعظم معوان على نشر الثقافة ، ورواية الحديث تتوقف على تلقف شيء من

(١) قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : ينبغي للانسان ان يقتصر من القراءات اذا حفظ القرآن على العشرة ومن الحديث على الصحاح والمسند والمسانيد المصنفة فان علوم الحديث قد انبسطت زائدة في الحد وعلم الحديث يتعلق ببعضه ببعض وهو مشتهى والفقهاء يسمونه علم الكسالى لأنهم يتشاغلون بكتابته وسماعه ولا يكادون يعانون حفظه ويفوتهم المهم وهو الفقه . وقد كان المحدثون قديماً هم الفقهاء ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث والمحدثون لا يعرفون الفقه فهو اعظم العارم وأهمها .

اللغة والنحو والصرف والشعر والانساب وتقويم البلدان .
ولما نشأت المدارس بدمشق واقتتت أثرها سائر المدن الشامية
اكتفت قرى الغوطة بمدارس دمشق أو ما أنشئ في ظاهرها
كمدارس الصالحية تبعث اليها ببعض أبنائها . وأعظم المدرسين في
الغالب ينزلون الحواضر والعواصم . وما كانت نسبة عدد طلاب
المدارس من أهل الغوطة على ما يظهر أقل من نسبة غيرهم . وجاءت
قرون والغوطة تغزو عاصمتها برعيل من بنيتها تكثر بهم سواد
العارفين والعاملين . وكان من البيوت ما ترى البركة في أن يأخذ
بعض أبنائها العلم عن شيخ عظيم ويتخرج في مدرسة مشهورة لينفع
أهل قريته في دينهم ، ويكون له الظهور عليهم في الشؤون الدنيوية .
ومن كتب له من رواة الحديث أن يصل سنده بسند محدث كبير
عد ذلك من مفاخره وآية سعادته .

بلغت الغوطة من درجات العلم مكانة سامية وما خلت في أكثر
الأدوار قرية من قراها من رواة السنة وأرباب الفقه وممن يقرضون
الشعر وقد أخرجت رجالاً اشتهروا شهرة عالمية وخدوا الشريعة
على اختلاف مظاهرها ومنهم من انحصرت شهرتهم في صقعهم لم
تتعد إلى الأصقاع الأخرى وفي أكثر العصور كانت داريا حاضرة
العلم والأدب في الغوطة . ويقول السمعاني انه كان في داريا جماعة

كثيرة من العلماء المحدثين قديماً وحديثاً وممن نبغ فيها من الصحابة
عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني ويعبد في الطبقة الثانية من
فقهائ الشام وممن التابعين من أهلها سالم بن عبد الله الحاربي قاضي دمشق
وكان من حملة القرآن وممن يحضر الدراسة في جامع دمشق ، ومنهم
فقيه الشام وقاضيه ابو ادريس الخولاني (عائذ الله بن عبد الله ويقال
عبد الله) تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد ومنهم ابو سليمان
الداراني الذي يقول فيه أبو حيان التوحيدي انه جمع كتبه في تنور
وسجرها بالنار ثم قال : والله ما احرقتك حتى كدت أحترق بك .
فعل ذلك مخافة أن يكون خطأ فيها ما يستحق عليه النار يوم القيامة ،
ومنهم سليمان بن حبيب الداراني قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز
وزيد وهشام ابني عبد الملك قضى لهم ثلاثين سنة . ومنهم
عمير بن هاني العنسي الداراني المحدث (١٢٧) ومات فيها في سنة اربع
ومائة وقيل سنة سبع عبد الله بن زيد البصري الامام وكان طلب
للقضاء فهرب ونزل داريا وكان رأساً في العلم والعمل .

يقول عبد الرحمن العمادي في «الروضة اليا فيمن دفن بداريا» وممن
سكن داريا بلال الحبشي مؤذن رسول الله مات سنة عشرين قال
ابن كثير والظاهر انه دفن بداريا وان القبر الذي بباب الصغير الذي
يقال له قبر بلال اما هو قبر بلال بن ابي الدرداء لا قبر بلال بن

حمامة مؤذن رسول الله . وبلال ابن أبي الدرداء كان ولي امره دمشق
ثم ولي القضاء بها وكان حسن السيرة يكثر العبادة ، وعزله عبد الملك
ابن مروان عن القضاء وولى أبا ادريس الخولاني وهو القاضي
المشهور للأمويين . وممن سكن داريا ابن ثعلبة النخشي الصحابي
وسكنها من التابعين ثابت بن سعيد الحاربي وأخوه عطية ومنهم الأسود
ابن بلال الحاربي التابعي وسعيد بن عكرمة الخولاني وكان على حرس
عمر بن عبد العزيز ، وعمر بن عبد الله الخولاني وسكن داريا خلائق
من التابعين وجملة من العلماء والمحدثين . قال العمادي وقد رأيت
مؤلفاً مفرداً في أسماء المحدثين بداريا ورأيت جزءاً في الأحاديث
التي رويت عند ضريح ابي مسلم الخولاني .

وفي تاريخ داريا « ومن نزلها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين
وأملى العلم على طبقاتهم وأزمانهم وذكر وفاتهم ومن أعقب بها »
تصنيف القاضي أبي علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني الداراني :
قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر من أراد العلم فليزل داريا بين
عنس وخولان .

وذكر ابن راشد الخولاني وأسود بن اصرم الحاربي والوليد على
نزوله قطائع له تعرف به الى اليوم روى عنه سليمان بن حبيب

المحاربي قاضي الخلفاء وهو ممن نزل داريا وله بها أوقاف تجري على
ساكنيها وكثوم بن زياد المحاربي والأسود بن بلال المحاربي وثابت
ابن معبد المحاربي وسعيد بن عكرمة الخولاني ومحمد بن الحجاج بن
أبي قيلة المحاربي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي
وسليمان بن عتبة الغساني وأبا سليمان الداراني واسمه عبد الرحمن
بن أحمد بن عطية العنسي وعمرو بن الأسود العنسي ويكنى أبا فياض
ونزوله داريا وبها جماعة من ولده الى هذا اليوم وعمرو بن عبد
الخولاني وأبا قلابة الجرمي وعمير بن هاني العنسي وسليمان بن حبيب
المحاربي قاضي الخلفاء وأبا كثير المحاربي وعثمان بن عبد الأعلى بن
سراقة الأزدي وعبد الرحمن بن أبي كبيرة العنسي ومعاوية بن
طويع وعمر بن طويع ويزيد بن يزيد بن جابر الأزدي وإدريس بن
أبي إدريس الخولاني وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ويكنى أبا عتبة
وسليمان بن داود الخولاني وكعب بن حامد العنسي وابن مرة الداراني
ومسامة العدل والنعمان بن المنذر الغساني والقاسم بن هران الخولاني
وعمر بن شراحيل ويكنى أبا المغيرة وتميم بن عطية العنسي
وعبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي وسعيد بن يزيد بن
ذي عصوان وسالم بن عبد الله بن عصمة المحاربي وبكر بن زُرعة
الخولاني وأم مسلم الخولانية زوجة أبي مسلم وعمرو بن جَز الخولاني

وأبا إدريس الخولاني وسليمان بن أبي سليمان وعبد الرحيم بن صالح.
وختم الكتاب بذكر بعض أهل داريا وكان في آخرهم علي بن داود
بن عبد الله المُنْقَرِي إمام المسجد الجامع بدمشق واليه انتهت الرياسة
في القراءة توفي لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وأربعمئة
وكانت داريا منذ القرن الأول مركزاً من مراكز القدرية
الذين سموا بالمعتزلة بعد حين، ولا يعقل أن ينشر غيلان الدمشقي
دعوته في الدانية والقاصية وتكون داريا بمعزل عنها وغيلان قتله
بعض خلفاء بني أمية بما دعا إليه ثم انتشرت دعوته فاتتحتها بعض
المتأخرين منهم، وسرت في الآفاق سريان المذاهب الأخرى في
القرون التالية.

قال المسعودي وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع من
شايعه من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على
الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره.

وفي داريا نبغ خطيب من أعظم خطباء الاسلام وهو علي بن داود
(٤٠٢) المتقدم ذكره آنفاً قالوا لما مات خطيب الأموي بدمشق
لم ير أهلها من يخلفه أقدر من الخطيب الداراني فطلع كبراء دمشق
إلى داريا وطلبوا إلى علي بن داود أن يكون خطيب جامعهم فوثب

أهل داريا بالسلاح وقالوا لا نعطيكم خطيبنا ، فقال رئيس الوفد :
أما ترضون يا أهل داريا أن تسمع الناس في البلاد ان أهل دمشق
احتاجوا اليكم في امام ، فتولى خطابة الجامع ولم يرض أن يأخذ
معلومها وسكن في غرفة احدى مآذن الجامع .

وحدث أيضاً في القرن السابع أن مات خطيب جامع بني أمية
فلم ير أهل دمشق خلفاً له أحسن من خطيب جامع بيت الآبار
يخطبهم ويعظمهم فجاءوا به كما جاءوا في القرن الخامس من داريا
بعلي بن داود يخطبهم .

ومعلوم ان الدولة الاسلامية كانت تعني بتخير الخطباء والقصاص
أو الوعاظ من أرقى الطبقات لأن بأيديهم قيادة الرأي العام ، ويفضّلون
منهم من يدرك معنى السياسة أو يكون على الحياد يخدم المصلحة
الدينية فقط . ولما ضاق الملك العادل ابو بكر بن أيوب ذرعاً بحرب
الصليبيين ورأى فتور الناس في جهادهم تقدم الى سبط ابن الجوزي
الواعظ العظيم ان يحث المسلمين على قتال الصليبيين فدبّر هذا مع
بعض أهل دمشق طريقة لطيفة لتحريك نفوس المسلمين وذلك بأن
جزّ نساء دمشق شعورهن وحمله الحمالون وكانوا ثلاثمائة حمال الى
المسجد الجامع وقت صلاة الجمعة والخطيب على المنبر والحمالون
ينادون ان نساء دمشق قدمن شعورهن لتعمل منها شكالات لخيّل

الجهاد فضج الناس بالبكاء وانقلبوا من ساعتهم الى ساحات الوغى يدفعون الافرنج عن ارضهم . قال المؤرخون ان قرية زمكا وحدها قدمت الف فارس لهذه الغاية . ونجح الملك العادل بتحريض الناس على الجهاد من طريق الواعظ الكبير .

ومع أن عصر نور الدين بن زنكي وعصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب كانا من أشد العصور على المسلمين تقيش فيه أوربا على ديارنا بمئات الألوف كان عصرهما من أبرك العصور على العلم والأدب أيضاً ذلك لأن الدولتين النورية والصلاحية كان فيهما كل شيء يعمل بحمد . جدّ مؤسسهما في الحرب وجدا في العلم وجدا في نشر كل فضيلة . وكان من برّ نور الدين وصلاح الدين للعلماء ما هو معروف مشهور .

وبعد الدولة الصلاحية أهمل رجال السياسة العلوم الدينية حتى قال ابن طولون في زغل المناصب : ومن حق نائب السلطنة اقامة فقيه في كل قرية يعلم أهلها أمر دينهم ، ومن العجيب أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحبونه في أسفارهم بعلوم من بيت المال ولا يتخذون فقيهاً يعلم الدين .

أما العثمانيون فقد ارتكبوا ما هو أفظع من عمل المماليك واهملهم تعليم أهل القرى وذلك بان قضوا ان « يبقى أبناء الميت ولو كانوا

صغاراً على وظائف آبائهم مطلقاً من امامة وخطابة وغير ذلك لأن فيه احياء خلف العلماء ومساعدتهم على بذل الجهد في الاشتغال بالعلم وقد أفتى بجواز ذلك طائفة من أكابر القضاة الذين يعول على افتائهم - قاله البيري من فقهاءهم « أي ان هذه الدولة قضت بان تورث الوظائف الدينية كما يورث العقار أو الأرض وبذلك انحط الدين بانحطاط القائمين عليه ، شوهد ذلك محسوساً في المدن وعمم القرى جهل مطبق .

نعم ما كانت أكثر قرى الغوطة تخلو من أفذاذ من العلماء نبغوا منها أو سكنوا فيها فقد أخرجت بيت لها في القرن الثاني يحيى بن حمزة الحضرمي البتلي (١٨٣) قاضي دمشق ومحدثها وكان يرمي بالقدر تولى القضاء ثلاثين سنة . ونبّه من أبناء حرستا القاضي جمال الدين عبد الصمد الأنصاري في القرن السابع ومن أعظم فقهاء عصره وكان ولي القضاء في كهولته ثم تركه ، ووليه وقد تجاوز التسعين عاماً وذلك بالزام الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر والشام ، ومات وهو قاضي القضاة سنة ٦١٤ عن ٩٤ عاماً ، وكانت سيرته في العدل مضرب الأمثال ^(١) ، والغالب ان العلم

(١) نقل صاحب الدارس عن سبط ابن الجوزي ان الملك العادل كتب لبعض خواصه كتاباً يوصي به القاضي جمال الدين عبد الصمد الانصاري في حكومة بينه وبين آخر فجاء اليه الكتاب فقال : أي شيء فيه قال : وصية بي . -

تسلسل في بيت القاضي عبد الصمد قال ابن العماد في حوادث سنة
ثنتين وثمانين وستمائة وفيها مات ابن الحرساني خطيب دمشق
محي الدين أبو حامد محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضي
أبي القاسم عبد الصمد بن الحرساني الأنصاري درس وأفتى وكان
قوي المشاركة في العلوم وعلى خطابته طلاوة وروح وكان شاعراً مجيداً.
واشتهر في القرن السابع والثامن ثلثة من رجال الحديث كانوا من أبناء
الغوطة ومنهم الحافظ الزملاكاني (٦٥١) والحافظ اليلداني (٦٥٦)
والحافظ المزي (٧٤٢) وكان من أجداد الحافظ الزملاكاني غير واحد
من الأجلاء منهم خطيب زملاكا كمال الدين بن عبد الواحد بن خلف
(٦٥٠) كان متميزاً في علوم متعددة وولي القضاء وهو جد كمال الدين
ومنهم خطيب زملاكا عبد الكريم بن خلف الأنصاري (٦٣٣)
وكان العلم تسلسل في بيت الحافظ الزملاكاني كما تسلسل في بيت
القاضي عبد الصمد الحرساني. واشتهر المؤرخ محمد بن زكريا الداراني
(٧٦٤) كما اشتهر القطب العربي والتقي اليلداني (٦٥٥) ولد في

— قال : أحضر خصمك فأحضره ، والكتاب بيده لم يفتحه ، وادعى على الرجل ،
فظهر الحق لغريمه ففضى عليه ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى الكتاب لحامله
وقال : كتاب الله قد قضى وحكم على هذا الكتاب ، فمضى الرجل الى العادل
فبكى بين يديه ، وأخبره بما قال القاضي فقال العادل : صدق ، كتاب الله
أولى من كتابي .

يلدا ودفن بها ودرس بالفاضلية. كما دفن في داريا خطيبها ركن الدين
ابو عبد الله الوهراني الجزائري صاحب النكات البديعة الذي كتب
الجد في الهزل والهزل في الجد (٥٧٥) وممن اشتهر شهرة عالمية
في الفلك والطبيعات والجغرافيا والعلوم الغربية محمد بن أبي طالب
الأنصاري الملقب بشيخ الربوة (٧٢٧) كان شيخ ربوة دمشق
وامامها. واشتهر شهرة عظيمة في الآفاق الحافظ الذهبي صاحب
المؤلفات الجليلة في التاريخ والحديث وهو ابن كفر بطنا^(١) في بعض
الروايات وكان يدرس فيها. أصل أجداده من التركمان ونشأ نشأة
عربية عالية .

وكما كان يسمع في عصور الترقى اسم الصنعاني والداراني
والأرزوني والقوفي واليلداني والسقباني والمنيجي والبلاطي والحجراوي
والحرستاني (أو الحرساوي) والدومي والكفر بطناني (أو الكفر بطنائي)
والجسريني والبتهلي والجوبري، صرت تسمع في عصور التذني اسم
العقرباني والببيلي والحموري والعربيلي. وكان محمد بن عمر الدينوري
خطيب داريا، وكان ابن عروة الحنبلي صاحب الكواكب الدراري

(١) مما يستدل به على اتصال الذهبي بكفر بطنا ما قاله في المشتبه من
تأليفه من أن القريري بقاء فلاح بجسرين وبقاف مضمومة القريري الزاهد
عثمان له كشف وحال واتباع يجمع الشباب على السماعات بكفر بطنا
مات سنة ٦٨٠ .

انقطع الى مسجد القدم بأخر أرض القبيبات (٨٣٨) يعلم الاطفال احتساباً
ويسد عوزه بما تكسبه يداه من نسج الأعبئة

ومن البلدان ما غلب عليه الحديث أكثر من الفقه ومنها
ما غلبت عليه الرواية أكثر من الدراية ومنها من جمع بينهما .
ومن القرى ما كان حفظ القرآن شائعاً في أهلها كما هو الحال
اليوم في قرية عربيل فقد شاع حفظ القرآن والقراآت بالسبع
فيها . وكثيراً ما نقرأ في الكتب اسم ابن خطيب داريا ، ابن
خطيب بيت الآبار ، ابن خطيب المزة مما دل على أن بعض
البيوت كانت ألقت العلم فتخرج الأبناء بالآباء ومشوا على آثارهم .
قلنا ان أهل الغوطة مشوا على آثار العاصمة في تلقي العلم وكان
لهم الحديث أكبر قسط من عنايتهم وليس أدل على ذلك من تأليف
الحافظ ابن عساكر كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء وكتاب
من نزل المزة وحدث بها جزء واحد وكتاب أحاديث كفرسوسية
جزء واحد وكتاب أحاديث صنعاء الشام جزآن وكتاب فضل
الربوة والنيرب ومن حدث بهما وكتاب حديث الحميرين وقينية جزء
واحد وكتاب حديث أهل فذايا وبيت ارنس وبيت قوفا جزء
واحد وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ومن حديث أهل زبدین
وجسرین جزء واحد ومن حديث سامة بن علي البلاطي جزآن

ومن حديث أهل بيت سوا جزء واحد ومن حديث دومة ومسرابة
والقصير جزء ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ومن حديث
أهل كفر بطنا جزء ومن حديث أهل دقانية وحجيرة وعين ثرماء
وجديا وطرمدس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لها جزء
ومن حديث يحيى بن حمزة البتليحي جزآن ومن حديث أهل برزة
جزء. وكل هذه القرى من الغوطة. وفي هذا دليل آخر على أن ما
كان وراء حدود هذه القرى المذكورة من الشرق والغرب والشمال
والجنوب ليس من الغوطة.

ولما بدأ اضمحلال العلم في القرن التاسع والعاشر ببلاد الاسلام
غدت الغوطة في المسائل العقلية اسماً لا مسمى له، ورجعت القهقري
فأمسى أهلها فلاحين أكارين فقط، اذا عرف بعضهم فروض الصلاة
وبعض العقائد عدوه رجلاً وربما أطلقوا عليه اسم العالم. أما العلوم
الآخري فلم يكن لأهلها فيها ورد ولا صدر. وإلى عهد قريب قل
من ذاق من أهلها ولو قليلاً من العلوم المدنية والعارفون من سكانها
بالأمور الدينية لو جمعوا في قريتين ما وفوا بحاجة أهلها ويزيد
كل سنة عدد من تعلموا العلوم المدنية، ومنهم بعض المعلمين
والأطباء والاداريين والشعراء والوعاظ.

ومن القرى ذات الألف والألفين من السكان ما ليس في أبنائها

اليوم من تصح صلاته ويقدر أن يؤمهم ويحسن النطق فيخطبهم أو يجود آيات من القرآن تمكنه من تعليم أولادهم أو يعرف من الحساب الأعمال الأربعة لينظر في حساب مياهم ومشاكلهم مع التجار والمرايين والحكومة، وإذا أفلحوا وجادوا باجرة خطيب يصلي فيهم يأتون به من طبقة نازلة ولا تسمح نفوسهم باداء أجر خطيب يزكن أمور الدين .

هذا في المسائل الدينية وهي أعلق الأشياء بقلوبهم فبالك بمسائل التعليم فان قرية متوسطة في الغوطة الوسطى وأهلها أكثر من الف نسمة ليس فيها مدرسة وقلماء أهم أهلها التعليم بقدر ما يهمهم جمع المال والتدنيق في النفقة وقد بنوا لهم مأذنة في العهد الاخير والله أعلم متى يبنون المدرسة .

ولا تزال بعض القرى الى اليوم خالية من مدرسة للذكور فضلاً عن مدارس إناث، والفرق ظاهر بين القرية التي أنشأت مدرسة منذ جيل والقرية التي لم تبرح خالية من شيء اسمه مدرسة أو فيها كتاب يعلم الأطفال القرآن فقط على الطريقة القديمة .

أما القرية التي تهياً لها من يفيدها فقد تجلت فيها النهضة على أجمل مظاهرها فقام من أهل عربيل الشيخ محمد عبده وعلم أهلها على الطريقة التي ما كان يحسن غيرها وقد أفادت على ما حملت من تعصب .

حرج عليهم أكل الربا فلم يتبايعوا به وكان ذلك من دواعي اغتنائهم
وانتظام شؤونهم الاقتصادية . وتبعه قريبه الشيخ عبد القادر
قويدر فتلقى القراءات على شيخ قراء دمشق صديقي الأستاذ العالم الشيخ
عبد الله المنجد وعاد الى عربيل يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين
حتى أصبح اليوم فيها ما يزيد على مائة رجل يحفظون كتاب
الله . وقام الأستاذ الشيخ محمود العطار يصرف جهداً محموداً
في قريتي القدم وكفرسوسية من الغوطة فعلم أهلها وفقههم
سنين طويلة بدافع من نفسه وباعت من دينه وكان رحمه الله
يسير اليهم على رجليه ولا يتخلف عن الميعاد الذي ضربه لتعليمهم
حتى أخرج ناشئة صالحة رفعت غشاوة الجهل عنها بما ساعدته عليه
قوته الشخصية وهداه اليه سعيه الفردي . وقد بذل في تعليم أهل
قرية القدم صديقانا العالمان العاملان الشيخ محمد بهجة البيطار والشيخ
محمد أحمد دهمان عنايه كبيرة . ومتى كثر من أبناء الغوطة من
يفكرون في خير قومهم تصبح حقيقة جنة غناء بطبيعتها وبما يدخل
عقول أبنائها من نور .

الفصل الخامس عشر

المدارس والخوانق والرُّبُط والنزوايا

كان المسلمون في القرون الأربعة الأولى للإسلام يتخذون من الجوامع والمساجد أماكن لأجراء الأحكام كما كانت لهم بمثابة دور لتلقين العلم على اختلاف ضروبه وفي القرن الخامس أنشئت المدارس يأخذ فيها الطلاب العلم وتدر عليهم المعاليم والأرزاق ويتولى تدريسهم العلماء ويتخرج بهم الطلبة ويجازون بما تعلموا اجازات لا ينالونها الا بعد اثبات كفاءتهم فيما تلقوه .

وقد أنشأ في دمشق أحد أبنائها رشاً بن نضيف بن ما شاء الله مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها دار قرآن سنة ٤٤٤ . وكثرت بعد ذلك المدارس في دمشق وضاحيتها من أرض الغوطة ولا سيما في الصالحية. ونحن نذكر هنا ما كان في أرض الغوطة من كبريات المدارس .

١ - دور القرآن :

دار القرآن الدلامية : بالقرب من الماردانية على الجسر الأبيض ،
بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ الى المدرسة الجهاركسية .

أنشأها زين الدين ابن دلامة سنة ٨٤٧ ، وكان من أجل أعيان
الخواجكية . وخصص في صك وقفها مائة درهم لقراءة البخاري .
دار القرآن الصابونية : خارج باب الجابية قبالة مقبرة الباب الصغير .
أنشأها احمد بن سليمان بن محمد البكري الصابوني سنة ٨٦٨ .
وهاتان المدرستان شبه عامرتين . الا انها خرجتا على شروط
الواقف عليها

٢ - دور الحمير :

دار الحديث الأشرفية : بسفح قاسيون على ضفة نهر يزيد ، تجاه
تربة الوزير تقي الدين التكريتي أمر ببنائها للحافظ عبد الله المقدسي
الملك الأشرف موسى بن الملك العادل المتوفى سنة ٦٣٥ هـ . وقد تهدمت
ولم يبق غير واجهتها .

دار الحديث القلانسية : غربي المدرسة العمرية بالصالحية . انشاء
أبي يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي سنة ٧٢٩ . وهي رباط
ودار حديث .

دار الحديث الناصرية : قبلي جامع الأفرم بسفح قاسيون .
انشاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز (٦٤٥) .
وقد دثرت .

٣ - مزارع السافعية :

الأتابية : غربي المرشدية ودار الحديث الأشرفية . أنشأها زوجة الملك الأشرف موسى المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ . وفيها تربتها .
الأسدية : كانت بالشرف القبلي مطلة على الميدان الأخضر .
أنشأها أسد الدين شيركوه من قواد نور الدين .

الاسعدرية : كانت بالجسر الأبيض . أنشأها إبراهيم بن مبارك شاه الاسعدي المتوفى سنة ٨٢٦ . قال ابن قاضي شهاب : كان الاسعدي هذا والشمس بن المزلق أكبر تجار دمشق . وكان صاحب الاسعدرية يقول : عجائب الدنيا أربع وأحسنها غوطة دمشق ، وأحسن الغوطة الصالحية ، وأحسن الصالحية الجسر الأبيض .

الأمجدية : بالشرف الأعلى الشمالي ، مطلة على الميدان الأخضر ، قرب مدرسة التجهيز . أنشأها الملك الأمجد بهرام شاه . وكان من أشعر بني أيوب .

البهنسية : بسفح قاسيون . أنشأها أبو الأشبال البهنسي وزير الملك الأشرف مظفر الدين موسى (٦٢٨) وهي بجوار حاكورة العدس .
الظاهرية البرانية : كانت بالشرف القبلي مطلة على الميدان بين نهري بأناس والقنوات . أنشأها الملك الظاهر غازي صاحب حلب .

٤ - مدارس الحنفية :

وقامت في أرض الغوطة مدارس كثيرة للحنفية منها :
الآمدية : بجوار بستان الميطور قرب حي الأكراد .
البدرية : قبالة الشبلية ، بقي منها في أيامنا التربة . انشاء
بدر الدين المعروف بلالا ابن الداية ، من أمراء نور الدين . ومات
في أواخر القرن السادس .

الجمالية : بسفح قاسيون . أنشأها جمال الدين يوسف وهي
من الدوارس .

الحاجبية : قبلي المدرسة العمرية . انشاء الأمير اينال الحاجب (٨٦٧)
الختاوية البرانية : في الشرف القبلي . وقفها زمرد خاتون أخت
الملك دقاق صاحب دمشق . توفيت سنة ٥٥٧ . وخربت مدرستها
في أواخر حكم المماليك .

الركنية البرانية : بالسفح ، عند حي الأكراد . انشاء ركن الدين
منكورس (٦٣٥) . وعلى واجهتها كتابات كوفية .

الشبلية : بالسفح تجاه البدرية . انشاء شبل الدولة كافور الحسامي
طواشي حسام الدين ابن لاجين ولا تزال أطلالها باقية .

العزبة البرانية : بالشرف الأعلى شمالي ميدان القصر ، مقابل
معمل الكهرباء. انشاء عز الدين استادار الملك المعظم، صاحب صرخد .
وما تزال تربته بها قائمة .

العامية : شرقي الصالحية ، غربي الميطورية ، انشاء علم الدين
سنجر المعظمي سنة ٦٢٨ .

الفرخشاهية : بالشرف الأعلى ، لصيق الأبحدية ، وشمالي حديقة
الأمّة وتطل عليها . أنشأها حظ الخير خاتون والدة عز الدين
فرخشاه ، وزوجة شاهنشاه سنة ٥٨٧ .

القلانسية : المشهورة بالخانقاه وغربي العمرية مرّ ذكرها في
دور الحديث .

المرشدية : على نهر يزيد بالصالحية جوار دار الحديث الأشرفية
انشاء خديجة خاتون بنت الملك المعظم سنة ٦٥٦ داخلها متهدم
ومجموعها مختلس .

المعظمية : بسفح قاسيون الغربي جوار المدرسة العززية أنشئت
سنة ٦٢١ نسبة الى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل وهي
الآن مدفون .

الماردانية : على ضفة نهر ثورة لصيق الجسر الأبيض أنشأها عزّة الدين
اخشا خاتون . وهي اليوم جامع عامر اتخذ منه بنو المؤيد مدفناً لهم .

المقدمة البرانية : تجاه الركنية بالسفح شرقي الصالحية انشاء

شمس الدين بن المقدم .

المنجكية : وهي قبلي مقبرة الصوفية وغربها وفي الدارس انها بالخلخال

وكان الخلخال حديقة أخذت للشكنة الحميدية (الجامعة السورية) انشاء

سيف الدين منجك من ممالك الناصر محمد بن قلاوون أسست سنة ٧٧٦

الميطورية : شرقي جبل الصالحية في حي الأكراد وبتعريف

آخر بين الصالحية والقابون وقفها فاطمة خاتون بنت السلار

سنة ٦٢٩ خربت

اليعمورية : بالصالحية انشاء جمال الدين بن يعمور الباروقي نائب

السلطان الصالح أيوب بالشام . اختلست .

٥ - مدارس الحنابلة :

وكان فيها ست مدارس للحنابلة :

الجاموسية : غربي العقبية خارج دمشق ابتاعها وأوقفها المتولون عليها

الصاحبة : بالسفح شرقي الصالحية انشاء ربيعة خاتون بنت

نجم الدين أيوب أخت صلاح الدين وست الشام دفنت في فناءها

وجعلت مكتباً ابتدائياً للذكور .

الضيائية الحمديّة : شرقي جامع المظفرية بجبل قاسيون انشاء
ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي سنة ٦٢٠ كان علامة عصره
درس بها اولاً ولا يعرف عنها شيء .

الضيائية المحاسنية : بسفح قاسيون شرقي جامع المظفرية وأمام
جامع الحنابلة أنشأها ضياء الدين محاسن وهي في حكم الدائر .

العمرية الشيخية : وسط دير الحنابلة بسفح الجبل أنشأها ابن قدامة
سنة ٥٥٠ وهو الذي نسبت الصالحية اليه لنزوله بمسجد ابي صالح
بظاهر باب شرقي وفي تاريخ الصالحية أنها أكبر المدارس بدمشق
والصالحية وكان فيها خزانة كتب صالحة ضمت بقاياها الى مخطوطات
دار الكتب الظاهرية ورممت قليلاً ولكنها لم تعد كما كانت .

العالمة : مدرسة للحنابلة ودار حديث شرقي الرباط الناصري
تحت جامع الأفرم غربي سفح قاسيون وقفها الشيخة الصالحة العالمة
أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي سنة ٦٣٠

ومن المدارس الحمديّة التي تدمر بأنها من الفوط :

النقشبندية البرانية : في سوق صاروجا بناها الشيخ مراد المرادي
وهي الآن تكية ومنزل لأحفاده .

الحافظية : بصالحية دمشق القديمة ودرس بها حمزة بن محمد نقيب

الشام المتوفي سنة ١٠٦٧

ومن مدارس الطب :

البودية : انشاء نجم الدين يحيى بن اللبودي توفي سنة (٦٧٠)

ودفن في تربته بالقرب من تربة الحميريين وجعل تربته دار طب
وهندسة وهي دائرة واسم البستان بستان اللبودي (البودي) شرقي
بستان الشموليات من أرض باب السريحة .

هذه مدارس الغوطة وهناك رباطات وخوانق وزوايا للصوفية منها :

الاسكافيه : بجبل قاسيون انشاء علي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب

ابن الاسكاف من كبار أهل دمشق (٦٧١) كان قد عاهد الله
تعالى مهما كسب ان يتصدق بثلثه وقد وقف على هذا الرباط وفقاً
كبيراً وشرط أن يقيم فيه عشرة شيوخ عمر كل شيخ منهم فوق الخمسين
ولكل واحد في الشهر عشرة دراهم (قاله في الشذرات) لا يعلم محلها .

الباسطية : كانت بالجسر الأبيض غربي الاسعردية . شمالي العزية

انشاء عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش بعد الثماناية وهي خراب في
وسط البساتين .

الحسامية الشبلية : شمالي الشبلية البرانية عند جسر كحيل منسوبة
لأم حسام الدين عمر بن لاجين (دائرة) .

الختاوية : ظاهر باب النصر الذي كان معروفاً باب دار السعادة أول
الشرف القبلي على نهر باناس منسوبة الى خاتون بنت معين الدين
زوجة نور الدين محمود بن زنكي .

الشبلية : انشاء شبل الدولة كافور المعظمي بازاء الشبلية البرانية
على نهر ثورة بسفح قاسيون .

خانقاه الطاحون : خارج البلد منسوبة لنور الدين (دثرت) .

الطواويسية : منسوبة للملك دقاق او لابنه وهي المشهورة بجانب
الكججانية والطريق الآخذ الى المرجة والصالحية قامت مقامها
سينما الاهرام اليوم .

العزية : بالجسر الأبيض على نهر ثورة بالصالحية قبلي الباسطية
وغربي الماردانية ومدرسة ابراهيم الاسعدي انشاء عز الدين اي دمير
الظاهري (٦٩٠) .

الكججانية : بالشرف الأعلى بين الطواويسية والعزية أمام ادارة
الكهرباء والترامواي انشاء ابراهيم الكججاني لم يبق لها أثر .

المجاهدية : انشاء مجاهد الدين ابراهيم على الشرف القبلي (٦٥٦) لم يعرف مكانها .

الناصرية : انشاء صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز بجبل قاسيون على نهر يزيد تقدم ذكرها ، صارت حاكورة صبار .
اليونسية : في أول الشرف الأعلى الشمالي شرقي الخانقاه الطواويسية انشاء الأمير الشرفي يونس (٧٤٨) هدمت وجعلت طريقاً .

ومن رباطاتها أي نظاياها :

رباط التكريتي : بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون انشاء محمد بن علي بن سويد التكريتي التاجر المثري سنة ٦٧٠ (غير معروف)
رباط الشيخ محي الدين بن عربي : بناه على قبره السلطان سليم خان الأول العثماني وجعله جامعاً وتكية لاطعام الفقراء (٩٢٢) وهو موجود اليوم

رباط الفقاعي : من رباطات السفح سفح قاسيون .

ومن زواياها :

الارموية : بالسفح انشاء عبد الله بن يونس الارموي (٦٣١) .
الارموية الشرفية : بالسفح انشاء شرف الدين بن عثمان الرملي .
الحريرية : بالشرف القبلي لعلّي الحريري (٦٣٠) .

الدينورية : بالسفح انشاء عمر بن عبد الملك الدينوري (٦٢٩)

الدينورية الشيخية : بالسفح أيضاً انشاء أبي بكر الدينوري

باني الزاوية بالصاحلية .

السيوفية : بالسفح عند نهر يزيد غربي دار الحديث الناصرية والعالمية

انشاء السيوفي نجم الدين بن عيسى بن شاه ارمن الرومي .

الداودية : بالسفح أيضاً تحت كهف جبرائيل انشاء زين الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود .

العمادية المقدسية : عند كهف جبرائيل بالسفح انشاء احمد بن

عماد الدين ابن العماد المقدسي (٦٨٨) .

الغسولية : بالسفح أيضاً انشاء ابي عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي .

الفقاعية : بالسفح أيضاً انشاء يوسف الفقاعي .

الفرثية : بالسفح لصاحبها علي الفرثي .

القوامية البالسية : غربي قلسيون والزاوية السيوفية ودار الحديث

الناصرية على نهر يزيد لصاحبها أبي بكر بن قوام البالسي .

اليونسية : بالشرف الشمالي غربي الوراق والعزية البرانية تنسب

ليونس بن يوسف القتي ٦١٩ .

زاوية خضر العدوي : في الربوة بنى له الظاهر يبرس هذه الزاوية
وغيرها وكان يعتقد فيه .

دثر أكثر هذه الزوايا والتكايا ولم يبق اسمها الا في كتب
الخطط . ومن أهم ما قام في العصر العثماني من الزوايا أو التكايا تكية
السلطان سليم في المرج الأخضر وإلى جانبها التكية السليمانية تكية
السلطان سليمان القانوني وهذه لا تزال عامرة وأخذت منها الجامعة
السورية قطعاً كبيرة وأصبحت مدفناً للملوك بني عثمان اذا هلك في
العهد الأخير أحدهم في بلد يحمل منه فيدفن في تكية جدهم .



الفصل السادس عشر

مدينة الغوطة

يمكن ان نعدّ من آثار المدينة في الغوطة في القرون الأولى المرصد الذي أنشأه أمير المؤمنين المأمون في جبل قاسيون لرصد الكواكب وذلك سنة خمس عشرة وست عشرة ومبع عشرة وبطل الأمر بموت المأمون في شهور سنة ثمانى عشرة ومائتين . وبني ألوغ بك التتري في دمشق مرصداً لرصد الاجرام السماوية والأحداث الفلكية منذ نحو ستة قرون . ويعدّ ذلك في باب المدينة .

ويمكن ان يعدّ في مدينتها الأولى تلك القناة التي جرها المأمون الى معسكره بدير مران في سفح قاسيون وتلك القبة التي شيدها في الجبل وصيّرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى ما في عسكره فاذا جن عليه الليل كان ضوءها الى ثنية العقاب ^(١) والى جبل الثلج ،

(١) ثنية العقاب هي الجبل الهرمي المطل على الغوطة والمرج يقال لها الثنايا اليوم وكان يقال لها ثنية العقاب وقال المؤرخون ان خالد بن الوليد لما جاء من العراق مدداً لاهل الشام ركز رايته واسمها العقاب في رأس الثنية وحارب بني غسان في الغوطة يوم فصّحهم فاستولى عليها . ومن جملة ما سميت به اعلام رسول الله « العقاب » وكانت هذه الراية هي التي رفعت في أعلى الثنية . وجبل الثلج هو جبل الشيخ المعروف في التوراة بجرمون .

والمسافة بين منين وجبل قلسيون لا تقل عن ساعتين للراكب يومئذ .
ودامت هذه المراقبة أو المناور إلى عهد قريب « وكانت تعرف بها اختلاف
حالات رؤية العدو والخبر به باختلاف حالاتها تارة في العدو وتارة في
غير ذلك » وما هو ماثل في قمة قلسيون إلى اليوم من قبة النصر أو النسر
وقبة السيار هو على الأغلب مناور نار متصلة من أطراف دمشق
وكان يرفع النار في القريتين فيرى في العطنة ويرفع فيها فيرى في
ثنية العقاب ويرفع فيها فيرى بمأذنة العروس ويرفع فيها لما حولها
انذاراً للرعايا وضماً للأطراف ، ويرفع حول دمشق بالجبل المطل على
برزة فيرى بالمانع الخ .

أجمع من وصفوا الغوطة على أن فيها قرى كالمدين وان في أكثر
قراها الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة
في مناحيهم . ولولا أن تبدلت معالمها مرات لشهدت عمرانا قديماً .
وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراکز القرى نعثر على
دمن تدل على عمران ضخم وعلى ثروة وحضارة وربما كان بناؤهم بالحجر
الصلب على بعد المقالع عن الغوطة ومعظم بنيانها الآن باللبن ويندر
فيها البناء بالحجر .

روى البدرى انه كان في كل شرف من الشرفين الأعلى والأدنى
غربي دمشق عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من

الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فظهروا فيها أنواع
المفاسد. قال النواجي :

الا ان وادي الشام أصبح آية محاسنه ما بين أهل النهى تتلى
وان شرفت بالنيل مصر فلم تزل دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى
وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي
ومدرسة التجهيز للذكور وهي من المباني المحدثه البديعة وفي الشرف
الأدنى أقيمت السكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني
ودار الآثار والتكية السلمانية والتكية السليمية .

وذكر ابن عبد الهادي من المحاسن محلات الشرفين المطلين على
الميدان الأخضر الذي يطلق عليه اليوم مرج الحشيش وكان عامراً
كله وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم كل ليلة
وفيه حوانيت وخانات حتي يوصل منه الى النيرب ثم منه الى الدهشة
ومنها الى الربوة . قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعمئة عامراً
آهلاً وتعدي عليه في عصر الثمانئة وبطلت منه الخطب والى الآن .
قال وبقيّة الأماكن من الربوة الى السهم والنيرب والشبلية ومحلة
طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت
بعد الأماكن بالجنان .

وفي الغوطة من آثار المدينة كيلومترات قليلة من الخطوط

الحديدية تمر من الربوة الى دمشق ومن دمشق الى داريا وقد خلت
سائر جهاتها من سكة حديدية وفيها خط ترام كهربائي يربط دمشق
بدومة حاضرة الغوطة الشمالية وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر
ببساتين العنابة وأرض جوبر وزمكا وعربيل وحريستا (حريستا
الزيتون قديماً وحريستا البصل حديثاً) وإذا امتد هذا الخط الكهربائي
فوصل بين دومة ودمشق ماراً بأمهات قرى الغوطة الوسطى
والجنوبية مثل حمورية وسقبا وكفر بطنا وجسرين والحديثة وزبدین
والمنبيحة وجرمانا وعقرباء وبلدا وبيلا والقدم وكفر سوسية والمزة
ربط الغوطتين القبلية بالشمالية. وإذا تعلقنا الهمم بتمديد قساطل
ماء عين الفيحة الى القرى كافة - وأكثر القوم يشربون الى اليوم
من آبار لهم ترشح من الأنهار الملوثة - تصبح قرى الغوطة محيطة
بدمشق احاطة الهالة بالقمر وتغدو هذه المزارع والقرى كائنها
بعض أحياء الفيحاء، وتقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي،
وكما زاد عدد الجادات والطرق فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو
الغوطة قبلة المتنزهين، وكما كثرت البيوت والقصور استحالت
الغوطة من أرض زراعية الى منازل تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة
كبرى كالقاهرة. إذا تحقق هذا وبعضه في طرق التحقيق كما يتبين
من الأحياء التي اقتطعت من أرض الصالحية في الشمال الغربي من

دمشق وأضت قصوراً ومنازل ذات بهجة وهندسة جديدة - اذا تحقق هذا يصدق على الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : « ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » من ان ذات العماد هي دمشق حاضرة الغوطة العظمى ، وكان فيها على ما قيل أربعمائة الف عمود . وفي قوله تعالى : « وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين » من أنها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .

ومن أعظم المصانع التي قامت في أرض الغوطة خلال القرون الوسطى المستشفى القيمري في الصالحية بجوار جامع محي الدين ابن عربي في سفح الجبل نسبة لمنشئه ابي الحسن بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣) وقد رُمته ادارة الأوقاف في العهد الأخير حتى كادت ترجعه الى ما كان عليه يوم زهوه بعد أن عاث فيه الدمار قروناً ، وانقطع ما كان يقصده واقفه من الخير منذ زمن ، وقد أكل لصوص الأوقاف ما حبسه عليه القيمري من القرى والبساتين والخوانيت والطواحين . وفي صك وقفه صورة مجسمة من مدينة تلك العصور . (راجع خطط الشام من تأليفنا ج ٦ ص ١٦٣)

وفي العهد الأخير قام بهمم أفراد من خيار التجار في أرض المزة من الغرب قرب قرية المزة والربوة مستشفى عظيم سموه مستشفى المؤاساة يضم ستمائة سرير . وقام قبله مستشفى السل في سفح قاسيون

بعد حي الأكراد من الشمال . وأنشأت وزارة الصحة في قصير دومة
مستشفى المجاذيب والمجذمين كما أنشئ مأوى العجزة في شارع
بغداد ، وفي صدر الباز من أرض الربوة قام معمل للجوخ . وأنشئ
في طريق دومة على أرض مزرعة المرشدية معمل عظيم لصنع الشياح
يعمل فيه ألف ومائتا عامل وهو على أهبة الانجاز وستقام الى جانبه
مدينة للعمال . وفي طريق دومة أيضاً قام معمل الزيوت والصابون ،
وبجانب مفرق القابون أنشئ معمل شركة المغازل والمناسج وغيرها
من معامل النسيج . وفي تلك الناحية شيد معمل لصنع الأقفال
والمفاتيح ، وفي أرض جوبر بني معمل الجلود وعلى مقربة منه مصنع
للجوخ أيضاً . وفي طريق شارع بغداد قام معمل الأثمار والبقول المحفوظة
(كونسروا) ، وفي جسر ثوري في القصاع قام معمل الكحول
وفي بلاس من الجنوب أنشئ مصنع الخزف والزجاج . وفي طريق
الربوة معمل للفائف وصنع الدخان ، وقرب الباب الشرقي معمل
رب السوس ، وفي أرض الميدان معمل الثقاب (الكبريت) ومعمل
مثله في أرض القابون الى ما شاكل ذلك من المعامل والمصانع
ودور المرضى والدباغات والمطاحن ومعامل اصلاح السيارات والمركبات
وفي أرض المزة قرب داريا قام مطار المزة وفيه معمل اللاسلكي
وميكانيك الطيران ، وفي جبل المزة القلاع والحصون الجديدة .

وفي أرض باب السريجة معمل التبريد، وفي آخر الشرف الأعلى إلى الشرق معامل الكهرباء، وستنقل بدارتها ومعاملها إلى محلها الجديد في طريق دومة. وفي أرض القصاع أو العنابة قام منذ القرن الماضي المستشفى الانكليزي وأمامه المستشفى الفرنسي، وفي محطة القدم بالميدان معامل السكة الحديدية الحجازية، وفي القنوات المحطة الكبرى البديعة لهذه السكة العظيمة. ولكل معمل من هذه المعامل حظ جليل لأهل الغوطة يعملون فيها بأيديهم كما يعمل أهل دمشق بعقولهم وأموالهم، والمصلحة مشتركة والفائدة عامة.

كان من مظاهر مدينة الأُمس مغالاة القوم في إنشاء الجوامع والمدارس والتكايا وتقوم مدينة اليوم بالمعامل والمستشفيات والمصانع وكل ما يحفظ الثروة ويجلب الرخاء لطبقات الشعب. وما كان في القرن الماضي كيان للعمال وأصبحنا بالمدينة الحديثة نحسب لهم حساباً ونبذل الجهد في أرضائهم خصوصاً وقد سرى إلى عمال هذه الديار شيء من مبادئ الاشتراكية والشيوعية، ودعوى حماية حقوق الفقراء وتحسين مستوى المعيشة. تعلمنا ذلك من أهل الغرب ونسجنا على منوالهم في مدينتهم ولا يمضي علينا ربع قرن حتى تغدو الغوطة وعاصمتها جنة أرضية حقاً فيها كل ما صنعه الصانع تعالى

وما تم على أيدي الخلق ابداع وإيجاد فتعدو غرة شادخة بين الأقطار
والأمصار .

وكما استنارت العقول وأثرت المدنية الحديثة أثرها وكثرت
الثروة في الأيدي تم في هذه الكورة من أعمال الحضارة مصانع
زاهية تناسب مبلغ رخاؤنا على نحو ما رأينا تلك القصور العظيمة
التي شيدت في ضواحي دمشق حتى كادت الأرض القريبة من
العاصمة تستغرقها البيوت والمعامل ودور المرضى ، وبهذه المصانع
والبيوت ربما بلغ عدد القصور المحدثه نحو خمسة آلاف قصر .
دخلت دمشق في طور المدن الحديثة بما بني فيها من مرافق التمدن
ومنها هذه الجادات العظمى كشارع بغداد وشارع فاروق وشارع
فؤاد وشارع بريطانيا وشارع النصر وغير ذلك . ومن أهم الجادات
النطاق الذي أحيطت به العاصمة الكبرى من جهاتها الأربع وستقوم
عليه مع الزمن أجمل الجواسق والقصور وذلك في البرزخ بين
العاصمة وغوطتها .

هذا وينقص الغوطة كثير من أسباب المدنية ، وقد أتت عليها
قرون كانت الحكومة تأخذ خيراتها ولا تنفق عليها واحداً في المئة
مما تأخذ فتأخرت معارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها

وجوامعها وكثرت مستنقعاتها وطرق صرف المياه فيها. وليس فيها
الى اليوم غير بضع طرق معبدة في الجملة. وهذا مما تم في العهد
الآخر. وكانت طرقها القديمة عريضة جداً فاستصفي أكثرها بعض
من يستحلون كل شيء في جمع ثرواتهم، وباعت الحكومة أو وهبت
الفضلات من جانبي الطرق فضاقت وكانت من قبل عريضة بعرض
أربعين وخمسين متراً.



الفصل السابع عشر

الأخلاق والعادات

تبدلت أخلاق أهل الغوطة وعاداتهم في هذا القرن عن الذي قبله فسرت اليهم عدوى الترقى الذي شمل فروع الحياة ، ونفعهم تنقلهم في البلاد وكان الغوطي لبدأ لا يفارق أرضه الا في الخدمة العسكرية عند العثمانيين فهم أقل أهل الأقاليم حباً للهجرة وتعلموا بما يقرؤنه أو يقرأ عليهم في الصحف ، وما يستمعون اليه من أحاديث المذيع ، واستعاضوا من حيث يشعرون أو لا يشعرون عن عاداتهم القديمة بعادات يقبلها العقل وتقرب من أساليب المتحضرين .

تطور شبانهم فأصبح بعضهم يلذه الاشتغال في أشق الأعمال لتحصيل قوتهم ولا يسف لاطالة يده الى أخذ ما ليس له . ومتى شح الرزق في أرضهم يركبون الى العاصمة أو القاصية في طلبه ويتخلون عن الزراعة ويذهبون الى الصناعة والتجارة أي ان ابن هذا الجيل أخذ يدرك معنى عزة النفس أكثر من أبناء الجيل السابق ويحب الكسب من طريقه المحللة ، وربما تجلى الشمم في الفقير أكثر من المتوسط والغني .

كان من تطبيق القوانين المدنية على من يرتكب الجرائم والجنح منذ انشاء المحاكم النظامية أواخر القرن الماضي أن نشأ جيل من أهل الغوطين يكره السطو والاعتداء. وأدرك النابهون انه من الصعب ان يحترم الا من يجد ويجتهد ويدخر ويقتصد والتوفيق من الله . وتبدلت عقلية بعض ناشئتهم فعرفوا معنى الاجتماع فالفوا جمعيات خيرية وتعاونية منها المستقل ومنها ما جعل من فروع جمعيات دمشق كان لها تأثير ظاهر في انتخاب النواب سنة ١٣٦٦ (١٩٤٧) وتكثر هذه الجمعيات كلما كثر طلاب المدارس الثانوية وهم الآن ٢٨٠ طالباً غوطياً .

والغوطيون كسائر الشعوب التي تملكها التربية الاتكالية قروناً ينحون أبداً باللائمة على كل حكومة قامت ، ويجهرزون بأنها العلة في تهقرهم زاعمين انها لو أرادت تحسين حالتهم ما أعجزتها الحيلة ويبيدها القوة والمال . وبعد ان تفتحت أمام كل انسان أبواب المخافر والدواوين والمحاكم والمجالس خُوِّل الغوطي الحق ليدفع عدوان بعض الأعيان ، وكان من قبل لا يجروا ان يكلمهم فضلاً عن ان يقاضيههم ويطلب منهم حقاً .

ولما كان أكثر أرض الغوطة ملك أربابه تنتقل من طريق الارث من الآباء والأجداد ومنها قسم لأهل دمشق اعتقد

الغوطيون ان أرباب الضياع يحجرون عليهم ويقولون «الفلاحون غُبر الوجوه اذا لم يُظلموا ظلموا» وفي الواقع ان بعض أرباب الأملاك كانوا يضغطون على الفلاح بعض الضغط ليصلوا الى حقهم ولو بالنزول عن شيء منه والفلاح يؤلمه ما يرى من ترفع كبار المزارعين عنه ، وهم يتعمدون هذا العزوف لئلا يطمع الفلاح فيهم ويتعدى طوره معهم . والمقصود بهذا الكلام الفلاح الذي يعمل بالمياومة أو المشاهرة أو المساهمة في أرض أرباب الحوانيت وكبار المزارعين كان بعض أهل الفلاح اذا خبثت أنفسهم بادروا الى الانتقام من معلمهم فيرتكبون ما يعود بالضرر على صاحبهم فبطل أكثر هذا لأن أرباب الاعتداء ادر كوا مغبة فعلهم وانه لا ينجيهم الا القيام بما فيه كسب عطف سادتهم والا فلحاكم تعاقبهم والسجون ترحب بهم . ثم ان من عرف بالسرقة والتعدي يُستغنى عنه وهو لا يجد شغلاً مطرداً في الاكثر الا في أرض من يحاول ان يعتدي عليهم .

كان الغوطي في القرن الماضي بعيداً عن الغش في لبنه وقشده وزيته ودبسه ، يعتقد بانه تعالى يعاقبه على ذلك في هذه الدار بفيجيعته بانه أو بهلاك بقرته أو عزته أو نعجته فأصبح في هذا القرن يغش كل ما يمكن غشه من حاصلاته لا يبالي جزاء الدنيا ولا جزاء يوم الدين وغدا عبد المادة ويقول ان الله غفور رحيم .

وكان بعض فقراء الفلاحين يهيمسون بينهم ان ارباب الاملاك
الكبيرة ما ملكوا أرضهم بطرق شريفة وانهم غصبوها اياها واغتنوا
بفقرهم ، وأدركوا بعد طول التجارب ان المالكين ابتاعوا أرضهم
بأموالهم وعمروها بكدم وحموها بنفوذهم ولولاهم ما وجدت أكثر
اليد العاملة رزقاً ، ولولا بعد نظرهم لبارت بعض المزارع وأكدت
الغلة وأبطأ دخول طرق جديدة في استثمار الأرض والأشجار .
ذلك أن صغار المالكين أو صغار الفلاحين كانوا من الضعف والجهل
بحيث لا يعرفون كيف ينفعون وينتفعون . والزراعة محتاجة في
كل حين الى من يقوم عليها ويقويها ويمدها ، وعند الملاك من
الأساليب الناجعة لذلك ما ليس عند صغاليك الفلاحين بعضه .
ومن الجهل ان كان الفلاح أبداً الى جانب ابن حيّه اذا شجر
خلاف بينه وبين الغريب ، فينضم الى جملة ولو كان مبطلاً على
حين يعتقد ان من ينكر الشهادة آثم قلبه اي ان الفلاح ينجل
من موطنه لأن العين تقع على العين كل ساعة فيبيع من أجل
جاره ومساكنه دينه لديناه أما الذي أضاع حقه بتعمده انكار الشهادة
فانه متى احتاجه يتضرع اليه ويقبل يده ورجله .

ويلتف الغوطيون في العادة حول من يحميمهم بالحق والباطل من
مواطنيهم متى ثبت لهم اخلاصه في خدمتهم وانه على استعداد أبداً

لإفاد كل ما يلقى إليه من حقير أمرهم وجليله وينضوون الى من يطعمهم ولا تشح يده عليهم . وهم كسائر العوام اذا أمّلوا منفعة من شخص كان على شيء من الواجهة يخدمونه ويتقربون إليه حتى اذا ظفروا بغرضهم يشيخون بوجوههم عنه . وهذا خلق متأصل في أكثر الخلق .

ويتمنى الغوطيون في العهد الدستوري أن يكون نوابهم من رجالهم الأَكفيا ليطلبوا في المجلس بما ينشلهم ويرقى بهم . وفي الحق ان من أنبأهم من يليق أن يجلس على دكات مجلس النواب ، الا ان الغوطي يصعب عليه بذل وقته وماله في الاستعداد لأخذ الأسباب للنجاح في النيابة عن امته . ذلك لأن من سكان العاصمة حتى من متوسطي القرائح من هم أقدر على الاضطلاع بهذا الشأن لأنهم أمهر بما تستلزمه النيابة من سعي وبذل ، وفناء في كبير ، أو خدمة حزب قوي ، أو حظوة عند النخبين ، والغوطي اذا أُكْره على انتخاب من لا يعرف أو من كان بالأُمس لا يرتضيه لا يلبث ان يتقرب ممن كتب له الظهور . ومسكين ذاك الذي يتخيل الفلاح انه ليس له عند أرباب السلطان كلمة نافذة .

كان الغوطيون الى عهد قريب يغالون في الظهور بالكرم في أتراحهم وأفراحهم وضيافاتهم وما دُهِم فبعدوا العهدنا عن الاسراف

قليلاً اضطربهم الى ذلك تبدل الحالة الاقتصادية واخذوا يتأففون من المتكلفين وينعون على المبذرين والى ذلك ينكرون أيضاً على من يشح على نفسه وعياله ويمدحون من لا يحتاج الناس ولا يعتدي على أحد .

والغوطي من الجنس الذي يجوع ويصبر ويعرى ولا يتذمر ، ولا أثر للتسول في الغوطة ومن عجز بالفعل عن الكسب تكفل به أهل قريته وتصدقوا عليه سرّاً وجهرّاً . واعتاد ابن الغوطة أن يجود على من يقصده أيام المواسم فيعطيه من حبوبه وثماره ، وطائفة النّوّار (الغجر) تظفر بعطفه كثيراً لأنها بأئسة حقاً لا تملك أرضاً ولا عقاراً وليس بيدها صناعة تكفيها العوز وهي أبدأً متبقلة متشردة . ولما جاء عشرات الأثوف من أهل فلسطين في الفتنة الصهيونية الأخيرة لقوا من أبناء الغوطة اخوانهم كل عطف ومعونة .

جد الغوطي أكثر من هزله ، وشغله أدوم من تبطله ، يهون عليه التعب في تعهد حاصلاته وجمعها وبيعها ، ويرضيه كل ثوب يلبسه في حقله مهما كان بالياً وسخاً لأنه مدرجة الى اكتسابه الثياب الطريفة في ساعات راحته . ويفرح بكل شجرة يغرّسها في الحد بينه وبين جاره تعرش أغصانها على غير أرضه وهو يقطف ثمرتها . ويعبد بعضهم من المهارة تجاوز حد أرضه ولو ثلماً أو اقتطاع

دقائق من العدان يضيفها الى حقه من ماء شريكه أو جاره أيام عزة المياه في الصيف . ويفوق الغوطي معظم الفلاحين في الأقاليم الأخرى بمجده وحرصه وملازمته أرضه طول السنة لا يغادرها الا أياماً قلائل في الجمع والأعياد الدينية والمدنية .

يقل تعدد الزوجات في الغوطة على الصورة الماثلة في بعض الكور الزراعية المتاخمة كما يقل الطلاق والفراق ، والطبيعة هي التي هدت الغوطي الى السير على هذه الطريقة وما كان ذلك منه بتأثير مؤثر من دين ولا موعظة من واعظ ، وان كان الدين يغلب عليه في الجملة يتحمس لأقامة الصلوات وصيام شهر رمضان ويأتي من جهة أخرى أموراً في معاملاته ما جاء الشرع بالمحاربة .

سفور النساء على آتمه في الحقل أما في أزقة القرى وبيادرها وفي المدينة فالمرأة السافرة قد تحجب وجهها . وقد اخذ من يتشددن في الحجاب منذ الثورة السورية يحجبن وجوههن وكان أكثرهن من قبل سافرات .

ويقتدي الغوطيات باخواتهن الدمشقيات في زينتهن وأزيائهن . والعرض محفوظ اجمالاً في هذه الكورة وقد تقع حوادث من الفحش فتستر واذا انفضحت قد تحمل الغيرة بعض محارم الخارجة على قواعد العفة فيقتلونها خشية العار فتحكم المحاكم على القاتل بعقوبات خفيفة

لا تتجاوز الحبس بضعة أشهر ، ولذا كان عيش الأرملة والعانس
مريراً ، ولكثرة البنات في بعض القرى يندر طلاب الزواج من
الأرامل ، وتختار طبقة الفلاحين من المالكين العروس الذي يملك
أبوها بعض الفدادين ليصيدها منها حصّة بعد وفاته . وكانوا في القرن
الماضي يتبعدون عن الزواج من البنات اللائي يملك آبائهن الأرض
لينجوا من مغارم الدولة التي كانت تقع على عاتق اصحاب الأراضي
خاصة . ومن المشهور عن أهل بيت سوا أنهم لا يزوجون بناتهم الا
لمن شهد له أهل القرية بأنه لص يعرف كيف يسرق حتى يتيسر له ان
يقوم بحاجاتها . والقوم هناك يزيدون في هذا الشرط يقصدون به
النكتة فيما أرى .

يتزوج الشبان في الغالب في الثامنة عشرة الى الخامسة والعشرين
والبنات من الخامسة عشرة الى العشرين . والى اليوم لا يزال أهل
الغوطة يستعملون التكنية على عادة العرب ، وقد تغلب على الرجل
منهم كنيته على اسمه ويشتهر بها أكثر من اسمه واسم أسرته وحين
بطلت هذه العادة في المدن بطلت في الغوطة الا قليلاً ، وسُمّي صبيان
الغوطة وبناتها بالأسماء الجديدة التي اعتاد الدمشقيون اطلاقها على بناتهم
وبناتهم في العهد الحديث .

تعنى الغوطية بنظافة بيتها والتأنيق في اثاثه عنايتها بنفسها وأولادها

وزوجها أكثر مما كانت تعنى أمها وجدتها وغدا أكثر الرجال والنساء يعرفون قدر الصحة ويراجعون الأطباء حال وقوعهم في مرض، ويعتقدون بتأثير الطب أزيد من اعتقادهم بفعل التعاويذ والرقي. وكانوا حكرة المدجالين قبل أربعين أو خمسين سنة. وللعناية بصحة الأولاد نزل عدد من يموت من الأطفال نزولاً ظاهراً .

غدا الغوطي يطلب الماء الطاهر للشرب وكان في الدهر الغابر لا يعاف الماء القذر يستقيه من الأنهار والجداول، وما كان يفهم معنى الجراثيم الضارة وهو اليوم يتوقى العدوى ويتقي البعوض والذباب ويدرك أن البعوض ينقل إليه الوبالة والحُميات ولولا أن طبيعة أشغاله لا تقيه البرد والحر لتوفر على اتقائها كما يتوفر المتوقون في العادة. مهما بلغ الغوطي من رقة الحال يفرح إذا ولد له ويعتقد كثرة النسل بركة لأن المولى متكفل برزق من يرزق من الأولاد ويسره أن تلد له امرأته الذكور ليستخدمهم في سن مبكرة في الأعمال الزراعية. وكان قبل بضعة عقود من الأعوام يشق عليه أن يذهب ابنه إلى الكتاب لأنه يفضل أن يعاونه على شقاء الحياة منذ سن السادسة. والغوطية أيضاً ترغب في الاستكثار من الأولاد وإذا تأخر حملها تهرع إلى القابلات تستوصفهن دواء للجبل حتى لا يسود وجهها أمام قريباتها وجاراتها بسبب العقم أو تأخر الحمل .

واذا عرفنا أن عدد من خرجن من الأمية في هؤلاء الغوطيات لا يعدو الخمسة في الألف على أكبر تقدير ثبت لما تأخر المرأة عندهم . وربما كانت نسبة من يقرأ ويكتب من النساء نسبة واحد في العشرين من الرجال . ولولا ان الغوطية تعلمت بالعمل أشياء كثيرة تذوقت بها قليلاً من المدنية لكانت نسخة صحيحة من المرأة في القرون الوسطى .

ومن القرى اليوم ما يحلم بامتاع قريته بماء الفيحة الذي يسقي دمشق وبعض ضاحيتها وان تمدد الى قريته الكهرباء والترام لتتم لها أسباب الراحة كما تمت لابن دمشق الا ان بعض الأهليين يتلكؤن عن الدفع عند الاقتضاء حتى فيما فيه فائدة لهم ، والمماطلة في أداء الدين طبيعية عند كثيرين ، وقد يحقق في هذه الربوع من يقوم بمشروع نافع اذا كان من أهل حزب معين ، لأن أهل القرى في العادة حزبان متعاديان أبداً - فيمتنع اهل الحزب الآخر من الاشتراك نكابة بمن يخالفونهم ، واذا كانت هناك يد غالبية يخضع الفريقان عندئذ للقوة أو لصاحب النفوذ الذي يخشى بأسه .

يخف تخريف أهل الغوطة اذا كتبت لهم السلامة من يد صاحب طريقة مشعبد ومتى اعتقد صلاح من يحاول استتباعه يستجيب له ويستخذي أمامه ويعطيه كل ما يسأل . وقد جرت في

هذه الأيام أمور منكورة في قرية عربيل كان فيها المتهم شيخ طريقة
دأب على العبث بعفاف الأبطال من بنات مريديه وحكم عليه
الحكم العادل ، وعسى أن يكون فيما وقع عبرة للمتحمسين للطرق
يتعظون بها حتى لا يسقطوا في حبائل المخرفين ومخرقة الممخرقين .
ومن جميل خرافات الغوطة ان من أذكياهم من يخلع ثوب
القداسة على بعض الأشجار التي يحاولون الإبقاء عليها ليجعلوا ثمرها
سبيلاً على أبناء السبيل فينسبون الشجرة المراد حفظها لأحد
الأولياء أو الصحابة أو المشايخ وبذلك أنقذوا من فؤوس المحتطبين
كثيراً من أشجار الزيتون والجوز والتين والتوت . وتشبه سائر
خرافاتهم ما عند عامة أهل العاصمة منها . ويمكن ان يقال ان
الأساطير والأوهام قليلة بالقياس الى الأضغاع الأخرى . ويقل
في المتعلمين والمنورين منهم الاعتقاد بالمغيبات والجن والعين ويعتقدون
برداءة الانسان والحيوان .

هم عمليون يتخذون الأسباب فيما يعود على زرعهم وأشجارهم
بالماء ويؤمنون بان سعة الرزق مناط تجويد العمل ، ويدركون ان
الله لا يجري المياه الى حقولهم وحدائقهم بدون أن يتعهدوها في
قنواتها ويكروا مجاريها وينقوا أدغالها ويرفعوا أوحالها .
وعدل القول في الغوطين انهم مثال من شعب كان الى عهد

حديث منقطعاً في معظم احواله وهو يتقدم اليوم الى ساحة التمدن بخطى متزنة . وقد يكون بعض سكان قرى الغوطة أرق بمدنيتهم من أهالي بعض أحياء جنوبي دمشق .

ابن الغوطة يتخلق باخلاق زمانه ببطء وكذلك هو في نزع عاداته القديمة لا يعجل ولا يدهش ويتبع سنة النشوء والارتقاء . بنينا هذا الرأي على ما شهدناه وعرفناه من أحوالهم . وقد تفرد قرية بشيء لا تشاركها فيه القرية المجاورة ، فكما تختلف لهجة ابن دومة عن ابن داريا ولهجة عربيل عن كفرسوسية مثلاً تختلف العادات والاخلاق فلا يصح الكلام عليها الا على وجه التقريب . فقد رأينا ابن دومة تغلب عليه النكتة والتنادر وابن عربيل وجور تغلب عليه التجارة وابن برزة والقابون يغلب عليه الطرب ويغلب الجد على ابن داريا والامساك على ابن حزة والحيلة على ابن سقبا والآناقة على ابن المنيحة والنظام على ابن كفر بطنا والتضامن على ابن جرمانا والكرم على ابن حمورية وبيلا ويلدا . وكل قرية تهم جارتها انواعاً من التهم لتقول بلسان الحال انها اعرق في المدنية والمعرفة وحسن الاخلاق من جارتها . وسكان الغوطة يشتركون في معظم الاحداث السياسية وغيرها في دمشق على ما عرف في العرب من النجدة والارحية ويصهر بعض الدمشقيين من أهل الطبقة الثالثة الى الغوطين ويتزوج بعض الغوطيات من سكان دمشق من اهل تلك الطبقة أيضاً .

الفصل الثامن عشر

عوامل الخراب

كانت الاوبئة والمجاعات والزلازل من أهم العوامل في خراب الغوطة، واشد منها وانكى جور الانسان على الانسان وكان من أهم أدوات الدمار نحو الف سنة قيس ويعن وهم الذين دعوا بالعشران واحدها عشر، احيوا في ربوع الشام سنة سيئة قضى عليها الاسلام وهي التحزب بالعصبية فكان من تلاتهم قتل النفس وخراب العامر ولم ينج القطر من قنتهم الهوجاء الا بعد أن أفنى اليمانيون القيسيين في وقعة عين دارة في لبنان سنة ١١٢٢ هـ ١٧١١ م ويومئذ سكنت نعمة قيس ويعن الى يوم الناس هذا .

ونسب ابن عساكر الخراب الى امور اخرى قال : ان ظاهر دمشق كان مساكن القبائل وكان قري متصلة وابنية متقاربة فخرّب ذلك كله في الفتن والحروب والحصارات وباد أهلوه وتعادى عليه الخراب، وقلّ موضع حفر الا وجد فيه أثر العمارة من الجهات الأربع من البلد، وكان كل مكان معموراً بالمساكن والسكان فباد وبادوا، فسبحان من لا يبديد ملكه .

هذا ما كان الى القرن السادس وارتأى الاسدي في القرن الثامن ان سبب الخراب كان من انتشار الشرور بين قيس ويعن والتسلط على الفلاحين بالظلم وطلب العاجل ، فتمرد كثير من أهل الزرع والضرع وتسلطت العربان والعشران فنهبت الأموال وقتلت الرجال وجلا الفلاحون فصارت القرى دمنًا ، يشهد لذلك اسماء القرى التي صارت مزارع وتسمى بالخراب الدائر .

وبعد هذه الحقبة من الزمن الحت المصائب الطبيعية على هذه الكورة واشتد ظلم المماليك ثم العثمانيين فاختل الأمن ورخصت قيم الأرواح في البر وصار الناس يتحارسون لعجز الحكومات عن حمايتهم فلا يسيرون في الحقول والمزارع الا مجتمعين . وأصبح الحكم للصوص والزواquil وقطاع السابلة والمتسلطين في القرية يقتلون فلا يعاقبون وينهبون فلا يؤخذون وولاية الأمر لا يجر كون لهم ساكنًا لثلا تسري عدواهم الى غيرهم ويزيد الشر تفاقمًا .

واذا حمل هذا الخراب على الفتن والحروب والحصارات وعلى صيال قيس ويعن والتسلط على الفلاحين بالظلم وطلب العاجل وعلى المصادرات وأخذ الجند قوت الفلاحين وعلى الخوطة على الأملاك أي حجزها لتغدو نصيب الولاية والسلاطين والى غير ذلك من العوامل فلا يفوتنا أن نذكر من عوامل الخراب أيضاً حيث أهل البادية في القرى

العامرة وغزوهم لها فرادى وجماعات كلما عنّ لهم أن يستلبوا من رزق الفلاحين ما يسدون به فاقتهم . ومن العوامل أيضاً تعدي الحامية والدرك والشحنة على الفلاحين والمدنيين في العهد العثماني فكانت الأرواح والأموال والأعراض خلال ثلاثمائة سنة نهباً بأيدي رجالهم وأعوانهم الجورة .

واذا وقع أن استتب الأمن حقبة من الدهر بعض الشيء لا تلبث أطراف دمشق أن تعمر الى مسافات بعيدة فتزهو الغوطة وتكثر قصورها ومرافقها في الضاحية وقاما كان يجري ذلك لأنه من النادر ان يذوق القوم طعم الطمأنينة ، والفاثون والولاة والعمال ومن هم تحت أيديهم ممن ينفذون لهم سلطانهم يستضعفون الفلاحين ويتمعدون اذلالهم ويستبيحون أذاهم .

ولما انتشر الأمن قليلاً اواخر أيام العثمانيين وانتظم في عهد الانتداب وعهد الاستقلال عمّ الرخاء أرباب الأملاك والفلاحين فظهرت مظاهر السعة في الجهات الأربع من هذا الوادي وكان العمران كالمد والجزر اذا أمن السكان امتدوا الى أقصى حدود قراهم وعمروا مصايف لهم في حقولهم واذا خافوا انضم بعضهم الى بعض وتخلوا عن المزارع الصغيرة ورحلوا عن الأرجاء البعيدة وتكتلوا

داخل السور وفي القرى المتسعة التي يستطيع أهلها حماية أنفسهم
وبيوتهم من اعتداء المعتدين ومن همجية أعراب البادية .

وقد قال أحد علماء القرن التاسع من أهل هذه الديار: كان العلم
والجور غالباً في المدن والرزق والجهل على الأغلب كان في البر، فبعلم
علماء المدن يسوق الله تعالى إليهم الرزق من البر وبجهل جهال أهل
البر يسوق إليهم الجور من المدن . وفي هذا الكلام مسحة من الحق
وان كان البر والمدن في الظلم سواء والناس بين ظالم ومظلوم .

وفي الأمر الاكثر اذا وقعت فتنة في دمشق لا تعم الغوطة
ان تصبح ساحة حرب اذا لم تخرب القرى تخرب اراضيها كالساعة
الزمنية في اليد اذا اختل منها جانب تناول الخلل جوانبها وعطبت
لا تسير ابرتها سيراً منتظماً . في خلاف عمرو بن سعيد الأشدق
مع عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ وفي وقعة مرج راهط بين مروان
ابن الحسك وبعض الخوارج عليه قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة
وقتل قيس مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط فلا يعقل الا ان تخرب
بعض أرجاء الغوطة وخصوصاً وبعض المقاتلة ممن ينزلها ويعيش
بفلحها وزرعها ولهم فيها أموال ومصالح .

خالف أهل الغوطة في سنة ١٢٧ وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري
وحصروا دمشق فأرسل عليهم مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين

أبا الورد بن الكوثر فاستباح عسكرهم واحرقوا المزة وقرى اليمانية .
وربما كان هذا أول خلاف لأهل الغوطة وأول سنة سُنت في تخريب ،
العدو قرى عدوه . وفي سنة ١٧٦ ثارت الفتنة بين القيسية واليمانية وعلى
رأس القيسية زعيمهم ابو الهيثام عامر بن عمارة . وكان فارس زمانه
ومن فصحاء العرب . واختلف في سبب هذه الفتنة فقال قائل ان أبا
الهيثام نزل وأخاه سجستان ، فقتل عامل الرشيد عليها أخا أبي الهيثام
فأتى الشام وجمع جمعاً عظيماً ثم غاظ أمره واشتدت شوكته وأُعييت
الرشيد الحيل فيه ، فاحتال عليه بأخ له كتب اليه فأرعبه فشدد على أبي
الهيثام فقيده وحمله الى الرشيد بالركة فلما دخل عليه انشده ابياتاً منها
فأحسن أمير المؤمنين فانه أبا الله الا ان يكون لك الفضل
فمنَّ عليه الرشيد وأطلقه . وفي هذه الفتنة وجه ابو الهيثام حمدون
السامي فأحرق قرى اليمن في الغوطة : داعية ، بيت سوا ، حمورية ،
حجير ، زملكا ، حوارة ، عربيل ، أرزونا ، دقانية ، بيت قوفا ، بيت
أبيات . وخربوا داريا أعظم قرى اليمانيين وأخربوا قرى أمير دمشق
ابن معيوف وقصوره وكان يسكن في قرية أرزونا . وكانت أيامه
كما قال ابن عساكر أيام بؤس وجذب وغلاء فقال فيه أهل دمشق
الأشعار ومما قيل فيه :

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة حتى تربع في الخضراء معيوف

والخضراء قصر أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان حرق في
فتنة الفاطميين مع العباسيين سنة ٤٦١ .
نجت هذه المرة بعض قرى قيس ككفر بطننا وبلاس وراوية
من التخريب . قال صاحب تاريخ دمشق وكان اليمانيون في الغوطة
أجمع داراً من قيس ، وادعى اليمانيون في فتنة أبي الهيثم أنهم أهل
الثروة والعدد والعز .

قال قيس الهلالي في يوم داريا :

كأننا يوم داريا أسود تدافع عن مساكنها أسودا
تركنا أهل داريا رميمًا حطامًا في منازلهم همودا
قتلنا فيهم حتى رثينا لهم ورأيت جمعهم شريدا
إذا غضب الآله على أناس دعا قيسًا فصيرهم جنودا
وذلك ان قيسًا غير شك من الصوان بل خلقت حديدا
وفي هذه الفتنة تفاخر القيسيون واليمانيون ومما قاله أبو الهيثم :
لولا تطوّل هيذام على يمن أمست نساء بني قحطان أنفالا
أنا ابن خير بني ذبيان قد علموا وحامل الثقل عنهم بعد ما مالا
لولا الخليفة والاسلام ما تركت خيلي بأرض بني قحطان جوالا
وفي فتنة السفياي الملقب بأبي العميطر (١٩٥) ، وكان حاول
استرجاع الشام من العباسيين ، واعتمد على كلب وتعصب له اليمانية

وقالومه القيسية ، قتل من القيسية خلق كثير ، وذلوا في دمشق وما اليها من الأرجاء ذلاً عظيماً ، وفي هذه الفتنة أيضاً أصبحت الغوطة ميدان قتال .

وثارت القيسية بدمشق وعلى رأسهم ابن بهس الكلابي فعاثوا وأفسدوا وحاصروا أميرهم فبعث الواثق لهم رجاء بن أيوب وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم نحواً من الف وخمسمائة وضرب مقدمهم ابن بهس . قال ابن عساكر ان الذين ثاروا هم أهل الغوطة والمرج ، ومن قرى الغوطة الثائرة كفر بطنا وجسرين وسقبا وقرى جرش وقاتلهم العامل في مجمع عسكرهم بكفر بطنا وثار الناس من النواحي وقتلوا الأطفال وجرحوا النساء . وعبارة العبر في هذه الواقعة أصرح قال في حوادث سنة (٢٢٧) : قدم على امرة دمشق أبو المغيث الراققي فخرجت عليه قيس لكونه صلب منهم خمسة عشر رجلاً وأخذوا خيل الدولة من المرج فوجه أبو المغيث اليهم جيشاً فهزموه ثم استفحل امرهم وعظم جمعهم وزحفوا على دمشق وحاصروها فجاء رجاء الحضاري الأمير في جيش من العراق ونزل بدير مران والقيسية بالمرج فوجه اليهم يناشدتهم الطاعة فأبوا الا ان يعزل أبو المغيث فأنذرهم القتال يوم الاثنين ثم كبسهم يوم

الأحد بكفر بطنا وكان جمهور القيسية بدومة فوضع السيف في كفر بطنا وسقبا وجسر ين حتى قتل ألفاً وخمسمائة وقتلوا الصبيان ووقع النهب . كانت الغوطة أوائل حكم العباسيين يعود إليها أمنها بعد الفتن التي تنشب في أرجائها أو على أطرافها . ودامت الغوطة تتخبط في أقدارها بين هناء وشقاء حتى استولى الفاطميون على الشام واشتد ظلم المستنصر الفاطمي على الغوطة ودمشق حتى جلا السكان وهان عليهم مفارقة أملاكهم ، وابتعادهم عن أوطانهم بما عانوا من ظلمه وظلم عماله « وخلت الأماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحها » ولما ولي نياحة دمشق للفاطميين رجل اسمه جيش وكان سفكاً للدماء عم الناس البلاء في ولايته من القتل وأخذ الأموال حتى لم يبق بيت في دمشق وظاهرها الا امتلاء من جوره ، خلا من كان ظالماً يعينه على ظلمه . وامتد أصحاب ظالم بن موهوب الفاطمي في الغوطة (٣٦٣) فأنهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات فتحول أهل الغوطة الى البلد من كثرة النهب ، وعاث الاعراب في الغوطة والمرج واستولوا عليهما فجرد الفاطميون عليهم جيشاً بقيادة اليهم فقتل من احدث الغوطة والمرج كثيرين .

وحاول محمد بن أبي يعلى الهاشمي أن يعيد دمشق الى العباسيين ويسترجعها من العبيديين فقام معه أهل الغوطة والشباب واستفحل

أمره سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وطرده من دمشق متولياً ولبس السواد وأعاد الخطبة لبني العباس .

وفي القرن الرابع خرب أهل العيث والفساد دمشق وضواحيها وانتقل القرويون إلى العاصمة الكبرى . ولما استولى حيدرة الكتاني خربت أعمال دمشق وجلا كثير من أهلها عن أراضيهم . وفي فتنه القرامطة (٣٦٣) خربت محلة الفراديس في ربض دمشق ولما اشتدت شوكة القرامطة (٣٨٩) في الشام تقرمط أكثر من حول دمشق من أهل الغوطة وغيرها وعاضدوا القرمطي . وفي سنة ٣٧٦ غلب على دمشق مدة رجل اسمه قسام الحارثي من أهل تليفيتا في جبل سنير وكان في أول عمره ينقل التراب على الدواب . وخرب العرب وأهل العيث والفساد البلد مدة تحكم قسام وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق . وما كان ذلك إلا من سوء إدارة الفاطميين . وكان عمالهم أقبح عمال استبداداً وسوء إدارة واستهانة بالآرواح والأموال . وفي سنة ٤١٦ حاصر سنان بن عليان من أمراء العرب مدينة دمشق وجرت بينه وبين أهلها حرب شديدة وخرب داريا وأعمالها .

وفي سنة ٤٦٧ كان الطاعون الجارف في دمشق فحل بها ما لم ينزل بها مثله فيما عرف من تاريخها ونزل عدد سكانها من خمسمائة ألف إلى

ثلاثة آلاف افناهم الوباء والغلاء والجلاء. وخربت دمشق وبيع القصر العظيم الذي يساوي الف دينار بعشرة دنانير يتباع بها صاحبه فارة يأكلها واكلوا الآدميين والموتى والجيف. وكانت حالة الغوطة اتعس وانحس. وفي الغلاء المفرط في دمشق سنة ٦٤٣ بيعت الغرارة من الخنطة بالف وستمائة درهم وأكلت الجيف.

ولما اعيدت دمشق للعباسيين (٤٦٨) ورفع عنها سلطان الفاطميين فنظروا اليها بما يعود بصلاح اعمالها واطلقوا لفلاحي المريج والغوطة الغلات للزراعات فصلحت الأحوال ورخصت الأسعار بعد ان بيعت غرارة القمح بمائتي دينار^(١).

(١) لم تكن الاسعار على صورة مطردة معقولة في هذا الاقليم وعاصمته والاسعار هنا تتبع اقله الامطار وكثرتها وما يصدر من الحاصلات وما لا يصدر وكانت البلاد مهددة بالهلاك اذا قحطت واجدبت وليس في المكنة نقل الجبوب بين الاقطار لصعوبة المواصلات ففي غلاء سنة ٥٧٣ انقطعت الامطار في الديار الشامية فبيعت غرارة الخنطة بدمشق بعشرين ديناراً سورية والغرارة ثمانون مداً وفي غلاء ٧٤٨ وصلت غرارة القمح في دمشق الى ثلاثمائة درهم وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم ورطل اللحم بخمسة وأكثر ورطل الزيت بستة أو سبعة وفي سنة ١٠٨٥ كان الرخاء والخصب حتى بيعت غرارة الخنطة بستين قطعة وغرارة الشعير بثلاثين قطعة وفي رواية اخرى أن غرارة القمح بيعت بخمسة قروش وغرارة الشعير بقرشين ونصف وقنطار الحطب بسبعة قروش ونصف. قال المحاسني في كناشه ان الغلال قلت في الشام في محصول سنة ١٠٨٧ لقلة الامطار ثم حصلت الامطار فتراجعت الاسعار وكانت وصلت غرارة الخنطة الى ٣٢ قرشاً والخبز الاسمر كل ثمانية أرطال بقرش والخبز الشعير أحد عشر -

وفي سنة ٦٥٦ قويت وطأة الوباء في الشام وخصوصاً في عاصمتها

- رطال بقرش ووصلت غرارة الشعير الى ١٧ قرشاً والذرة ١٥ والزيت القنطار ٤٠ والدبس ١٥ والعسل ٤٠ والسمن ٩٠ والجبن ٣٠ والشيرج ٥٥ والطحينة ٤٥ والشمع الدهني ٥٠ والارز ١٧ والعدس الغرارة ٢٥ والملح بقرش ستة أمداد والحمص الغرارة ٣٠ والكرسنة ٢٠ واللوبياء ٢٠ والجلبانة ٣٠ والحلبة ٣٠ والبيقية ٢٧ والثوم خمسة ارطال بقرش والسماق ثلاثة ارطال بقرش والحليب عشرة ارطال بقرش والقطن القنطار ٥٠ وقشر القنب ٢٠ وغرارة الفول ٢٠ والذين حمل البغل بقرش ومن الدخن بربع قرش وثلاث قرش والبصل عشرة ارطال بقرش . هذا في دمشق وأما في غيرها فأعلى من ذلك . والاسعار كانت تتقلب في العصر الواحد أشكالاً تبعاً لاسعار النقود ولا سيما الفضة فقد كان سعر الذهب سنة اربعين وسبعمائة كل مثقال بعشرين درهماً . ذكر صاحب تاريخ بيروت أن العشرة آلاف درهم كانت تساوي بدراهم ذلك الوقت سبعمائة دينار . وفي سنة ١١٤٥ كان الغلاء بدمشق ونواحها وعدوا من الغلاء أن تباع غرارة القمح بثلاثة وخمسين قرشاً ورطل الحبز بثلاث قرش ورطل اللحم بزائطة والسمن نصف رطل بقرش والدبس اربعة ارطال بقرش والجبن رطلان بقرش والبيضة بخمس قطع .

وفي كنفاش المحاسني أيضاً صورة عقد جرى بدمشق أحدهما سنة ١٠٨٥ وكان الصداق فيه ثلاثمائة قرش فضة أسدية وزوج أساور ذهب زنة ذلك أحد وثلاثون مثقالاً وثوب «طرفنده» المعجل منها مائتا قرش والزوج الاساور والثوب الطرفنده والباقي مؤجلة . وحضر هذا العقد علماء المدينة وأعيانها وهو عقد ابن الشيخ سليمان المحاسني الشاعر خطيب جامع بني امية ومن أعيان البلد أي ان العروس من أكابر القوم وارباب السعة . والعقد الذي جرى سنة ١٠٧٥ وهو عقد عبد الباقي المبارك على صداق قدره ثلاثمائة قرش ومعه قفتانان طرفنده مذهبان بازرار من الفضة وقفتان ثالث أطلس وردي ومن الصداق مائة قرش مؤجلة .

هكذا كان الغنى أما الفقر فلا تسبل فسبحان مبدل الايام ومديل الدول .

حتى لم يوجد مغسل للموتى وكثيراً ما يدوم الطاعون الشهرين والثلاثة فيموت من دمشق كل يوم ألف انسان وفي وباء سنة ٨٩٧ كان يموت كل يوم في دمشق ثلاثة آلاف وكانت الحالة شديدة في الغوطة على ما يظهر وفي كانون سنة ٨١٤ مات من أهل دمشق خمسون ألفاً وخلصت عدة من القرى وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها. وفي طاعون سنة ٨٩٧ مات ربع أهل الأرض كما في الشذرات وكان نصيب دمشق وغوطتها من هذا البلاء كثيراً. وانتشر الغلاء المهلك والطاعون الجارف والوباء القاسم سنة ١١٨٣ حتى صار يخرج كل يوم الف جنازة من كل باب من أبواب مدينة دمشق وكان حظ الغوطة من هذا الوباء كحظها من كل وباء ينتشر في العاصمة. وفي طاعون ١٢٢٨ و ١٢٢٩ هلك ربع سكان دمشق وكذلك كانت الحال فيما عقب ذلك من الأوبئة ولا سيما وباء ١٢٤٦ وغلاء سنة ١٢٠١ وصار الناس يأكلون الميتات والقطط من شدة الجوع.

وفي ولاية طغتكين من امراء السلجوقيين الذي كان نعم المبشر بظهور نور الدين وصلاح الدين انبسطت الرعاية في العمارة في باطن دمشق وظهرها فعمرت عدة ضياع وأجريت عيون فصاحت بآلاته دمشق واعمالها. وفي سنة ٥٢٩ هـ سار اتابك زنكي الى دمشق فنازلها واجفل أهل السواد اليها، وسواد كل مدينة قراها، واجمعوا على محاربه فنزل اولاً

ميدان الحصا وزحف وقاتل. وفي سنة ٥٣٤ حضر زنكي هذا الى شمالها ثم انتقل الى دمشق مرتين ونزل على داريا فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لزنكي، ثم تقدم فلقه جمع كثير من جند دمشق واحداها ورجالة الغوطة فقاتلوه، فانهزم الدمشقيون وأخذهم السيف وأسر منهم من أسر. ساد العدل في الدولتين النورية والصلاحية، ثم نشب الخلاف بين ابناء صلاح الدين، وفي الحرب بين الملكين الكامل والناصر من بني ايوب وقع النهب والحريق في باب توما واحرقت بعض الطواحين ونهبت الدور وخربوا بعض قريات من الغوطة واخرجوا منها اهلهما مثل جوبر وجديا وزمكا وسقبا وغيرها وخربوا في هذا الحصار مدارس ودورا وخانات وبساتين وحمامات.

ولما اعتضد صاحب دمشق بالصلبيين على مال يحمل اليهم ليدفعوا عادية عماد الدين زنكي عنه سار هذا ونزل بمرج عذراء وحرق عدة ضياع من المرج والغوطة الى حرسنا التين ولما جاء الصليبيون ليفتحوا دمشق (٥٤٣) حرقوا الربوة والقبعة المهدوية وقطعوا الاشجار للتحصن بها. وفي سنة ٥٩٦ احرق في حصار دمشق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق والخوانيت، واحرق النيرب وابواب الطواحين ولما سار الأفضل يريد الاستيلاء على دمشق من عمه العادل احرق هذا الخواضر أي - القرى والريف - والنيرب ووقع الحصار.

ويصيب الخراب على الغالب الأقرب فالأقرب من القرى إلى دمشق، أو ما كان على طريق الفاتحين كالمزة في الغرب والقابون في الشمال فقد خربتاً غير مرة. وصاب بيت لهيا في الشمال والنيرب والربرة في الغرب ما أصاب جارتيهما من الخراب. وقد خرب التتر بعد وقعة مرج المروج دمشق ونهبوا ضياعها وسبوا أهلها فخربت الصالحية والخواضر البرانية من العقيبة والشاغور وقصر الحجاج وحكر السماق من أرباض البلد.

وكان أهل الغوطة في فتن التتر المتعددة ينجفون أمامهم وكانوا، كما حدث في القرن السابع والقرن الثامن وبعده وقبله، يغادرون قراهم إلى دمشق. وفي وقعة غازان عاثت عساكره في الغوطة نهب وتفسد. ومن طبيعة التتر التخريب في كل بلد نزلوه فما نجت الغوطة من تعديهم وان جابوها سراغاً. والجند على الجملة ما مر بأرض إلا خرب فيها وألقى الملع والفرع في قلوب ساكنيها، هذا إذا كان منظماً، فبالك بجيوش التتر الذين اشتهروا حيث حلوا بالاضرار بالمطمئن والآمن والشدة على المقاتل والمحارب. وفي وقعة غازان ووقعة تيمورلنك ناب أهل الغوطة من الظلم والمصادرة والقتل مثل ما نال أهل دمشق. وفي سنة ٩٠٠ كانت وقعة بين أهل داريا وبعض قرى الغوطة فخرج العسكر من دمشق، وقتل ما يربو على مأتي قتيل، ووقع الاختلاف بين القيسية والپمانية

وفي سنة ٦٣٥ أخرج السلطان العقيبة وما فيها من خانات وأسواق
وفي القرن السابع أمر الأشرف قلاوون بهدم الأماكن المجاورة
للميدان بدمشق وفي الاعتذار عنه يقول الوداعي :

ان أمر السلطان في جلق بهدم ما جاور ميدانه
فانه قد غار لما رأى غير بيوت الله جيرانه
وكان السلطان اذا غضب على أهل قرية يأمر بحرق أشجارها
وتدمير عمارها وهذا قلما كانوا يفعلونه في الغوطة . وقد يخرب جانب
من قرية فيأتي الناس يخربون منها ما سلم . وكثيراً ما كان الفاتحون
ينزلون الولايات بالغوطة ويحرقون ما في ضاحية دمشق اذا أرادوا
حصارها ومن ذلك ان العقيبة والخواريق وقصر حجاج والشاغور
وغيرها قد خربت أكثر من مرة .

وقد يخرب الجند القرى وينقلون أنقاضها الى العاصمة ، وقد
يجيء أهل القرى بأثاثهم وحاصلاتهم وأنقاضهم وحيواناتهم الى
الحاضرة أيام الفتن كما حصل في الثورة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٦)
وفي هذه الثورة نسفت السلطة الفرنسية كثيراً من قرى دمشق
على ما يرد في فصل الدائر من القصور .

وكانت الغوطة تبنى في أكثر العصور من اللبن والطين والخشب ،
والحجارة خاصة بالجوامع وبعض المزارات والقباب . وما ندرى ان

كانوا يفضلون الطين والخشب في البناء على الحجر والآخر لا أسباب اقتصادية أو اتقاء عادية للزلازل، فان بيوت الخشب يوم الزلزال أقل خطراً على الأرواح من بيوت الحجر. وكانت البيوت اذا خربت في زلزال يعيدها الغوطيون بما خصوا به من همم الى سالف حالتها في حقبة قصيرة من الزمن، فقد امتدت الزلازل في سنة ٢٣٣ الى الغوطة فذهبت داريا والمزة وبيت لهيا وغيرها ومات تحت الردم معظم أهل دمشق وهرب النساء والصبيان. ورأى بعض أهل ديرمران مدينة دمشق ترتفع وتنخفض مراراً. قال المؤرخون وانكفأت قرية بالغوطة على أهلها فلم ينج الا رجل واحد. ولم يشبه هذه المصيبة الا وباء القرن الخامس (٤٦٧) الذي كاد يبيد سكان دمشق عن آخرهم. ومن الزلازل زلزال سنة ٥٥٢ وسنة ٥٦٥ وكان زلزال سنة ١١٧١ من أشد الرجفات، مات فيه تحت الردم خلق كثير وأعقبه وباء جارف. وفي زلزال سنة ١١٧٣ لم يسلم الا النادر من بيوت دمشق ومناراتها وقبابها ومساجدها وتهدمت القرى حولها وخرج أهلها جميعاً بأموالهم وأنفسهم وعيالهم الى خارجها ونصبوا الخيام وبقوا مقدار ثلاثة أشهر في الخارج (قاله في التذكرة الكالكية) وقال النجار من أهل القرن الثاني عشر ان زلزال دمشق ونواحيها هدم كثيراً من المساجد والمعابد والمنارات ودام خمسة وأربعين يوماً

وقتل تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبانات . ومن أخبار التخريب ما وقع سنة ١٢٠٢ في فتنة جهجاه الحرفوش وتخريب القرى وهلاك الفقراء وفيها حرقت القبيبات وحارة التركمان من ضواحي دمشق وفي سنة ١٢٣٥ حرقت المزة . وفي هذا القرن والذي قبله وقعت حوادث من هذا القبيل قد يتخطى المؤرخون ذكرها لأنها مما لا يستنكرون حدوثه . وكان أكثر ما يضر بأهل القرى في هذين القرنين جند الدولة العثمانية فإنها كانت ترسل منهم الوفاً يشتون في عاصمتها وغوطتها وطعامهم من الأهليين لأن الدولة لا تعطيتهم ما يكفيهم ويقوم بأودهم وأود عيالهم ، وكانوا اذا قضوا بضعة أشهر في هذه الضيافة الجبرية يطلبون « الترحيلة » عند عودتهم . والترحيلة مال يسلبونه من الأهليين ليستعينوا به على الرحيل . وفي سنة ١٠٤١ نهب جند هذه الدولة قرى دمشق طول الشتاء ونهب الجند الدالاتية جميع القرى وأكلوا مغلها وأحرقوا بيوتها وقتلوا دوابها وسلبوا عروضها . ولم تذق الغوطة طعم الراحة الا على عهد حكومة ابراهيم باشا المصري أي حكومة والده محمد علي الكبير ، فان أكثر القرى استعادت عمرانها في ظل حكومته المنظمة فأصلح الجباية وسأوى بين الرعايا وكان الأغنياء لا يؤدون شيئاً للدولة والعبء كله على

عائق الفقراء ، ولذلك استنقل الأمراء وأرباب النفوذ ظل الدولة المصرية وقد ابطلت هذه الحكومة المصادرات وقررت حق التملك ووطدت الأمن وأحيت الزراعة .

ولما جلا ابراهيم باشا عن الشام عادت الحال الى أتعس مما كانت على عهد العثمانيين ، حتى كتب قنصل انكلترا في دمشق الى واليها كتاباً (١٢٥٥ - ١٨٤١) يقول فيه : اذا كانت الحكومة ترغب حقيقة في استتباب الأمن ففي وسعها أن تبدأ باظهار حسن نيتها فتمنع تخريب القرى وتدمير اماكن العبادة الكائنة على بضع خطوات من دمشق .

وبعد فقد علمنا من مجموع الكوائن التي وقعت في العهد الاسلامي في الغوطة أنه ما خلا عقدان أو ثلاثة عقود من السنين من مظالم أضيفت الى مصائبها السماوية ، وكان القضاء على بيوت برمتها بالزلازل والأوبئة والقحط من الأمور التي لا يستغرب وقوعها . ولم يكن في تلك الأيام احصاء يركن اليه فكانوا يقدرون أبدأً عدد الهالكين بالتخمين واذا ضبط ذلك في العاصمة فمن الصعب ضبطه في القرى .

اكتفين من عوامل الخراب بنموذجات مما وقع والاستقصاء متعذر او مستحيل .

الفصل التاسع عشر

القرى الدائرة

لم يقيم علماء الآثار بحفريات في الغوطة على الطرق الحديثة كما بحثوا في كل مكان كان مظنة أبنية أزلية، وصرفوا وكدهم الى نبش الآثار اليونانية الرومانية وغيرها في الكور الشامية ولو تعلقت الهمم ببحث بعض أرض الغوطة مما يعرفه المولعون بالآثار أو ينبه اليه سكان الجوار لكشفوا أشياء مهمة من عهد الاسلام وما قبله ، وما زال أهل القرى يعثرون اثناء الحرث وفتح الآبار والأسس الجديدة ونبش الخرائب على عاديات تدل على مدينة زاهرة .

لم تتغير معالم الغوطة ، أو بعبارة أصح لم تتبدل أسماء قراها كما تبدلت معالم دمشق ، فان أكثر أسواقنا وشوارعنا تغيرت تغيراً عظيماً ، وقد تتبدل في القرن الواحد مرة أو مرتين . ولكن الذي حدث في الغوطة أن دثرت قرى كثيرة من قراها ، كانت في القرون الخالية قائمة عامرة ، ولم يبق منها الا أسماؤها في بطون الكتب ، وآثارها وأطلالها من تلوي وغيرها ، قد تدل على محالها ومواضعها . واستغرقت القرى الكبرى اراضي القرى الدائرة ، وفي أرض جوبر

مثلاً دخلت بيت لهيا وقلبين وسريبتين وجديا والمأمونية والديوانية
وطرميس والمصيصة والداودية والعمادية والصفوانية وغيرها ، وكلها
قرى دائرة . وفي أرض عربيل دخلت ارزونا ودقانية وبرتايا وسلطايا
وزينون وحوارة وغيرها .

فمن القرى الدائرة :

الأرجام : خرائب عظيمة شمالي حرسنا البصل ، على بعد ساعة
منها على السائر على قدميه نحو الشمال أي الجبل . ولا يزال الأهليون
يستخرجون منها بعض الخزف والأواني والأساور والخواتيم والدمالج
وغیرها . والرجم القبر كالرجمة بالفتح والضم وجمع الرجم رجام .
والغالب أن الأرجام كانت مقبرة أو مقابر قرية كبيرة كانت الى جانبها
فدثرت . والشائع على ألسنة الحرسانيين أن سكان الأرجام كانوا
نصارى ، يستدلون على ذلك من بناء قبورهم .

أرض أبان : تنسب الى أبان بن مروان أخي عبد الملك بن مروان
وهي بجذاء الداودية شمالي الأرزة من بيت لهيا . ويقول الاستاذ المنجد
انها كانت خلف السفليين موضع المسجد القديم جنوب ميدان الحصا
وأن أرض أبان محل آخر شام الأرزة من بيت لهيا وهي المقصودة هنا .

أرض التل : في عين ترماء ، ربما كانت قرية . والمعقول أن كل قرية تبدأ بتل أو تلة أو تلول كانت قرية ويشاهد ذلك بكثرة في بعض القرى التي تنادي بأنه كان في جوارها قرية عامرة ، وليس في الغوطة تلال طبيعية بل فيها تلال صناعية .

أرض التلول : في أرض حزة ، كان محلها قرية فأطلق على خرائبها التلول .

أرض التلة : في زبدین تبعد عنها ربع ساعة .

أرض الخرامة تبعد عن الجنوب الغربي من داريا نحو ثلث ساعة على من يسير على قدميه . وفيها بقايا أحجار كبيرة جداً ، ويظن أنها كانت ديراً .

أرض الطاقة : من مزارع داريا ، لا يزال يعثر فيها على آثار عمران من أوانٍ وأثاث وأدوات وغيرها . وفيها أحجار تدل على أنها من المباني العادية

أرزونا : قرية كانت تحت القابون التحتاني على نهر ثورة ولها جامع ومأذنة . وكان فيها قصور معيوف أمير دمشق . وقد ضمت أرضها إلى عربيل .

ارزة : كانت مكان حي الشهداء في طريق الصالحية . وكانت متصلة بسويقة صاروجا تمتد إلى عقبة جوزة الحدباء . رأي خرائبها

ابن طولون، وكانت عامرة بعض الشيء في القرن العاشر .
اشفانية : لم يعرف محلها ، وفي أول قرى المريج قرية اسمها شفونية ،
ولعلها هي ، أصابها التحريف .

الأوكواخ : في المنتظم لابن الجوزي أنها من ارض دمشق .
اناكاس : (راجع بيت ماراس) .

الأوزاع : كان موضعاً مشهوراً بربض دمشق ، وسكنه في
صدر الاسلام قبائل شتى . واليها ينسب الامام الأوزاعي دفين
بيروت . ويقول ابن خلكان انها على طريق باب الفراديس . ومن
رأي ابن العماد انها حي العقيبة . ومعنى الأوزاع الجماعة المتفرقون .
وهي اسم قبيلة ايضاً . ويقول ابن عساكر : وأما ما كان شمالي البلد
فسطرا ، والفراديس ، والأوزاع ، والصدف ، ومبقري ، وشعبان ،
ومريج الأشعرين ، وجميع هذه القرى دثرت . ويقول دهمان إن
الصدف قرب مقبرة الدحداح وراء الدور .

بيج حوران : قرية كانت على باب دمشق قبلي الشاغور من اقليم
باناس ، ويقال لها القطائع .

برتايا : غربي سقبا . لم تبرح آثار مقبرتها ظاهرة . وقد ضمت
أرضها الى عربيل وتعد اليوم من مزارعها . وآخر من ذكرها
ابن طولون الصالح . ومعنى برتايا بالسريانية الأبلق المخطط وذكر

النعيمي أنها كانت وقفاً على دار الحديث الفاضلية ، وأنها لصيق أرض
جمورية يفصل بينهما نهر . وقد أنشئت طاحون على أنقاضها .
بسطرا : مقسم ماء بحرستا ، يظهر انه سمي باسم قرية اسمها

بسطرا دثرت .

بيت أبيات : لم يذكرها ياقوت وذكرها ابن عساكر . وقال ابن
طولون هي غربي الصاحية ، كان ينزلها سعد بن تميم والد بلال بن سعد
من الصحابة . ولم يبق في القرن العاشر من هذه القرية الا مسجدها
والطاحون ، وهي محل طاحون الاثنان في طريق حي الاكراد من
جهة مقبرة الدحداح .

بيت الآبار : كانت بليدة خربت . وهي حاضرة الاقليم ، وسمي باسمها .
ويؤخذ من كلام ابن عبد الهادي في القرن العاشر أنها كانت موجودة
في عصره . ومن عملها المنيحة وجرمانا ودير هند وبيت سابا أو ساب .
والغالب أنها التل الكبير المائل للعيان شرقي جرمانا ، وقد خربت غير
مرة . ويقال لخرائبها اليوم تل أم الابر ، وهي على نهر العقرباني بين
المقسمين في طريق المنيحة غربي دير خليل . وبين التل والدير طريق ماء .
وورد ذكرها في أخبار أبي الهيثم ، فقد سار اليها فوجد فيها
اليمنيين فهزمهم وأحرق ما حولها .

بيت رانس : كانت عامرة في القرن التاسع ذكر ابن عبد الهادي

مسجدها . وقالوا ان كنازاً الغنوي الصحابي دفن في طريق عقرباء
قبلي فذايا وقريب بيت رانس . وثقات المؤرخين على أن كنازا مات
في خلافة أبي بكر ولم تكن الشام فتحت .

بيت البلاط : هذا الاسم كان يطلق على قرية البلاط بجوار المنيحة
وفي رواية اخرى قرية البلاطة .

بيت سابا أو سابر : قرية من اقليم بيت الآبار عند جرمانا .

بيت قوفا : قبلي جرمانا ، اشترى أرضها أحد الدمشقيين في العهد
الأخير . وقسم من بيت قوفا بستان في أرض جرمانا ملك آل الصواف
والنسبة اليها قوفي .

بيت لهما . وتسمى بيت الاهيه : هي قرية السكون والسكاسك ،
أي أنها قرية يمانية . وكانت من أعمار القرى في الغوطة بل أشبه
ببلدة ، واليهما ينسب الاقليم . وهي على طريق بغداد القديم بين البساتين
حوالي جسر ثورا اليوم عند الجهة التي يقوم فيها المستشفى الانكليزي
في أرض القصاع . وكان فيها كنيسة أصبحت في عهد ابن طولون
مسجداً جامعاً مزيناً بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام .
وكانت هذه القرية قد اخلت لابن الصمصامة عندما قصد دمشق
ليكون نزوله بها كما طلب . وما زال الأهليون اذا حفروا في أرضها
يغفرون على قنوات وآثار بناء ضخم كما هو الحال في العناية المجاورة لها .

بيت ماراس : في متحف دمشق حجر من الجير الصلب رقمت عليه كتابة يونانية هذه ترجمتها : عهد ذيو قلطيانوس ومكسيميانوس اغسطس وقسطنطينوس . ليوضع حجر تحدد به قرية بيت ماراس وقرية اناكاس . وقد وجد هذا الحجر بقرب نهر جسرين .

بيت والي : مزرعة الى الشرق الجنوبي من دومة .

بيت وانة : جنوبي دومة وتعد من مزارعها .

تلفيئاً : ذكرها ياقوت ، ووردت في شعر أبي الحامس الشوا . وقد أخطأ دوسو في قوله انها ليست من الغوطة ، وانما في سفوح جبل الشيخ زاعماً أن أحد الصليبيين ذكر اسم محطة بهذا الاسم . على أن اشتراك تلفيئاً باسم قرية اخرى من اقليم آخر أو كورة اخرى لا ينفي أن تكون تلفيئاً من الغوطة . وقد أخطأ أيضاً في قوله : من الواجب تحقيق موقع سقبا وحوش خرابو وحوش الخياط ، وهذه القرى معروفة مشهورة . فسقبا حاضرة الغوطة الوسطى أشبه ببلدة ، وكانت عامرة منذ الفتح . أما حوش خرابو وحوش الخياط فهما قرى مرجية عامرة الى عهدنا . وتلفيئاً قرب راوية (قبر الست) على الارجح . وعلى مقربة من جرمانا مقسم ماء يقال له تلفيئاً .

التل : بأرض القدم .

تل الأحمر : بأرض القدم .

تل الحفارة : في قرية الحديثة على نحو ثلث ساعة منها .

تل سوجق : بأرض القدم .

تل القروء : في أقصى حدود الشرق من أرض قرية المحمدية .

كانت عامرة كما ظهر من انقاضها فنبشت لعهدا فوصلحت للزراعة

تل هجون : ذكرها القاضي ابن المنجا في صك وقفه . وقال انها

من الضياع الغوطية من اقليم الكسوة ، و اقليم الكسوة ليس من الغوطة

تلة باب الشرقي : على قيد غلوة من هذا الباب . وكانت خراب

قرية على ما يظهر ، فرفعت منذ نحو خمسين سنة انقاضها وقادوراتها

وأصبحت حديقة ومعامل وحوانيت

تلة البيرة : في أرض المنيحة . واسم البيرة يطلق على عدة قرى في

الديار الشامية .

توماء : بالهمز يمكن ان تكون قرية دثرت . ينسب اليها ، على

قول ، أحد أبواب العاصمة . قال جرير :

لا ورد للقوم ان لم يعرفوا بردى اذا تجول (١) عن اعناقها (٢) السدف (٣)

(١) تجول انكشف .

(٢) عن اعناقها اي أعناق الابل . ولعله آفاقها .

(٣) السدف ، ج سدف ، وهي الظلمة .

صبيحن توماء والناقوس يضربه قس النصارى حراجيجا^(١) بنا تحف
ونسب بعضهم باب توماء الى رجل اسمه توما كان من قواد الروم
أو رهبانهم . ونسبه دوسو الى قرية درمة أو دوما ، وهو بعيد . وقد
وردت في الشعر . نزل يزيد بن أبي سفيان في فتح دمشق باب توما ،
فقال عبد الرحمن بن أبي سرح وكان معه أصحابه :

الا أبلغ أبا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكونها
وأنا على باب لتوماء نرتمي وقد حان من باب لتوما حيونها
الثمودية : قرب حرستا ، كان بها مصنع .

جديا : (بفتح الجيم والdal أو باسكان الدال) وتلفظ اليوم بكسر
الجيم . قرية بين جوبر وزملاكا . وبيادر جديا اليوم في أرض جوبر .
وفيهما قبران عظيمان .

جورة عطاء : من اقليم بيت ايبات . وهي أرض فيها أخشاب
كبار من الحور تربي أوتاراً للجامع دمشق وهي وقف عليه . وعطاء هو
صاحب المسجد خارج الباب الشرقي . ذكر ذلك الاستاذ المنجد في
بحثه عن ولاية دمشق في العهد السلجوقي .

الجورتان : مما وقف على المدرسة الريحية الجورتان البرانية والجوانية

(١) الخروج الناقة الجسيمة الطويلة ، وقيل الشديدة أو الضامرة .
وتحف تضرب . والوجف والوجيف ضرب من سير الابل .

بأرض الخامس وبستان الخامس الى اليوم معروف .
الحارثية : كانت عامرة حتى القرن العاشر ولم يعرف موضعها كما
يفهم من كلام ابن عبد الهادي .
حلفلتا : قرية لقيس مجاورة للعاصمة وكانت قرب قبر الست
(راوية) .

حمتا : هكذا وردت في بعض المصادر وقالوا انها قرية لتغلب .
وربما كانت مقنا فحرفت . ويقال ارض مقناة موافقة لكل من نزلها .
الحرجية : نظنها محرفة عن حرجلة . وحرجله ليست من الغوطة ،
وهي متاخمة لها من الجنوب .

حردان : قرية شمالي سقبا للشرق وشرقي حمورية للقبلة ، خربت
منذ قرون . واسم نهرها حردان شائع الى اليوم على الألسن يسقي
بعض أرض سقبا واقتريس . وأهل الجوار يلفظون اسمها لعهدنا بفتح
الحاء . وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق جزء فيه حديث من حديث
أهل حردان . وفيه انها قرية كانت عامرة الى جنب سقبا من اقليم
داعية . ولما جرت مساحة الغوطة في العهد الأخير ضم بيدر حردان
الى الأرض المجاورة .

حردان : بفتح الحاء . قال ياقوت انها ناحية بالغوطة فيها عدة قرى

بها قوم من الأشراف من بني أمية وكذلك ورد اسمها في تاريخ ابن عساكر ، وهي مما يلي الصفوانية ، شرقي باب توما .

حجرا : الغالب أنها محرفة عن حجيرا ، والنسبة الى حجرا (بالكسر والقصر) الحجرائي . والأولى أن تكون النسبة اليها الحجيري ، وحجيرا فقدت الياء بالنسخ فنسبوا اليها على ما يظهر فقالوا الحجرائي ، ولا نعتقد أن قرية سميت بهذا الاسم الا حجيرا . وحجيرا معروفة .
الحلاج : هو أحد ثلاثة مواضع من أرض داريا لا يزال الباحثون يجدون فيه بعض آثار وعاديات .

الحميريون : نسبة لخمير ، قرية يمانية ذكروا أنها كانت محلة بظاهر دمشق على القنوات على طريق كفرسوسية . وقال بعضهم انه قام عليها حي الشويكة . وهناك مقبرة لا تزال تدعى مقبرة الحميريين . ويأتي ذكر الحميريين والسكاسك في كتب التاريخ القديمة . والسكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان . والسكون من سكن في الموضع ، والسكاسك من تسكسك الرجل تضرع . وكان من جملة الأتهار المشتقة من بردى في القديم نهر اسمه نهر السكون ذكره ابن عساكر .
حوارة : كانت قرية معروفة ، خربت في فتن القيسيين واليانيين ، وهي اليوم من مزارع عربيل في المحل الذي يُقال له كروم حوارة . وهي غربي برتايا . وقد ضم الى أرض عربيل غير هذه القرية : سلطايا

وبرتيا ودقانية وغيرها ، وضم اليها من المزارع السيولون ، وأرض
الدير ، وزينون (وهذه عند محافر حزّة) والرحيليات والرشيديّة .
حور تعلّا : هكذا يلفظها الأهلون اليوم . وفي ابن عسّاكر
حرّ ثعلّة . وهي بستان معروف مجاور لقصر اللباد . وكانت قرية لها
مسجد ، شمالي سطرا .

الخربة : من أرض سبينة ، يظن أنها كانت قرية .

الخزرج : من مزارع كفر سوسية . كان مكانها قرية .

خولان : قرية لغسان بها قبر ابي مسلم الخولاني . وكان بها آثار
بقيت الى القرن السابع . سماها النازلون فيها عند الفتح باسم مخالف
من مخالفين اليمن ، كما سموا غيرها من القرى التي نزلوها . واقليم
خولان يدخل فيه داريا كما قلنا .

داريا الصغرى مزرعة قرب دومة .

داعية : قرية كانت عامرة دثرت . ونُسب اليها الاقليم اقليم
داعية ، والنهر نهر الداعيات الذي ما يزال مشهوراً بهذا الاسم يسقي
حمّورية وسقبا والافتريس وجسرين وكفربطنا وبيت سوا وغيرها .
وكانت داعية عامرة الى القرن العاشر على ما يفهم من كلام ابن
عبد الهادي ، ثم ضُمَّت أرضها الى حمّورية .

الداودية . قال ابن عساكر انها منسوبة الى داود بن مروان ابن الحكم ، وهي قبلي نهر الداعيانى وبين طاحونى العبد والاحدى عشرية . وفي أيامنا رفعوا أنقاضها فأصبحت أرضها تروى من نهر الداعيانى .

دف الحجر : دمنة قرية بأرض القدم .

دقانية : قرية صغيرة تحت أرزونا ، والنسبة اليها الدقاني . خربت بعد القرن الحادي عشر كما قال ابن طولون . وأرضها اليوم مضمومة الى عربيل ، ويلفظونها تقانية .

الدكة : موضع بظاهر دمشق فوق نهر يزيد ، وتسمى في أيامنا الدواسة . وكان الفاطميون جعلوا في هذه الحدائق بيت الامارة ، وكان فيها قصر خمارويه . وفي الدواسة بقايا آثار قدعة وعمران عظيم .

الدوير : تصغير دار من مزارع دومة .

الدويلعة : قرية بجانب مقبرة النصارى وتتجدد عمارتها لعهودنا .

الديلميات : في شمالي كفرسوسية بستان اسمه الديلميات . تغزل

به ابن عنين لما كان في اليمن .

الديوانية : مزرعة في ربض دمشق قامت عليها المدرسة العلمانية

في أول شارع بغداد الحديث .

الراهب : محلة كانت قبلي المصلى لسعيد بن عبد الملك .
راوية : كانت لفزارة ، وهي المعروفة اليوم بقرية الست .
ويُقال ان مدرك بن زياد الفزاري مدفون بين حجيرا وراوية . والقبر
معروف ويُزار .

الربوة : معروفة . كان لها شأن في الايام الخالية . وكانت من
مفترجات دمشق . ووصفها البدرى في القرن التاسع كما وصفها
ابن طولون في القرن العاشر . فكان الوصفان متشابهين الا قليلاً :
عمران ممتد الرواق ، ومدينة فاشية باهرة ، ونضرة وغضارة ، وطبيعة
ساحرة ، ومياه متدفقة . ثم خرب ما فيها ، ودثرت قصورها ،
وتهدمت مساجدها ، وعادت مؤخراً الى الحياة قليلاً .

الزعيزعية : قرية ضُمَّت الى أرض زبدین .
الزعفرانية : شمالي برزة ، يستخرج الباحثون من أرضها بعض
آثار تنبي بأنها كانت عامرة .

زملكان : من اقليم بيت لھيا ، وهي زمـلـكا المعروفة .
زينون : من القرى الدائرة بقي اسمها ، وهي مجاورة لحزّة ،
أضيفت أرضها الى عربيل كما سبق .
ساجد : لعلها ساجر ، والساجر السبيل والساكن . غير معروفة .

سام : من اقليم خولان ، وقيل ان سام وديرهند من اقليم بيت الآبار ، والنسبة اليها سامي .

سبعين : ورد اسمها في بعض وقائع الصليبيين في المزة سنة ٥٤٣ والأرجح أنها من الغوطة .

سريبتين : تحت نهر ثورا قرب مزرعة العمادية .

السطح : كانت من اقليم بيت لهيا خارج باب توما . وكان يسكنها عبد الرحمن بن أبي سفيان .

سطرا : ورد ذكرها كثيراً في الشعر . وخربت من زمن .

وكانت قرب بيت لهيا شمالي البلد ، قال دهمان انها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب . ويعرف هذا الطريق بجادة عاصم . ويحترقه شارع بغداد ، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب وكل ذلك من سطرا . وأطلق عليها ابن المنجا اسم سطرا العرب .

السفليون : ذكرها ياقوت وغيره . كانت محلة عند المسجد

الجديد جنوب ميدان الحصا .

سلطايا : ترجح أنها كانت على مقربة من المقبرة التي بني عليها

الآن طاحون في مفرق الطريق العام بين حزة وكفر بطنا . واسم الموقع سلطايا . وقد ضمت أرض سلطايا الى عربيل ولعل

السلطي التي ترد في كتب الأنساب نسبة الى سلطايا ولو كانت النسبة الى الصلت لكانت بالصاد والتاء ، خصوصاً وقد يضاف الى السلطي دمشقي . ومعنى سلطايا بالسريانية الصوان نسبة الى سلطا الشقيرى : بالتصغير ، مزرعة غربي جسر الغيضة أو جسر جسرين على ضفة بردى من القبلة . يظن أنها كانت منفردة عن القرى المجاورة . وهي من المزارع الحديثة . مساحتها ٢٢ فداناً .

الشماسية : عند مسجد القدم . وكان المأمون العباسي أقام بها مرصداً فلكياً ، وفي ياقوت : أنها محلة من دمشق . وقد حفر أهل القدم تل الشماسية فعثروا فيها على مقبرة وبعض أسس قديمة .

الشماسيات : غربي كفر بطنا . يظن أنها كانت قرية .

شمس : من اقليم بيت الآبار ، دائرة . كان يسكنها سعيد بن أبي سفيان بن حرب بن خالد بن يزيد . وكانت لجده خالد بن يزيد .
الصّدَف : غربي مقبرة الدحداح ، وراء الدور .

الصفوانية : خارج باب توما من اقليم حرلان . وحرف اسمها فيقال لها اليوم الصفوانية .

صنعاء دمشق : قرية كانت بين المزة ودمشق محاذية لما كان يُقال له تل الثعالب الذي بني في موضعه مسجد خاتون المشرف على باناس

والمرج الأخضر . وهي من القرى التي نزلها اليمانيون وسموها باسم
عاصمة قطرهم . ويقول دهمان : ان صنعاء دمشق كانت غربي اللؤلؤة
الكبرى والصغرى وشرقي قينية . ومنذ القرن السادس أصبحت صنعاء
دمشق مزرعة وهي اليوم بساتين .

الصويطي : أنقاض قرية تعد من المواضع الأثرية الثلاثة التي
دخلت في أرض داريا .

طرُميس : قرية في أرض جوبر ، بين الشيخ حرمة وقبر عكاشة
بقي اسم جسرهما محرفاً من طاء الى تاء ، فيقال : جسر ترميس ، وقد
كانت قائمة في القرن الرابع كما يستدل من تاريخ ابن عساكر .

الطيرة : بكسر أوله وسكون ثانيه وراء . من قوله عليه
السلام : لا عدوى ولا طيرة . والأصل التحريك . قال زين الأثمة
ابن عباد : بدمشق عدة قرى يُقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ،
والنسبة اليها طيري . ولم نعثر على شيء من هذه الطيرات . وقد أتى
الذهبي على ذكر طيرة واحدة فقط .

عالية وعويلية : كانت عند القطائع ذكرها ابن جبير في رحلته
بالعين المعجمة . وهي موضع قرب مسجد القدم على ميلين من دمشق ،
كما يقول ابن عساكر . وعالية في أرض قرية القدم بقي اسمها فقط .

العب : من مزارع دومة .

العبادية : بتشديد الباء . قال ياقوت إنها قرية من قرى المريج ، وأن العبادية قرية أخرى في ظاهر دمشق . والظاهر أن الأولى هي قرية العبادة المعروفة لعهدنا في مرج الغوطة . ولعلها كانت ترسم العبادية (بالهاء) فقرأها المؤلف أو الناسخ العبّادية بتشديد الباء . أما عبادية الغوطة ففي تحقيقات الأستاذ المنجد أنها من إقليم بيت الآبار ، سكنها عبد العزيز بن عبد الملك .

العطارة : شرقي برزة ، ما يزال النباشون يسقطون في خرائبها على عاديّات وآثار خزفية وحديدية ونحاسية وغيرها .

العنابة : مجموع بساتين من دون جسر تورا الآخذ إلى طريق دوما . تحتوي على دور وقصور وعاديّات . وعادت في القرن الماضي إلى النهوض وعمرت فيها بعض الدور والقصور . فدمرتها السلطة المحتلة في الثورة السورية لأسباب حربية . وهي لصيق بيت لها . وتعرف اليوم بجنّات الورد .

فتريس : من إقليم داعية ، وتسمى اليوم « الافتريس » وهي قرية ما برحت عامرة . سكنها زياد بن عنبة الأموي .

فذايا : جنوبي مقبرة اليهود . قال ابن عساكر أنها كانت قرية نخربت . وفي ابن القلانسي : إن فذايا وحلفبتا والخامس كانت

مصابقة للبلد . وفذايا تحريف بذايا ، وهي الهراوة أو نصاب الفأس بالسريانية . واذا حرفت تحريفاً آخر ، كان معناها صانع الصدرات والجبب والمدرعات . روى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تُعرف بواسطة في الغوطة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا : ان العمران كان يتصل حتى يصير سوق القمح في قرحتا . وقرحتا على بضعة كيلومترات من دمشق .

فطم التلة : هي تل عظيم في أراضي حوش الریحانية فيه حجارة وأنقاض وفي هذه القرية تلال لا اسم لها ، والفَطمُ باصطلاح الغوطة الأرض التي يجيء دور زراعتها في السنة بعد السنة .

القابون التحتاني : هي أرض مزرعة العمادية فيها بيوت قليلة . والقابون فوقاني هي القرية الأصلية ، وهي عامرة .

قردي : والنسبة اليها القردِي قال لسترانج انها من الغوطة . قرية سيدي مدرك : بالقرب من راوية المعروفة بقبر الست .

القدم : هذه القرية من الأمهات جنوبي دمشق ، مكانها جديد والقديعة كانت على مقربة منها الى الغرب . ومن قصيدة لابن القيسراني وهو الذي خلد بشعره انتصارات المسلمين على الصليبيين :

وحاولوا (المسجد الاثني) فاعبرت عن مسجد القدم الأقصى لهم قدم ومسجد القدم مشهور .

قصيبان : المظنون أنها قرية واسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج من تحت بيوت بديلا .

القطيعة : ظاهر دمشق ورد ذكرها في أخبار فتنة أبي الهيثم ولكن بالفاء لا بالعين والمظنون ان الفاء تحريف وهي عند السفليين سكنها الحكم بن عبد الله بن روح بن الوليد كما ورد في ابن عساكر .
قُلبين : يقول ياقوت ان قلبين بالقاف وكسر الباء كانت عند طرميس وذكر أيضا قلتين بالتاء والأرجح ان الثانية محرفة عن الأولى والأولى بكسر الباء وردت في الشعر في قافية مع جسرين .
ولقلبين قنات ماء حرفت قافها فصارت ألفا فيقال لها اليوم قناتة البين بكسر الباء وهي تسقي بعض مزارع جوبر .

القوينصة : سكن الوليد بن أبان الأموي هذه القرية في ظاهر دمشق .

قينية : كانت مقابل الباب الصغير وصارت بساتين في القرن السادس (ياقوت) ويقول صاحب القاموس انها صارت في عهده بساتين والغالب انها خربت في القرن السادس وربما قبله وفي ذيل تاريخ دمشق ان المحاربين كنوا في خراب قينية وكان ذلك في القرن السادس . يقول الاستاذ ذهبان انها مكان الطريق الذي يذهب منه الى المزة

من جهة باب السريجة وهو حذاء باب السريجة تماماً . وفي تلك
الجهة بنيت مدرسة الطب المعروفة بالبودية وهناك بستان لا يزال
يعرف ببستان البودي .

كشتكين : وفي رواية (كشمليين) بالشين وهو تحريف كان
عبد الواحد بن سليمان يسكن كشمليين خارج باب السلامة وفي
كتاب المساجد : عين كشتكين والوراقة القديمة .
كوكب : ذكرها صاحب نزهة المشتاق بأنها من الغوطة وهي
مجاورة لداريا وأهل هذه يرمون بالبخل فقليل عندهم انهم لحقوا الدبور
الى سهل كوكب حتى لا يأكل من عندهم ، وفي بعض المظان
انها كوكبا بألف في آخرها .

اللؤلؤة الكبرى : يقول دهمان انها حارة الحلبوني ثم سميت
بعد ذلك بالمنييع . وان لؤلؤة الصغرى هي قبلي حارة الحلبوني من
بساتين باب السريجة وتعرف تلك الجهة بزقاق الجن . واللؤلؤتان
الكبرى والصغرى في أرض كفرسوسية بينهما وبين المزة . ظاهر
أثرهما الى الآن وقد وصف ابن شاكر اللؤلؤتين فقال منظران
كانتا ظاهر دمشق فيما يلي باب الحديد غرباً وكانتا من أعجب البناء
أحرقهما الفاطميون لما حاصروا دمشق .

المأمونية : على خطوات قليلة من معمل الجليد في طريق جوبر
فوق مزرعة آل مردم بك . ولابن الخياط الشاعر الدمشقي قصيدة
في وصف المأمونية وبركتها والآنايب والفوارة والشاذروانات
وما ينبت فيها من الخشخاش .

مجريد : يظن أنها كانت قرية غربي كفر بطنا واسم نهرها
ما زال معروفاً .

مرج الأشعرين : كان مكان خاتناه الطواحين من أرباض دمشق
ويقول دهمان انه المرج الذي شمالي قلعة دمشق وهو يشمل سوق
التبن وخان البطيخ وخان الباشا الى سويقة صاروجا المشرفة على
مرج الأشعرين .

المرج : عدة أماكن : المرج قرب داريا غربي خولان وفي
وقائع الحروب الصليبية قال الشاعر من قصيدة مطلعها :

بشطي نهر داريا أمور ما تؤاتينا
وجازوا المرج والتعدي ل أيضاً والمياديننا

وربما كان هذا المرج غير المرج الأول والتعديل اليوم محلة

على القنوات، والميادين لا بد أن يكون أحد الميادين الأربعة التي كانت في دمشق ومنها ميدان الحصا التي يطلق عليها اليوم الميدان . وفي هذه القصيدة أيضاً :

فولوا يطلبون المر ج من شرقي جسرنا
وهذا المرج هو مرج الغوطة وهو أوسع المروج وأقليم بذاته .
مزرعة بيت حمادة : في آخر أرض كفر بطنا من الشرق وفي أول أرض جسر ين عثر فيها على دمن وأنقاض وأوان بيتية ويظن أنها كانت قرية .

مزرعة حاروش : من توابع زبدین وحاروش عين جيدة الماء تسقي قرى المرج ، وفي الغوطة تكثر هذه الصيغة حاروش ساروط طاروق قاشوش الخ .

المزة : بنيت القرية الحالية فوق قناة ، أما القرية القديمة فهي تحت قنواتها الراكبة على مقسم نهر الداراني المعروف بمقسم النفلة ، وما برحت آثارها ظاهرة الى اليوم ينزعون أحجارها ويبنون بها .

مصطبة السلطان : في القابون أو في أرض برزة ، بنيت في عصر المماليك ، وكان أهل الدولة في ذهابهم وإيابهم الى عاصمة الملك فروق يجلسون فيها ، خربت كلها .

المصينة : بالتخفيف لا بالتشديد ، قرية شرقي بيت لهيا ، كانت عامرة فخرت . قال القرماني : انها قرب بيت لهيا ، وكان يسكنها عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي .

مقرى : بضم الميم ومنهم من يفتحها ، والنسبة اليها المقرائي ، كانت شرقي طاحونة الاشنان من أرض الصالحية . وكان في جادة مقرى دور كبار عليها آثار النعم ، منها السبع قاعات ، هدمت في القرن العاشر . وقد ذكرت في الشعر كثيراً ومما قاله فيها ابن الفراء :
إذا ما طفت حول ديار مقرى فخرج بي الى دير الحكيم
وحقق دهمان موقعها فقال : هي شرقي طاحون الاشنان ، بيت أبيات على صفة نهر ثورة الشمالي ، وهناك طاحون ما فتئت تعرف بطاحون مقرى . والسبع قاعات كانت في أرض مقرى وتذكر على الألسن إلى اليوم .

منازل بني رعين : غربي البلد ، لم يمكن تعيين موقعها .

ميدعا : قرية في المرج عامرة وقرية من إقليم حرلان دائرة .

الميطور : في أرض الصالحية آخر حدودها على نهر يزيد ، قال عرقلة بن جابر بن عمير الدمشقي :

وكم بين أكناف الثغور متيّمٌ كئيبٌ غزته أعينٌ وثغورٌ
وكم ليلة بالمطرون قطعها ويوم الى الميطور وهو مطير
هذا قول ياقوت فظاهر البيتين أن الثغور اسم قرية أو متنزه وبذلك
يحصل الالتئام بين المطرون والميطور أي المناسبة بين البيت الأول
والثاني . هذا اذا لم يرد عرقلة الثغور المعروفة في حدود الشام من جهة
ديار الروم . ويقول دهمان ان الميطور شمالي حور تعلقة ، ولا يزال
في تلك الجهة بستان يدعى بستان النيطور بالنون .
النحاسية : قرية في أرض حوش الریحانية .

النمرانية : قرية من ناحية الوادي ، كان معاوية بن أبي سفيان
أقطعها عمران بن يزيد بن عبيد المذحجي .

نصيب : الغالب أنها من متنزهات دمشق وللراعي المعروف
بابن خداويردي (١١٩٥) :

وفي نصيب جحفل الأطيّار وجمع الأزهار والأشجار
وجمع الأمواه جسر الغيضة وحيثما يمت تلقى روضه
وجسر الغيضة معروف يجمع بين قرى شمالي الغوطة وجنوبها ، ومنه
انبعثت الجذوة الأولى من الثورة السورية .

النيرب : كانت مدينة ذات تسعة مساجد ، وفي بعض الروايات
قرية في سفح جبل قاسيون ، وربما قيل للنيرب : النيربان . قال

البدرى : ان محلة النيربين تعلو البهنسية وجسر ابن شواس وانها
من أعظم المحلات وبها مساكن الرؤساء والأعيان ، وكانت عامرة
في القرن الثامن ثم أخذت بالخراب ، ولابن لؤلؤ الذهبي :

ويوم لنا بالنيربين رقيقة حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسامنا على الدوح بكرة فردت علينا بالرؤوس غصونه
ولبعضهم :

وصبأصبّت من (قاسيون) فسكنت بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه (النيربين) عشية وأتتك وهي بليلة الأذيال
وقاسيون جبل دمشق يحده الغوطة من شمالها .

الواديان : ذكر القدماء من علماء تقويم البلدان أن دمشق تفاخر
بالواديين ، وفي رواية أخرى بالزاربين . والواديان على الأرجح وادي
بردى ووادي معربا ، وورد ذكر الواديين في شعر ابن الساعاتي في قوله :
سقى الله (برزة) و(الواديين) غير البكاء وغير الوشل
منازل هو كساها الزمان أعلى الحلي وأعلى الحلل
وقال أيضاً :

سقيت دمشق وجارتا (جيرونها) بملت أخلاف القطار هتونها
صنع يعيد على البطاح بصبغه ما حال عام المحل من تلوينها

وكسا حياء البرق كل خميلة جنات (نيربها) الى (قابونها)
فعراض (مزتها) الى (قنواتها) (فالوادين) الى شعاب (منينها)
وادي مكرم : بين الربوة الى تحت صخرة المزة في أرباض دمشق
كانت تخرج منه القراصيا البلدية المشهورة وليس من أثر اليوم لاسم
الوادي ولا لزراعته .

واسط : في جنوبي دمشق بعد قرية فذايا .

الهلالية : مزرعة دخلت في أرض حمورية تقع الى الشرق منها
والى غربي حوش الأشعري ومساحتها ستون فداناً .
يعقوبا : غربي حزة بينها وبين عين ثرماء ، بقي اسمها وانقاض
قليلة منها تتألف منها أكمة صغيرة وهي داخلية في أرض حزة .
وكان فيها مزرعة وقفت على المدرسة الظبيانية .
يلدان : من اقليم باناس . وهي يلدا على الاكثر كما قالوا
زملكا وزملكان .

اليهودية : مزرعة من مزارع بيت سوا يظن انها كانت
قرية مستقلة وفيها اليوم مقبرة ظاهرة قديمة وانقاض بناء قديم .



الفصل العشرون

القصور والجواسق الدائرة

قال ابن شاكر : في قرى الغوطة والمرج القصور والديورة
والمنازل المعروفة مما عفا رسمها وبقي ذكر اسمها . وقد بنى كثير من
الامويين في أرض الغوطة قصوراً ودوراً لم تصلنا صورتها . وكذلك
أقام بعض عمال المصريين - أي الفاطميون - بعض القصور في دمشق
لسكنائهم ونعيمهم . وبنى الأيوبيون القصور والجواسق فيها ،
وتبعهم نفر من سلاطين المماليك ونوابهم . وأقام بعض ولالة الأتراك
وأعيان دمشق في العهد العثماني قصوراً . فما حفظته لنا الكتب
من اسمائها .

القصور : غربي كفر سوسية . قال ابن طولون : وقد خربت ،
وهي الى الآن خراب .

القُصير : تصغير قصر ، من مزارع دومة . وفي أرضه قام لعهدنا
مستشفى المجاذيب والجدامى (ابن سينا والوليد) وكان فيه خان
عظيم لنزول القوافل .

القصر الأبلق : قصر عظيم بني من أسفل إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر ، لذلك سمي الأبلق ، بناه الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب مصر والشام . وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر . قال ابن فضل الله : وأمام القصر الأبلق بدمشق دركاه - بيت مستطيل أمام الدار يرتفق به - يدخل منها إلى دهليز القصر ، وهو دهليز فسيح يشتمل على قاعات ملوكية مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن ، المؤزر بالرخام ، المفصل بالصدف والفض المذهب إلى سجع السقف ، وبالدار الكبرى إيوانان متقابلان تطل شبايك شرقيهما على الميدان الأخضر وغربيهما على شاطئ واد أخضر يجري فيه النهر - بردى - وله رفارف عالية تناغي السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة . وذكر ابن تغري بردي أن القصر الأبلق بقي عامراً تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك في سنة ٨٠٣ عند حريق دمشق وخرابها . وقد بقي هذا القصر عامراً إلى عهد العثمانيين رآه ابن طولون الصالحى وقرأ تاريخه (٦٦٨) وقال ان أسكفته ضرب من رخام أبيض وسطه مكتوب : عمل إبراهيم بن غنائم المهندس .

وما يزال اسم ابن غنائم هذا محفوراً على الحجر في مدخل المدرسة الظاهرية الجوانية التي جعلت دار كتب عرفت بدار الكتب

الظاهرية . وعلى أنقاض القصر الأتلق قامت التكية السلجمانية أعظم
تكايا الترك العثمانيين في الديار الشامية .

صر تنكر : ذكر ابن كثير أنه كان في طريق داريا .

قصر حجاج : يقول ابن عساكر إنها محلة كبيرة في ظاهر

باب الجابية . والقصر منسوب الى حجاج بن عبد الملك بن مروان .
قال ابن شاكر . وكان قبله أيضاً معروفاً بالحجاجية وكان ملكاً للحجاج
ابن يوسف الثقفي . فلما ولد لعبد الملك بن مروان ابنه الحجاج المذكور
وكانت أمه بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف سمّته باسم عمها
الحجاج فتحله الأرض المذكورة وبنى له القصر فعرف به ونسب اليه .
وما برحت محلة قصر حجاج عامرة ، ولم يتغير اسمها .

قصر الدهشة : قال في الدارس نقلاً عن ابن قاضي شعبة

في حوادث سنة ٨١٦ أنه خرب فيها ثلاثة مساكن ، وهي أحسن
مساكن بساتين دمشق : الدهشة وبستان ابن النشو على حافة ثورا
بالقرب من الربوة وبستان ابن جماعة في المزة . وهذا الثالث نقلت
آلته الى مدرسة الخواجا ابراهيم بن الاسعدي .

قصور الربوة : وكان من جهتي وادي الربوة قصور وجواسق

وأبنية رآها ابن طولون وقال لم يبق منها الا القليل .

قصور السكسكي : وهي قصور محمد بن عمرو السكسكي في بيت لھيا . قال ابن عساكر : وكان له في هذا الاقليم عدة قصور مبنية بالحجارة وخشب الصنوبر والعرعر . في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه . وكان كل جليل يقدم من الحضرة (بغداد) أو من مصر يريدھا ينزل عنده وفي قصوره . وكان ذلك في القرن الثالث . والسكسكي من اليمانيين جماعة بني أمية .

قصور الشرفين : اشتهرت قصور الشرفين الأعلى والأدنى وكانت مما يُزھى به ويُفاخر .

قصر صاري بك : أنشأ حسين صاري بك (١٠٩٤) أحد ولاة دمشق قصرآ في طرف الشرف بالميدان الأخضر وكان مكانه يعرف بالختونية . وذكر المؤرخون في العهد العثماني أنه تأثق في وضعه وغرس فيه أنواع الأشجار من كل صنف ، وعز عليه بدمشق بعض أنواع الفاكهة فجلبھا من أما كن بعيدة .

قصر الصفوري : كان لأبي البقاء الصفوري المتوفى سنة ١٠٣٥ .

وكان يسمى صاحب القصر لقصر كان له في الصالحية . وكان في القرن الحادي عشر من أحسن المتنزهات وفيه يقول الأمير المنجكي :
أقسمت بالبيت العتيق وما حوت بطحاؤه من حجره وحجوره

ماضت الدنيا كقصر كمنزلاً كلا ولا سمحت بمثل قطينه
قصر عاتكة : قال ياقوت في أرض عاتكة خارج باب الجابية .
منسوبة الى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بن حرب
أم البنين . وهي زوجة عبد الملك بن مروان ، وأم يزيد بن عبد الملك
وهذا القصر مات عبد الملك بن مروان . قال ابن حبيب : كانت
عاتكة بنت يزيد بن معاوية تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفة
كلهم لها محرم : أبوها يزيد بن معاوية وأخوها معاوية بن يزيد
وجدها معاوية بن أبي سفيان ، وزوجها عبد الملك بن مروان
وأبو زوجها مروان بن الحكم وابنها يزيد بن عبد الملك ، وبنو زوجها
الوليد وسليمان وهشام . وابن ابنها الوليد بن يزيد وابن ابن زوجها
يزيد بن الوليد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد المخلوع وهو ابن ابن
زوجها أيضاً . وعاشت الى أن أدركت مقتل ابن ابنها الوليد بن يزيد .
ويطلق لعهدنا على قصر عاتكة أو أرض عاتكة قبر عاتكة وهي
من أحياء دمشق خارج السور ظاهر باب الجابية .

قصر خمارويه : ذكر ابن تغري بردي أن خمارويه بنى قصراً بسفح
قاسيون أسفل دير مران يشرب فيه الخمر وفيه ذبح سنة ٢٨٢ هـ
وحمل في تابوت من دمشق الى مصر .

جوسق الرئيس : ابتاعه الملك الأشرف من ابن عمه الظاهر
خضر سنة ٦٠٨ ، وكان بالنيرب . ذكر ذلك أبو شامة .
جوسق العادل : جوسق كان للملك العادل الأيوبي على الشرف .
ذكره ابن تغري بردي .

قصر بني عمر : قرية في الغوطة ، ذكرها ابن عساكر وذكر
من خرج منها من المحدثين .

قصر الفقراء : بناه نور الدين في الربوة ووقف عليه قرية داريا .
تكون قصور الفقراء الى جانب قصور الأغنياء ، ذلك أن قصور
هؤلاء كانت عظيمة في تلك البقعة فأحب سيد الشام ألا يحرم الفقراء
من قصر يصطافون فيه ويرتبعون كما يصطاف أرباب اليسار ويرتبعون
فقال التاج الكندي :

ان نور الدين لما أن رأي في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرًا شاهقًا نزهة مطلقة للفقراء

ويقول ابن عبد الرزاق ان الملك نور الدين محمود بن زنكي خرج
يومًا الى جهة الربوة فقبل له هذا بستان فلان ، وهذا قصر فلان ، فقال :
وما للفقراء شيء ؟ قالوا : لا . فبنى لهم هذا المكان وجعله مشهدًا للناس .

جوسق ابن الفراش : ذكر أبو شامة في الروضتين أن ابن الفراش
كان له جوسق بالشرف الأعلى في بستانه وأن صلاح الدين يوسف

كان يزور القاضي الفاضل ليستضيء برأيه فيما يريد فعله في هذا الجوسق .
ولم يكن صلاح الدين من الراغبين في عمارة الدور والقصور حتى أن
الصفى بن القابض لما تولى خزانة دمشق لصلاح الدين بنى له داراً مطلة
على الشرف بالقلعة وأنفق عليها أموالاً كثيرة وبالع في تزيينها
وتحسينها وظن أنها تقع من السلطان بمكان فما أعارها طرفاً ولا استحسناها
وكانت من جملة ذنوبه عند السلطان التي أوجبت عزله عن الديوان
وقال : ما يصنع بالدار من يتوقع الموت ، وما خلقنا الا للعبادة والسعي
للسعادة وما جئنا لنقيم وما نروم الا نريم .

قصر كريم الدين : ذكر المحبي أن يوسف بن كريم الدين رئيس
الكتاب بمحكمة الباب بدمشق المتوفى سنة ١٠٣٢ عمر القصر بالصالحية ،
وكان من أحسن المتزهات وفيه يقول الأمير منبجك :

قصور الشام محكمة المباني ولا قصر كقصر بني الكريمي
قصر اللباد : قال القدماء انه دير مسكون أهل بين دمشق وبيت
أبيات . وقد حقق دهان موقعه فقال : انه في طريق بساتين الصالحية
التي يُذهب اليها من حي القزازين على نحو ألف خطوة . وهو بستان
كبير متصل بطاحون الأشنان ، وما زال يُعرف الى الآن
بقصر اللبان .

قصر المأمون والمتوكل : كان القصر الذي بني للمتوكل العباسي في طريق داريا . اختار البانون هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها . قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل دمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على مسافة من المدينة في أعالي الأرض . وهذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة . وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ . وفي عيون التواريخ أن المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤ وبني بها القصور وهي التي بطريق داريا . ثم أنه استوخمها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه . ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل . ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار ، وانقطعت الأجلاب فضجر وعاد الى بغداد .

قصور المرجة الخضراء : ذكرها صاحب جهان نما وكانت عامرة أهلة في عصره . وكان في المرجة الدور المنيفة والقصور الفخمة ، وكل ذلك زال بعد القرن التاسع .

قصر الملوك أو مصطبة السلطان : قال البدرى : القابون قابونان فوقاني وتحتاني ، وبهما أرض مصطبة السلطان وهي مصطبة في قدر فدان يصعد إليها بنيف وعشرين درجة من جهاتها الأربع ، وفيها قصر حسن البناء ينزل به الملوك والسلاطين عند توجههم الى الأسفار . وقد بنى الناصر صلاح الدين من أسرة صلاح الدين يوسف قصراً في قرية القابون لم ير الراؤن مثله .

قصر الأمير منجك : في كتاب ولاية دمشق في العهد العثماني أن الأمير منجك بنى قصراً هائلاً في المرجة وكان عام عمارته سنة ١٠١٢ هـ .

قصر يزيد : من اقليم بنت الآبار وكان يسكنه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد الملك .

فهذه أسماء بعض القصور التي قامت في الغوطة ، وقد كان فيها كثير غيرها . ولم يبق من أثر اليوم لا نقاض قصور الأغنياء ولا الفقراء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا لقصور الربوة والشرفين . وقد بقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر . ثم خرب كل أولئك بما لاقته البلاد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من تعدّي عسكري

الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر من العثمانيين . وقد كان دخول العثمانيين الى دمشق سنة ٩٢٢ بدء خراب هذه القصور . وفي أوائل هذا القرن صحّت نية أغنياء دمشق ممن يملك حدائق في ضاحيتها وقراها على اقامة القصور والدور الجميلة فيها . وخربت هذه القصور والدور في الثورة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٦) وأهم ما أصابه الحريق والتدمير بيوت برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدین وجمورية واقتريس وجوبر والمزة . ومن القرى مادثر برمتة مثل جسرین والمنيحة وبرزة ثم عادت فبُنيّت . كما خربت في دمشق نفسها أجمل دورها وقصورها الاثرية .



الفصل الحادي والعشرون

الديورة الدائرة

الدير خان النصارى وهو غير الكنيسة وقد حفظت لنا الكتب أسماء ديرة كثيرة كانت في الغوطة . ويغلب على الظن أن القرى التي يبدأ أولها بدير ، كانت أولاً ديراً فقط ثم توفرت بجانبه الأرض المغروسة والمزروعة وكثر القائمون على حراثتها وزرعها فأصبح الدير على توالي الأيام قرية برأسها ، كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد الغرب خلال القرون الوسطى : استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

فما وقع لنا من أسماء الديرة الدائرة :

دير ابن أبي أوفى : كان خارج باب الجابية .

دير بحدل : لم يبق من القرى التي تبدأ باسم دير في الغوطة

سوى دير بحدل . وهو منسوب الى سعيد بن مالك بن بحدل . وكان ولي امرة قنسرين والجزيرة في أيام يزيد بن معاوية فأقطعها اياها . وهو اليوم زرائب للبهائم وحواصل للغلات وبيوت للفلاحين .

دير بشر : كان شرقي سبينة الشرقية . واسم قناته مشهورة

وتمر من حوش بلاس . ينسب الى بشر بن مروان . وبين حجيرا

وسبينة اليوم مزرعة يُقال لها مزرعة بشر . وقد حدد موقعه في كتاب وقف سيف الدين الرجيجي . ويؤخذ من كتاب التمهيد أن دير بشر كان في القرن السابع عامراً .

دير بولس ، ودير بطرس : كانا ظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة، لا يبعد أحدهما عن الآخر كثيراً . وإياهما غنى جرير بقوله :
لما تذكرت (بالديرين) أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
فقلت لمركب اذجد الرحيل بنا يابعد يبرين من باب الفراديس^(١)
وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء انه أراد بالديرين دير الوليد فثنى وهو دير مشهور .

دير حرملة : يقول ابن عساكر انه كان عند دير البقر بدمشق ديران أحدهما لخالد بن الوليد أقطعه إياه أبو عبيدة والآخر لأخيه حرملة بن الوليد ، مع قرية بالغوطة تعرف بدير حرملة ، بعد أن كاتب أبو عبيدة فيها عمر فأذن له . وربما كان هذا الدير في أرض جوبر عند مزار يقال له اليوم سيدي حرملة .

(١) يبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب . والفراديس محلة العمارة اليوم . كان فيها قصور الأعيان وقد خربت في فتنة القرامطة سنة ٣٦٣ . ويقول ابن القلانسي انه كان فيها من البنيان الرفيع في الحسن والبهاء ما لم يُر مثله وهو أحسن مكان بظاهر دمشق .

دير الحكيم : (راجع مقرئ فصل القرئ الدائرة) .

دير الحميرئ : كان بين حمورية وعربيل ، لم يبق الا اسمه .

دير الحنابلة : بسفح قاسيون غربئ المدرسة العمريه . وكان للحنابلة الذين أنشأوا الصالحية في القرن السادس . وسكنوا أيضاً في دير الحوراني ودير الرهبان . كما ذكر ابن كنان في المروج السندسية .
دير حنيننا : من أديره الغوطة . وقد ورد ذكره في قصيدة لابن العجمي الحلبي المتوفي سنة ٦٥٦ ذكرها ابن شاكر الكتبي في قوله :

واعبر بدير حنيننا وانتهز فرص الـ لذات ما بين قسيس ومطران
دير خالد : نزل فيه خالد بن الوليد عند حصاره دمشق فسمئ باسمه .
وكان مقابل باب الفراديس . ويسمئ أيضاً دير صليبا ودير السائمة .
وهو في موضع نزه كثير البساتين ، وبنائه حسن عجيب . والئ جانبه
دير للنساء فيه رواهب ورهبان . وذكروا أن أبيات جرير : اذا
تذكرت بالديرين هي فيه . وقد مررت هذه الأبيات في (دير
بولس) . وفيه يقول أبو الفتح المعروف بأبي البقاء من أبيات :

جنته للمقام يوماً ، فضلنا فيه شهراً ، وكان أمراً عجيبا
شجر محقق به ومياه جاريات والروض يبدو ضروباً

من بديع الألوان يضحى به الشاكل مما يرى لديه طروباً
وشرّبنا به الحياة مداماً تطلع الشمس في الكؤوس غروباً
فكأن الظلام فيها نهار لسنّاها تسرّ منا القلوباً
لست أنسى مامراً فيه ولا أج هل مدحي إلاّ لدير صليبا
ومنذ القرن الثامن ما كان لهذا الدير عين ولا أثر . ويذكر
ابن فضل الله العمري أنه صار دوراً وأبنية ومساجد ومدافن .

دير خليل : في إقليم بيت الآبار قرب المنيحة ، لا أثر له .
دير داريا : ذكروا أنه كان من البناء الأثري ، وكان فيه أحجار
ضخمة ، قطعوا منها وعمروا بعض أماكن من الجامع الأموي بدمشق
لما احترق أوائل هذا القرن .

دير سابر : من إقليم حرلان كان يسكنه عتبة بن معاوية .
دير سمعان : يقول القرماني أنه من قرى الغوطة . وأنه كان
خراباً في القرن الحادي عشر . وارتأى دهمان أنه شمال التربة
المعظميّة شرق دير مرّان بالصالحية .

دير ابن عصرون : ورد ذكره في ثبت أملاك تنكز المنشور
في فوات الوفيات . وقال ابن طولون أن الدوير يقال لها دير
ابن عصرون . وهي قرية صغيرة في لحف الجبل .

دير قيس : في إقليم خولان سكنه خالد بن سعيد بن أبي محمد الأموي
دير اللباد (في رواية اللبان) : دير قديم مسكون ، كان بين
دمشق وبيت أبيات .

دير مار الياس : ذكر عبد الرحمن بن خطيب داريا هذا الدير
من قصيدة مطلعها :

هات اسقني الكأس يا مؤنسي على بساط الورد والترجس
فالوقت قد رقَّ وراق الهوى وجاد بالوصل الزمان المسي
الى أن يقول :

هذا هو العيش ومن لي به في دير مار الياس أو بطرس
رهبان دير طيب أخلاقهم أصفى من الراح لمستأنس
أكثر ألفاظهم اشرب فلا تسمع قول اقرأ ولا درّس
دير الماطرون : في ابن عساكر الميطرون وأنه قرب بيت لهيا
بينها وبين عين ثرما . وأنشدوا في الماطرون قول يزيد بن معاوية :^(١)

آب هذا الهم فاكتنعا وأمرّ النوم فامتنعا
جالساً للنجم أرقبها فاذا ما كوكب طلعا
ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذي جمعا
خرفة حتى اذا ربت ذكرت من جلق بيعا
في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا

(١) انظر انساب الأشراف ج ٤ قسم ٢ ص ٢ .

استشهد بهذه الأبيات ياقوت في مادة الماطرون وذكر أيضاً
دير الماطرون وأورد أبياتاً قديمة قرأها حمزة بن القاسم على حائط
بستان الماطرون ولا ندري هل نسب الدير الى الماطرون القرية
أم كلتاهما واحد.

دير محمد: كان محمد من أحسن بني أمية. وكان عمر بن عبد العزيز
يراه أهلاً للخلافة. واليه تنسب المحمديات فوق أرزة. ودير محمد
عند المنيحة من إقليم بيت الآبار في أرض جرمانا اليوم.

دير مرّان: يقول البكري ان عقبة مرّان مشرفة على غوطة
دمشق تبت شجراً باسقا ، تتخذ منه القنا والرماح وهو المران.
ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة. وهو في سفح جبل قاسيون
المطل على دمشق من الغرب. كان يُشرف على مزارع الزعفران
من أرض اللوآن. وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع. وكان
مقصد الخلفاء والأمرء والشعراء. وقيل فيه القصائد والمقطوعات.
ولكشاجم فيه قصيدة مطلعها :

محاسن الدير تسبيحي وتصباحي .

وفيهما يقول :

أقمتُ فيه الى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للانس مفتاحي
منادماً في قلايه رهبانة صارت خلائقهم أصفى من الراح

وذكروا أن بناء هذا الدير كان بالجص الأبيض ، وأكثر فرشته
بالبلاط الملون وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، وكانت قلاله
دائرة به ، وأشجاره متراكبة ، وماؤه متدفقا .

ولما وافى المأمون دمشق سنة خمس عشرة ومائتين نزل بدير
مران ومكانه معروف بالسهم قرب النيرب في السفح فعمر
هذا الدير وبنى القبة التي فوق الجبل ، ولما أرسل الواثق العباسي
رجاءً لتأديب العصاة من أهل الغوطة نزل أيضاً دير مران .
ونزل به كثيرون من الأمراء .

وقال الصنوبري فيه :

أمرُ بدير مران فأحيا وأجعل بيت لهوي بيت لها
صفت دنيا دمشق لمصطفىها فليس يريد غير دمشق دنيا
ولابي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة في
دير مران ، يقول فيها :

ويوم كأن الدهر ساعتي به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياضنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ نسيم بانفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر

استشهد بهذه الأبيات ياقوت في مادة الماطرون وذكر أيضاً
دير الماطرون وأورد أبياتاً قديمة قرأها حمزة بن القاسم على حائط
بستان الماطرون ولا ندري هل نسب الدير الى الماطرون القرية
أم كليهما واحد.

دير محمد: كان محمد من أحسن بني أمية. وكان عمر بن عبدالعزيز
يراه أهلاً للخلافة. واليه تنسب المحمديات فوق أرزة. ودير محمد
عند المنيحة من إقليم بيت الآبار في أرض جرمانا اليوم.

دير مرّان: يقول البكري ان عقبة مرّان مشرفة على غوطة
دمشق تنبت شجراً باسقا ، تتخذ منه القنا والرماح وهو المران.
ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة. وهو في سفح جبل قاسيون
المطل على دمشق من الغرب. كان يُشرف على مزارع الزعفران
من أرض اللوآن. وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع. وكان
مقصد الخلفاء والأمراء والشعراء. وقيل فيه القصائد والمقطوعات.
ولكشاجم فيه قصيدة مطلعها :

محاسن الدير تسبيحي وتصباحي .

وفيه يقول :

أقمتُ فيه الى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للانس مفتاحي
منادماً في قلاليه رهبانة صارت خلائقهم أصفى من الراح

غ (١٦)

وذكروا أن بناء هذا الدير كان بالجص الأبيض ، وأكثر فرشته
بالبلاط الملون وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، وكانت قلاله
دائرة به ، وأشجاره متراكبة ، وماؤه متدفقاً .

ولما وافى المأمون دمشق سنة خمس عشرة ومائتين نزل بدير
مران ومكانه معروف بالسهم قرب النيرب في السفح فعمر
هذا الدير وبني القبة التي فوق الجبل ، ولما أرسل الواثق العباسي
رجاءً لتأديب العصاة من أهل الغوطة نزل أيضاً دير مرّان .
ونزل به كثيرون من الأشراف .

وقال الصنوبري فيه :

أمرُ بدير مران فأحيا وأجعل بيت لهوي بيت لها
صفت دنيا دمشق لمصطفيا فليس يريد غير دمشق دنيا
ولابي الفرج عبد الواحد البغا من شعراء اليتيمة قصيدة في
دير مرّان ، يقول فيها :

ويوم كأن الدهر ساعني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياضنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطين معطر الـ نسيم بانفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر

وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
ونزهتُ عن غير الدنانير قدرها فما زلتُ أشرب التبر بالتبر
ومكان الدير اليوم معروف يُشرف على الربوة . وفيه بقايا
آثار تدل عليه .

دير متى : هذا الدير ودير حنيننا ودير مرّان من الأديار التي
قال فيها عون الدين الحلبي من أهل القرن السابع :
ان جزت بالشام شَمُ تلك البروق ولا
تعدل ، بلغت المنى ، عن دير مرّان

الى أن يقول :

وُعجّ على دير متى ثم حيّ به الر — بان بالطرس فالربان رباني
ثم قال :

واعبر بدير حنيننا وانتهمز فرصاً لمذات ما بين قسيس ومطران
دير النواطير : قيل انه قرب قرية بيت رانس (ارانس) وهو داثر .
دير هند : من اقليم بيت الا بار .

دير يسة : على مقربة من سبينة الغربية . ورد ذكره في كتاب
وقف سيف الدين الرجيجي .

دير يونا (يوحنا) : قالوا انه كان بجانب الغوطة ، ليس بكبير

ولا رهبانه بكثير وهو من أقدم ديرة النصارى بُني بعد المسيح بقليل .

اجتاز به الوليد بن يزيد فأقام به أياماً وقال فيه :

حبّذا ليأتي بدير يونا حيث نسقى شرابه ونُغنى

كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أننا جننا

ومررنا بنسوة عَطِرات وغناء وقهوة فنزلنا

وجعلنا خليفة الله فطروا من مجونا والمستشار يُحننا

فأخذنا قربانهم ثم كَفَرَرنا لصلبان ديرهم فكفرنا

واستهنأ بالناس فيما يقولون اذا أخبروا بما قد فعلنا

قال ابن فضل الله : وهذا الدير اليوم (القرن الثامن) لا وجود له ،

قد أقفرت الأرض من رسم وطلل .

وفي الهيكل المعمور منه انتزعتهَا وصحي حلالاً بعد توفية المهر
ونزهتُ عن غير الدنانير قدرها فما زلتُ أشرب التبر بالتبر
ومكان الدير اليوم معروف يُشرف على الربوة . وفيه بقايا
آثار تدل عليه .

دير متى : هذا الدير ودير حنيننا ودير مرّان من الأديار التي
قال فيها عون الدين الحلبي من أهل القرن السابع :
ان جزت بالشام شمّ تلك البروق ولا
تعدل ، بلغت المنى ، عن دير مرّان

الى أن يقول :

وُعجّ على دير متى ثم حيّ به الر — بان بالطرس فالربان رباني
ثم قال :

واعبر بدير حنيننا وانتمز فرصا لذات ما بين قسيس ومطران

دير النواطير : قيل انه قرب قرية بيت رانس (ارانس) وهو دائر .

دير هند : من اقليم بيت الا بار .

دير ينة : على مقربة من سبينة الغربية . ورد ذكره في كتاب

وقف سيف الدين الرجيجي .

دير يونا (يوحنا) : قالوا انه كان بجانب الغوطة ، ليس بكبير

ولا رهبانه بكثير وهو من أقدم ديرة النصارى بُني بعد المسيح بقليل .
اجتاز به الوليد بن يزيد فأقام به أياماً وقال فيه :

حبّذا ليلتي بدير يونا حيث نسقى شرابه ونُغنى
كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أننا جننا
ومررنا بنسوة عَطِرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجوناً والمستشار مُحننا
فأخذنا قربانهم ثم كَفَّر نا لصلبان ديرهم فكفّرنا
واستهنّا بالناس فيما يقولو ن اذا أُخبروا بما قد فعلنا
قال ابن فضل الله : وهذا الدير اليوم (القرن الثامن) لا وجود له ،
قد أقفرت الأرض من رسم وطلل .

الفصل الثاني والعشرون

وحي الغوطة

أتى لي في الغوطة سبع وستون سنة ، تسامني الطفولة الى الشباب ،
والشباب الى الكهولة ، والكهولة الى الشيخوخة ، ولاقيت ربيعها
وصيفها وخريفها وشتاءها وما لقيت منها الا نضرة وسروراً .
أنعشني هواؤها ، وأدهشتني أرضها وسماؤها ، وما فتئت منذ
وعيت أقرأ في صفحة وجهها الفتان آيات الابداع والاعجاز .

في ربوعها شهدت الطبيعة تقسو وتلين ، وتغضب وترضى ،
وتشبح وتسمح ، فراعني جمالها وجلالها ، وشاقني تزيدها واتزانها .
نشقت أنفاس رياها وهي ترفل في زهرها ووردها ، واستهوتني
بجردة من ورقها وثمرها ونباتها ، فأخذت بها كاسية عارية ، وطابت
لي مطيبة وتفلة .

تربة تقبل وتمحل ، وأدواح تعقم وتثمر ، وجداول تفور وتغور ،
وأبار تفيض وتغيض ، وجو يغيم ويصحو ، ودو يعبس ويضحك .
وهناك هناء ، وهناك يسر ، وهناك شقاء ، وهناك عسر .

أتى الجراد غير مرة على زرعها وثمرها ، وسطت الحشرات على

خضرها وشجرها ، وأحرق الصقيع حبوبها وفاكهتها ، وعدا
الموتان على دواجنها وماشيتها ، وطغى الماء على أدنى بقاعها فأودى
بما أنبت وبسقت ، وعادت هذه الأم الرؤم تدرّ على أبنائها ابنًا طيبًا ،
وتفيض عليهم من عطفها وحنانها كل جميل .

عهدي بها ودمن عشرات المزارع الخربة بما توالى عليها من نكبات
الزلازل والسيول والأوبئة والمجاعات الى جانب ألوف الأقدنة تصبح
بالدؤوب حدائق غلبًا ، وكانت بالأمس بين مستنقع وبيل ، ومرج
أفيح . في الغوطة قرى كبيرة تداعت ، وقرى كبيرة لم يعف
رسمها ، وفيها أشجار لا تعيش غير بضع سنين ، وأخرى مباركة
يحسب عمرها بالقرون .

همت بسحرها في سحرها ، وبشمسها تأفل وراء شجرها ، وراقى
وابلها وطاشها ، ونداها وضبابها ، وجليدها وجمدها ، وثلجها وبردها ،
ودمقها وزمهريرها ، ونسيمها وأعاصيرها .

غنّني طيورها بأطيب الأنغام ، ترددها من وكناتها في جناتها ،
وما تبرّمت الأذن بنعيق البوم ، ونعيب الغربان ، وعواء بنات
آوى ، ونباح الكلاب ، ونقيق الضفادع في المظلم والمقمر من
لياليها ، واهتزت للديكة تصيح ، والغنم تشأج ، والمعيز تشغو ، والبقر
يخور ، والخليل تصهل ، والحمير تنهق .

الفصل الثاني والعشرون

وحي الغوطة

أتى لي في الغوطة سبع وستون سنة ، تسامني الطفولة الى الشباب ،
والشباب الى الكهولة ، والكهولة الى الشيخوخة ، ولاقيت ربيعها
وصيفها وخريفها وشتاءها وما لقيت منها الاّ نضرةً وسروراً .

أنعشني هواؤها ، وأدهشتني أرضها وسماؤها ، وما فتئت منذ
وعيت أقرأ في صفحة وجهها الفتان آيات الابداع والاعجاز .

في ربوعها شهدت الطبيعة تقسو وتلين ، وتغضب وترضى ،
وتشبح وتسمح ، فراعني جمالها وجلالها ، وشاقني تزيدها واتزانها .

نشقت أنفاس رباها وهي ترفل في زهرها ووردها ، واستهوتني
بجردة من ورقها وثمرها ونباتها ، فأخذت بها كاسية عارية ، وطابت
لي مُطَيِّبة وتَفِلة .

تربة تقبل وتحمل ، وأدواح تعقم وتثمر ، وجداول تفور وتغور ،
وأبار تفيض وتغيض ، وجو يغيم ويصحو ، ودوّ يعبس ويضحك .

وهناك هناء ، وهناك يسر ، وهناك شقاء ، وهناك عسر .

أتى الجراد غير مرة على زرعها وثمرها ، وسطت الحشرات على

خضرها وشجرها ، وأحرق الصقيع حبوبها وفاكهتها ، وعدا
الموتان على دواجنها وماشيتها ، وطغى الماء على أدنى بقاعها فأودى
بما أنبت وبسقت ، وعادت هذه الأم الرؤم تدرّ على أبنائها لبناً طيباً ،
وتفيض عليهم من عطفها وحنانها كل جميل .

عهدي بها ودمن عشرات المزارع الخربة بما توالى عليها من نكبات
الزلازل والسيول والأوبئة والمجاعات الى جانب ألوف الأقدنة تصبح
بالدؤوب حدائق غلباً ، وكانت بالأمس بين مستنقع وبيل ، ومرج
أفيح . في الغوطة قرى كبيرة تداعت ، وقرى كبيرة لم يعف
رسمها ، وفيها أشجار لا تعيش غير بضعة سنين ، وأخرى مباركة
يحسب عمرها بالقرون .

همت بسحرها في سحرها ، وبشمسها تأفل وراء شجرها ، وراقى
وابلها وطاشها ، ونداها وضبابها ، وجليدها وجمدها ، وثلجها وبردها ،
ودمقها وزمهريرها ، ونسيمها وأعاصيرها .

غننتي طيورها بأطيب الأنغام ، ترددها من وكلماتها في جناتها ،
وما تبرمت الأذن بنعيق البوم ، ونعيب الغربان ، وعواء بنات
آوى ، ونباح الكلاب ، ونقيق الضفادع في المظلم والمقمر من
لياليها ، واهتزت الديكة تصيح ، والغنم تتأج ، والمعيز تشغو ، والبقر
يخور ، والخليل تصهل ، والحمير تنهق .

أقبلت مرة أقلب حديقة لنا أنقى أدغالها ، وأعزل صخورها
وأجارها ، فنبشت على ذراعين من سطحها مقبرة فيها قليل من عظام
نخرة ، وكثير من خواتم وأقراط وأساور ودمالج ، كانت فضتها
وزهبها ونحاسها وحديدها وزجاجها تتفتت لساعتها بأيدينا .

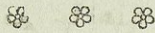
وما فرقنا بين الرجل والمرأة من نزلء مدينة الموتى ، وما بان معنا
الشاب من الفتاة ، ولا الشيوخ من العجائز ، ولا اذا كان من لحدوا
فيها مجوساً أو صابئة أو نصارى أو مسلمين ، ولا أن كانوا من العرب
أو السريان أو اليهود أو الروم ، وغاية ما نمت عليه ذاك العظم الرميم
أنه بقايا أشلاء بشرية كان أربابها يهيجون ويسكنون ، ويلومون
ويبرون ، ويشقون ويسعدون .

وأبصرت على خطى قليلة من المدفن أثر حوض بديع شيد بالآجر
والحجر النحيت يظهر من ترخيمه أنه بناء بان صناع اليد ، وانتهيت
الى ديماس عميق فيه جرار عظيمة ، وأدوات نشأت من مدنية كانت
بنت هذه التربة الزكية ، نعت بها أهلها ما قدر لهم أن ينعموا ، فلما
ناداهم حادي الرحيل تخلوا عن مصانعهم ومرافقهم ، وغادروا ديارهم
كأن لم يغنوا فيها .

أدركت أجيالاً ثلاثة من الناس ، وقبلي رأى الراؤون ألوف
ألوف الألوف ، وكلهم كان شأنهم شأننا خلقوا على صورتنا ،

وركبت فيهم أحاسيسنا وغرائزنا ، واستحكمت فيهم الشهوات
والمطامع ، وكانت لهم آمال وأحلام ، نزع صالحهم وطالحهم ، وراح
لطيفهم وكشيفهم ، وما عرفوا لم جاؤا ولا الى أين ذهبوا ،
ولم جدوا وجهدوا ، ولم انصرفوا على ألا يرجعوا ، أما أجسامهم فقد
نخرت وتبخرت ، وتبعثرت ذراتها في الفضاء ، وأما أرواحهم فانتقلت
الى عالم لم ندر كنهه بالحس ، ولا قدر معناه بحساب ، وما علمنا عنه
الا ما أشار اليه الكتاب .

ذهب من درجوا على هذا الصعيد الطيب ، تاركين ما كدحوا
وجمعوا ، ناسين من أحبوا وأبغضوا ، وما حال دون قفولهم عطف
الأمهات والزوجات ، ولا بكاء الأولاد والأخوات . هلك الفقير
والغني ، والصحيح والمريض والحبيب والبغيب ، وناح النساء على
الأعزة الداهيين يندبن ويولولن ، ثم لحق النائحات والنوادر
بالصحاب والصواحب .



حقاً ان الغوطة كانت على الأيام ساحة تحوّل ، تحولت فيها
حتى أزياء الجنسنيين من سكانها ، فغيّر الرجال في هذه الحقبة لباس
رؤوسهم ثلاث مرات ، وكذلك كان دأب النساء بعلاء آتهن .
شاطرت القوم أفراحهم وأتراحهم ، وكأثرتهم في مواسمهم

أقبلت مرة أقلب حديقة لنا أنقي أدغالها ، وأعزل صخورها
وأحجارها ، فنبشت على ذراعين من سطحها مقبرة فيها قليل من عظام
نخرة ، وكثير من خواتم وأقراط وأساور ودمالج ، كانت فضتها
وذهبها ونحاسها وحديدتها وزجاجها تتفتت لساعتها بأيدينا .
وما فرقنا بين الرجل والمرأة من نزلأ مدينة الموتى ، وما بان معنا
الشباب من الفتاة ، ولا الشيوخ من العجائز ، ولا اذا كان من لحدوا
فيها مجوساً أو صابئة أو نصارى أو مسامين ، ولا أن كانوا من العرب
أو السريان أو اليهود أو الروم ، وغاية ما نمت عليه ذاك العظم الرميم
أنه بقايا أشلاء بشرية كان أربابها يهيجون ويسكنون ، ويلوؤمون
ويبرون ، ويشقون ويسعدون .

وأبصرت على خطى قليلة من المدفن أثر حوض بديع شيد بالآجر
والحجر النحيت يظهر من ترخيمه أنه بناء بان صناع اليد ، وانتهيت
الى ديماس عميق فيه جرار عظيمة ، وأدوات نشأت من مدينة كانت
بنت هذه التربة الزكية ، نعم بها أهلها ما قدر لهم أن ينعموا ، فلما
ناداهم حادي الرحيل تخلوا عن مصانعهم ومرافقهم ، وغادروا ديارهم
كأن لم يغنوا فيها .

أدركت أجيالاً ثلاثة من الناس ، وقبلي رأى الراؤون ألوف
ألوف الألوف ، وكلهم كان شأنهم شأننا خلقوا على صورتنا ،

وركبت فيهم أحاسيسنا وغرائزنا ، واستحكمت فيهم الشهوات
والمطامع ، وكانت لهم آمال وأحلام ، نزح صالحهم وطالحهم ، وراح
لطيفهم وكشيفهم ، وما عرفوا لم جاؤا ولا الى أين ذهبوا ،
ولم جدوا وجهدوا ، ولم انصرفوا على ألا يرجعوا ، أما أجسامهم فقد
نحزت وتبخرت ، وتبعثرت ذراتها في الفضاء ، وأما أرواحهم فانتقلت
الى عالم لم ندر كنهه بالحس ، ولا قدر معناه بحساب ، وما علمنا عنه
الا ما أشار اليه الكتاب .

ذهب من درجوا على هذا الصعيد الطيب ، تاركين ما كدحوا
وجمعوا ، ناسين من أحبوا وأبغضوا ، وما حال دون قلوبهم عطف
الأمهات والزوجات ، ولا بكاء الأولاد والأخوات . هلك الفقير
والغني ، والصحيح والمريض والحبيب والبغيض ، وناح النساء على
الأعزة الداهيين يندبن ويولولن ، ثم لحق النائحات والنوادر
بالصحاب والصواحب .



حقاً ان الغوطة كانت على الأيام ساحة تحوّل ، تحولت فيها
حتى أزياء الجنسين من سكانها ، فغيّر الرجال في هذه الحقبة لباس
رؤوسهم ثلاث مرات ، وكذلك كان دأب النساء بعلاء آتهن .
شاطرت القوم أفراحهم وأتراحهم ، وكأثرهم في مواسمهم

وأعيادهم، ورأيتهم يلبسون الخلق البالي، ورأيتهم يلبسون الزواق
الحرير، شاهدتهم يطعمون أطيب الطعام وأمرأه، وشاهدتهم
لا يشبعون خبز الذرة والشعير، راقبتهم في سكوتهم وهوشاتهم،
وفي تلايلهم ومشاكلهم، وفي سعتهم وضيقهم، وعاشتهم وسامرتهم،
على نقص محسوس في تربيتهم.

أدركتهم يستعوضون عن اللبن والطين والقصب والكس في
بنائهم بالقرميد والآجر والحجر والاسمنت، وعهدتهم يمتطون
العُرّه من الخيل والبغال والحمير، ويحملون أثقالهم على الجمال
ويجرونها بالثيران، ثم اتخذوا المركبات والعجلات وركبوا
الدراجات والسيارات.

أدركتهم تبيض الأمية وتفرخ في رؤوسهم، ويعم الجهل
كبيرهم وصغيرهم وذكورهم وأنثاهم، وما كانت عقول الأذكياء
منهم تصل الى أبعد من القرى المجاورة، واعتبطت أن صار بضعة
في الألف من شبانهم وكهولهم يتلون الصحف والكتب،
ويستطعون طلع الأخبار، ويعنيهم النظر في المصالح العامة،
ويظهرون في مظهر من يحاول مجازاة الزمن في حضارته، يستبدلون
الأدوات الحديثة في الحرث والتذرية والعصر والاستخراج بأدواتهم
القديمة التي جمدت على حالة واحدة لم تبدل من عهد عاد وثمود،

وكل ذلك ببطء وثقل ليناسب اقتباسها قانون الزروع، والغراس
عندهم تنمو بحرارة معتدلة، وإذا سقيت سقيت بمقدار .

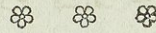
اقليم تتصادم عناصر الطبيعة فيه بلا انقطاع، الفناء رابض أبداً
الى جانب البقاء، والتبدل والتلون على قيد غلوة من الاستقرار .
عائنت كل هذا فرجعت بمنظر متشاكلة لا تزال تتكرر على
مر الجديدين لم أهدئ سبيلاً الى تعليلها . ولا أدركت ولا أدرك
أرباب المدارك هذا السر الدفين في صدر الليل والنهار .

هنا يبدو للعين كفاح الغوطي في كسبه ورزقه ، وصراعه
في سبيل شهواته وأثرته ، هنا تلمح جور القوي على الضعيف ،
وأن الانسان في هذه الأرجاء كان، على نحو ما هو في كل مكان،
ظالماً ومظلوماً، وقاتلاً ومقتولاً ، وعزيزاً وذليلاً .

لحظت ابن الغوطة موسماً عليه ، ولاحظته مقترراً عليه . عهده
مرهقاً بضروب الجبايات ، وألفيته يؤدي الجباية طيبة بها نفسه .
وأدركت الفقير ينوء بحمل كل عبء ، والغني يكاد يعني نفسه
من أداء كل حق .

وجدت الفلاح لا ينسل القدر اللازم من الأولاد يستعين بهم
على استخراج خيرات حقوله ، ولقيته وقد زاد السكان ستة أضعاف
في ستة عقود ، وإذا بأرباب الضياع تضيق بهم رباعهم ، فلا يحجزهم

رَبِّعُ ما يملكون ، وعادوا يقتنون الأرض بالثمن الغالي ويغولون
في الغرام بها ، وهم الذين كانوا يحاذرون امتلاك شبر من ترابها
فراراً من المغارم والعوارض .



حزنت على الغوطي عبداً ، وفرحت له حراً ، آلمني عبوسه
وتشاؤمه ، وسرني ضحكه واستبشاره . كان يرمضني كلما وقعت
عيني عليه يسخر كالبهايم ، ويُقنّع بالسياط ، ويلطم ويلكم ،
وهو صابر خانع . ثم ابتهجت به يوم نفس خناقه ، وعومل معاملة
الانسان ، أما هو فلم ينشب أن نسي ما كان يحل به ، وعاد
يتمرد ويطنى .

نظرت اليه يتهافت على تجويد زراعته ، ونظرتة يهمل اثاره
تربته ، ويزهد في رعية ماشيته ، طالعه يحيي الليالي لا يبالي أذى
البرد اذا كان في سقي زرعه وجمع حبه وثمره ، وطالعه في حمارة
القيظ يكد وسط حقله في حرّ يزهد في الأتفاس ، وهو جدّ طروب
كأنه في مجلس أنس يلذه ما يسمع ويرى .

وسجلت أن ضواري الغوطة لا تستشري ، والشرّ في ارجائها
محكوم عليه بالزوال ، ثبت لي هذا بعد أن رأيت ثعالبها وضباعها

توشك أن تبيد ، وبعد أن أيقنت أن كواصرها وجوارحها أقل من
عصافيرها وحمامها . وقيدت من أخبار الغوطة أمها مُنْعِمَةً محسنة
على وجه الدهر ، وأن بنيتها أصحاب مضاء يَعُدُّون لكل يوم قسطه
من العمل ، ويقسمون جهودهم أقساماً بحسب المواسم ، على ما قسمت
الفطرة سنتهم الى فصول ، استوفى فيها كل فصل حكمه ، وأن
في أرضهم المحبوبة كعظم بلاد العرب قوى منظمة مستثمرة ، الى
جنب قوى ضائعة منتشرة .

مستدركات

يضاف الى الفصل التاسع عشر (القرى الدائرة) ما يأتي : فيما يلي
كان في الغوطة عدة قرى تبدأ ببیت . ولعلمهم كانوا يعنون بالبيت القصر فكان فيها
بيت لهيا وبيت سابو (سابا) وبيت ارانس (رانس) وبيت وانه وبيت والي
وبيت أبيات وبيت الآبار وبيت البلاط او البلاطة وكلها مما دثر . وفي الغوطة
لعهدهنا بيت سوا وبيت سحيم وبيت قوفا .

وكان في الغوطة قرى يبدأ اسمها بفندق كما كان فيها قرى تبدأ بكفر
وطيرة ، والفندق كقنفذ كما في التاج بلغة أهل الشام الخان السبيل من هذه
الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطريق او المدائن . وكان امير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز من أول الخلفاء الذين اتخذوا الخانات للمسافرين كما اتخذ
دور الضيافة للواردين .

ومن فنادق الغوطة فندق الفارقي وفندق الراهب أو بني الراهب ، كان
قبلي المصلي عن يسار المار بالمسجد الجديد مسجد أبي الفلوس في ميدان الحصا
وفندق بني عبد المطلب خارج باب الجابية وفندق ابن العباد . وقد ورد
اسم الفندق نسبة للفندق او صاحبه أو مديره في كتب التاريخ . وقد نسي
مع الزمن اسم الفندق واستعير عنه باسم الخان ثم غلب اسم النزل والجمع
أنزال (اوتيل ج اوتيلات) .

الفندق : بالتصغير ، او خربة الفندق تابعة لصحنايا .

البرج : في معجم البلدان : البرج موضع بدمشق هكذا قال خليفة بن قاسم
وليس يعرف الآن ولعله قد كان ودرس ، ينسب اليه ابو محمد عبد الله بن سلامة
البرجي الدمشقي .

بستان الناعمة : من بيت لها ما زال معروفاً وهو قسم بستان الجرن
بينها الجادة في أرض الصاحبة على ما قال أحد فلاحي ذاك الجوار .
الدارة : كل أرض واسعة بين الجبال ودويرة تصغيرها .

الدراجية : او برج الدراجية على باب توماء وكان لعبد الرحمن أو لعبد الله
ابن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكان على الرسائل في خلافته . والبرج
الحصن ولا يبعد ان يكون في الغوطة عدة أبراج في الأيام الغابرة .

الدواسة : أرض في الروبة ربوة دمشق فيها بقايا آثار قديمة وعمران
ينبئ عن قدم وفخامة ، وفي مخطط دهمان انها قصر خمارويه - من ملوك الطولونيين .
العصرونية : ربما كانت قرية مجاورة للبلد بقي اسم قناتها التي تنبع من
أرض الميدان وتجتاز أرض الشاغور وتسقي أرض يلداء .

علبة : موقع من مواقع حرسنا البصل ربما كانت قرية .
العونية : تصغير عين من أرض حرسنا وفيها دمن يظن أنها بقايا قرية .
وهناك عونية القصارين ولعلها التي عرفت مؤخراً بعين القصارين تحت مدرسة
التجهيز في الشرف الأعلى ثم طمت ودخلت في حدائق ذاك الشرف . ومن
العوينات عونية الحمى يحتمل أن تكون بكسر الحاء وهي الحي والمنزل وبضم
الحاء وتشديد الميم لان ماءها يشفى من الحمى .
ماذنة : من خرائب قرية القدم .

السوقة : في الدارس ان من الموقوف على مدرسة الاقبالية الضيعة
المعروفة بالسوقة .

سوسية : اسم جدول ماء بين سقبا وحمورية ولا يبعد أن يكون جدولاً
يسقي قرية بعينها .

الراهب : محلة كانت قبلي المصلي لسعيد بن عبد الملك .
مفترجات دمشق : يقول الظاهري : وأما الميدان الاخضر وما به من القصور
الحسنة فعجبية من العجائب . واما مفترجات دمشق فيعجز الوصف عن حصرها

من جملتها الجبهة والربوة والعاشق والمعشوق وبين النهرين وتحت الطارمة والتخوت والمقاسم والوادي الفوقاني والتحتاني والصاحية والسبعة والعنابة
زراعة الضحاك : الزراعة المزرعة ، ولا يعرف من هذا الضحاك وقد ترجم
 ابن عساكر لكثير من اسمهم الضحاك ومنهم الضحاك بن رمل السكسكي
 المحدث من أهل بيت لها والضحاك بن يزيد السكسكي المحدث أيضاً . وهذه
 المزرعة شرقي جوبر قال عمرو بن مخلد الكلبي يخاطب بني أمية ويذكر مقامات
 قومه في حروبهم :

ضربنا لكم عن منبر الملك أهله	يجيرون اذ لا تستطيعون منبرا
وأيام صدق كلها قد علمتم	نصرنا ويوم المرج نصرأ مؤازرا
فلاتكروا حسنى مضت من بلائنا (١)	ولا تمنعونا بعد لين تجبرا
فكم من أمير قبل مروان وابنه	كشفنا غباء الجهل (٢) عنه فأبصرا
ومستلثم نفوس عنه وقد بدت	نواجهه حتى أهل وكبرا
إذا افتخر القيسي فاذا ذكر بلاءه	بزراعة الضحاك شرقي جوبرا
فما كان في قيس من ابن خليفة	يعدو ولكن كلهم نهب أشقرا

بسطرا وعذرون وباقطايا : ثلاث مزارع تابعة حرستا الزيتون ،
 ورد ذكرها في محضر كتب سنة ٦٤٨ في عدادين ماء نهر ثورا (راجع
 خطط دمشق للأستاذ المنجد ، ص ٣٢)

كفر مدير : هكذا وردت في محضر ماء نهر ثورا السابق وكان تاريخه الاخير
 سنة ٩٠١ وكفر مدير الغالب أنها قرية مديرية او مديري بعينها .

غيزة جسرين : ذكر الدويهي في حوادث سنة ٧١٦ هـ ان نائب السلطان
 تنكز خرج ليعمل غيزة جسرين المعروفة بغيزة السلطان وجمعوا جميع الامراء

(١) في معجم الشعراء : فلا تكفروا نعمى مضت من بلائنا .

(٢) رواية الحماسة : كشفنا غطاء الغم عنه فأبصرا .

المقدمين والجند واستعملوا فيها أهل تلك القرى التي حولها وأقاموا هناك خمسة أيام يقلعون القرامي العتيقة وينزعون العليق منها .

الجزيرة : موضع بظاهر دمشق (من تعليقات النجوم الزاهرة) .

من ذكرهم ابن عساكر في حوادث سنة ٣٢٤ الحسن بن يعقوب الطرميسي مولى الحسن بن علي من المحدثين توفي في قرية طرميس (ترميس لعهدنا) .

المحمديات : في مخطط دهمان أنها بستان فيه طاحونة العثمانية .

ارض عتيق : فوق ارزة من بيت لها .

ارض داريا : من توابع ارض حزة .

ارض المزرعة : وتعرف قديماً بالخواجكي الزيني بقرية عقرباء .

المزرعة الكبرى : وتعرف قديماً بجاني بك الحلبي بقرية البلاط .

المزرعة الصغرى : عرفت بالسيفي جاني بك .

وهذه المزارع الثلاث الأخيرة ورد ذكرها في صك وقف قبحاس

الاسحاقي المحفوظة في خزانة دار الآثار بدمشق .

في أخبار فتنة أبي الهيثم (١٧٦ هـ) ان اليمانيين انهزموا فصاروا الى حصون أربعة في خولان ففتح خزيم حصناً في يومه . مما دل على أنه كان في بعض أرجاء الغوطة حصون وان كانت الغوطة غنية بأشجارها عن الحصون . وسألنا بعض أعيان الديرانين عن هذه الحصون فلم يعرفوا لها أثراً .

من مظاهر مدينة الغوطة تعدد حماماتها فقد كان فيها حمامات في النيرب حمام وبالربوة حمام وخمس حمامات في السهم وبالزرة حمامان وبالصالحية ستة عشر حماماً وبالقابون فوقاني حمامان وبالقابون التحتاني حمامان وربما كان في بعض القرى حمامات وهي اليوم خالية منها .

تبدلت أسماء بعض الانهار في الغوطة وبعضها ما زال باقياً كما كان على عهد ابن عساكر . فنهر قينية ونهر المجدول (العقرباني على الأكثر)

ونهر الصبورة اي نهر الزلف ونهر التومة العليا ونهر التومة السفلى فهذه
الاسماء غير معروفة لعهدنا . ومن ثورا يتفرع فرع يسمى مقسم الثلث
يسقي أراضي حزّة وزملاكا وعربيل وعين ثمراء ومديري ومسرأبا
ودومة الخ . ويستمد نهر الميلاقون من نهر الداراني ومن هذه أيضاً يستمد
نهر الشراك . ولعل التوتة - العليا والسفلى - كانتا قريتين مثل القابون
الفوقاني والقابون التحتاني .

* * *

يُضاف الى فصل العلم والادب (الفصل الرابع عشر) مايلي :

قال الشيخ عبد الغني النابلسي عالم دمشق وأديبها في القرن الثاني عشر
عند كلامه على داريا أيام مروره بها سنة ١١٠١ ، قاصداً القدس « وحضر
عندنا من أهل القرية جماعة يحفظون القرآن العظيم ، وجماعة يطالعون في
تفسيره للجلالين ؛ فعلمنا أن هذا الامر من إنعام الله تعالى عليهم حيث جعل
فيهم دون غيرهم من أهل القرى في مثل هذا الزمان . وإلا فلعمري كم خرج
من قرية داريا من عالم عامل ، وكذلك قرية المزة وغيرها من قرى دمشق
ولكن الاشتغال بأمور الفلايح أقعد همهم أهل القرى عن تحصيل الكمالات لظلم
الحكام . وقد رأينا غالب من يعرف القراءة منهم معه تفسير الجلالين ، وإذا
سألته عن آية أجابك منه بما تقرّ به العين » .

(الرحلة القدسية . مخطوطة الظاهرية ٦٨٤٤)

* * *

يُضاف الى فصل الديورة دير تاودورس كان في أرض النيرب .

خاتمة

هذا ما تيسر تدوينه في غوطة دمشق ورجائي الا يخليني
العارفون من ملاحظاتهم لاضيفها الى الطبعة الثانية. وهنا اشكر
لصديقي الاستاذ المحقق صلاح الدين المنجد على تفضله بمعاونتي على
قراءة تجارب الطبع وتكرمه ببعض ما حوته تقاييده من المواد.
وعلى وضعه فهرس الكتاب ليتقرب منال الانتفاع به على القارئ.



الفهراس

١ - فهرس القرى العامرة في أيامنا	
٢ - اللغات والأديان والمذاهب	≈
٣ - القبائل	≈
٤ - الأنهار والقي والعيون	≈
٥ - الأزهار	≈
٦ - الثمار والزروع	≈
٧ - المنتوجات	≈
٨ - المشافي والمصانع والمعامل	≈
٩ - متنزهات الغوطة	≈
١٠ - القرى الدائرة والمزارع والحرائب	≈
١١ - المدارس والخوانق والربط والزوايا والتكايا	≈
١٢ - الأديار	≈
١٣ - القصور	≈
١٤ - الأعلام	≈
١٥ - فهرست عام	

١ - قرى الغوطة العاصرة في أيامنا

الاشرفية	١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ،	جرمانا	١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
	٩٣ ، ٩٦ ، ٢١٦		٢٥ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٦٢ ،
افتريس	٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٨٩ ،		٧٨ ، ٨٩ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ،
	٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ٢٠٨ ،		١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
	٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٣٥		٢٠٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،
بالا	٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٩٠ ،	جسرين	٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
	٩٦ ، ١٠٦		٢٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ،
بيلا	٢٢ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ٨٨ ،		٦٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٩ ،
	٩٠ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ،		٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٣ ،
	١٨٠ ، ٢١٨		١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٨٧ ،
برزة	١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،		١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ،
	٢٤ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٩٦ ،		٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ،
	١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٨٠ ،		٢٥٥
	٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ،	جوبر	٢١ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٤٧ ،
بلاس	٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٦ ،		٥٥ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ١٢٥ ،
	١٢٥ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ ،		١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ،
البلاط	٢٢ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٨٩ ،		١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ،
	١٤٤ ، ٢٠٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ،		٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
البويضاء	٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦ ،		٢٣٥ ، ٢٥٥
بيت سحيم	٢٢ ، ٨٩ ،	حجيرة	٢٢ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
بيت سوا	٢١ ، ٢٣ ، ٨٩ ، ٩٥ ،		٩٦ ، ١٤٥ ، ١٨٥ ،
	١٤٥ ، ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ،		٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ،
	٢٥٣		

- حديثه ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ، ٢٣٥
- حرسنا ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ٢٠٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
- حزة ٢٢ ، ٢٤ ، ٩٥ ، ١٨٠ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
- حمورية ١٢ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ، ٢٠٣ ، ١٨٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤
- حوش الریحانية ١٦ ، ٢٢ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٢١٧ ، ٩٥ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٩٥
- الحجارة ٢٢ ، ٢٤ ، ٩٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٠
- ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٥٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢ ، ٩٥ ، ٢٣٦ ، ٥٦ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٧١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٥٦ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٩٦ ، سبينة

١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ،

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ،

قبر الست ٢٢ ، ٥٥ ، ٩٦ ، ٢٠٥ ،

٢١٧

القدم ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٠ ، ١٤٤ ،

١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،

٢١٤ ، ٢١٥ ،

كفربطنا ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٥٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٢٥ ،

١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٨٠ ،

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢٢٠ ، ٢٢١ ،

كفرسوسية ٢١ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٨٨ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،

١٦٣ ، ١٨٠ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٩ ،

٢٢٦

المحمدية ٢١ ، ٢٤ ، ٩٦ ، ١٠٢ ،

١٠٦ ، ٢٠٦ ،

مديري ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،

المرزة ١٦ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ،

٢١٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

سبينات ٢٢ ، ٩٦ ، ٢٤٣ ،

سقا ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٥٥ ،

٨٩ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ،

١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،

٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٥٤ ،

صحنايا ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ،

٤٧ ، ٩٣ ،

عربيل ٢١ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٧ ،

٥٥ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ١٤٦ ،

١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،

٢٣٨ ، ٢٥٦ ،

عقربا ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٧ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ،

١٦٣ ، ٢٠٤ ،

عين ثوما ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٥ ،

٨٩ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ،

٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ،

القابون ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٤ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٦٥ ،

٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ١٩	الملوحة	٧٥ ، ٥٦ ، ٤٧ ، ٤٦	
٩٥ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٤٧		١٣٢ ، ١٠١ ، ٨٨ ، ٧٩	
٢٠٣ ، ١٨٠ ، ١٢٥		١٤٤ ، ١٣٨ ، ١٣٣	
٢٣٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٤		١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣	
٢٤١ ، ٢٣٩		٢١٤ ، ٢١٣ ، ١٩٤	
٤٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	يلدا	٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢١٨	
١٦٣ ، ١٢٥ ، ٨٨		٢٥٦ ، ٢٢٥	
٢٥٤ ، ٢٢٥ ، ١٨٠		٢٥٦ مسرابا	

٢ — اللغات والأديان والمذاهب

٣٢	الاسماعيلية	٣١	السريانية
٣٣	التيامنة	٣١	العربية
٣٣	الحنابلة	٣٢	الاسلام
٣٣	الشافعية	٣٣ ، ٢٢	النصرانية
		٣٣	اليهود

٣ — القبائل

٣٢	آل رحال	٢٦	بنو أمية
٣٢	بنو زبيد	٢٠٨	تغلب
٢٠٩	السكاسك	٣٢	الحريث
٢٠٩	السكون	٢٠٩	حمير
٣٢	آل علي	٢٣٧	بنو حنيفة
٣١	غسان	٢١٠	خولان
٢١٢	فزارة	٣١	ربيعة

١٣	بنو مشجعة	٣٢	آل فضل
٣٢	نوفل	١٨٣ ، ١٨١ ، ١١	قيس
١٨٥ ، ١٨٢ ، ١٨١	يمن	١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥	
١٩٤ ، ١٨٧ ، ١٨٦		٢٠٨ ، ١٩٤ ، ١٨٨	
٢٢٩ ، ٢٠٩ ، ٢٠٣		٢٠٩	
		٣١ ، ٢٧	كلب

٤ - الأتهار ، القني ، العيون

٢٥٦ ، ٢٢١ ، ٩٣	نهر الداراني	٩٣	نهر الاشرفية
٢١٠ ، ٨٩ ، ٩٥	الداعيانى	٩٣	الاعوج
٢١١		٦٧ ، ٥٨ ، ٥٢	بانياس
٩٦	الزابون	٩٤ ، ٩٣ ، ٧٨ ، ٧١	
٩٦	الزبدني	١٦ ، ١٣ ، ١١	بردى
٢٥٦ ، ٩٥	الزلف	٦٥ ، ٦١ ، ٦٠	
٢٥٦	الشرك	٨١ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٦٩	
٩٦	الشيلاي	٩٦ ، ٩٣	
٩٤	قليط	٩٣	برزه
٩٤ ، ٩٣ ، ٥٨ ، ٥٢	القنوات	٩٦	البيلاي
٢٥٦	قينية	٢٥٦	التومة العليا ، والسفلى
٢٢٠	مجريد	٩٥ ، ٩٤ ، ٥٢	ثورة
٢٥٦	المجدول	٢٠٤ ، ٢٠١ ، ١٦٥	
٩٣	المزي	٢٥٦ ، ٢٢٨ ، ٢١٣	
٩٦	معربا	٢٠٥	جسرين
		٢٠٨ ، ٢٥	حردان

٢٥٤	قناة العسرونية	٩٦	نهر الملك
٢١٨	قلبين //	٩٥ ، ٨٩	المنيجي //
٢٥٤	العوينة	٢٥٦	الميلقون //
٢٥٤	عوينة الحمى	٩٤، ٧٩، ٧٥، ٧٢، ٥٢	يزيد //
٢٥٤	عوينة القصارين	٢٢٢ ، ١٢٣ ، ٩٥	
٩٦	عين حروش	٢٥	قناة بشر
٩٥	عيون فاسريا	٢٥	بيت ارانس //
٦٧	عين الفيحة	٢٥	الشاغور //
٩٦	عيون قلايا	٩٦ ، ٩٣	الشوافة //

٥ — أزهار الغوطة

٧٧، ٤٦	زهر اللوز	أزهار الغوطة ، زهر الغوطة ٤٦ ،
٦٣	مقرى //	٨٤ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٣ ، ٥٣ ، ٥١
٧٨ ، ٧٣	المنشور //	٦٤
٤٦	النارنج //	٧٣ ، ٤٦
٧٨ ، ٧٤	نرجس	٦٤
٨٥	نسرين	٥١
		٨٥
٧٧، ٧٣، ٦٤، ٤٦	ورد	٨٢ ، ٧٨ ، ٤٦
٤٦	ورد المزة	٤٦
٥٠	ورد سطرأ	٤٦

٦ — الثمار والزروع

٩١ ، ٩٠	آس	٩١	أجلجق
---------	----	----	-------

غ (١٨)

١٧	الذرة	٩٠	أنيسون
٩١، ٩٠	الرمان	٨٨	برتقال
٩٠	الزعبوب	٩٢	البطاطا
٩١	الزعفران	٩٠، ٤٨	بطيخ أصفر
٨٩، ٨٨، ٤٣، ١٧	الزيتون	٨٩	البقول والخضروات في الصالحة
		٩١	البندق
٩١، ٩٠، ٥١	السفرجل	٩٢	البندورة
٩٠	السهم	٩٠	البقيّة
٩١، ٩٠	الضبار	٩٠، ٤٨	التفاح
٤٨	عنب أبيض	٩١، ٩٠	التوت
٤٨	عنب أحمر	٤٨	التوت الأبيض
٤٨	عنب أسود	٤٨	التوت الأسود
٤٧	عنب بلدي	٩٠	التوت الشامي
٤٧	عنب ييموني	٩١، ٩٠	التين
٨٨، ٤٧	عنب زيني	٩١، ٩٠	الجانوك
٨٨	عنب داريا	٩٠، ٤٣، ١٧	الجوز
٨٨	عنب دومة	٩١، ٩٠	حب الآس
٩٠	الفصة	٤٣، ٢٠، ١٩، ١٧	الحبوب
٩١	قراصيا	١٨	الخطة
	قرلجق = اجلجق	٩١، ٩٠	الخوخ
٩١	القطن	٩١، ٩٠، ٢٠	الخيار
٨٩، ٢٠	القنب		
٩٢، ٩١	كراز	٩١، ٩٠	الدراق

٩٠	شمش حوي	٩١	كستناء
٩٠	كليفورينا	٩١	كمثرى
٩٢	هندي	٩٠	اللاوز
٩١	مشمولة	٨٨	الليمون
٨٨	الموز	٩٠	شمش
٥١	النارنج	٩٠	شمش بلدي
٨٨	النخيل	٩٢	حلو

٧ - منتجات الغوطة

٤٣	الزيت	٩٠، ٤٣	أخشاب
٤٣	السمن	٤٨	أعبئة حرير
٤٣	الشيخ	٤٥، ٤٣	اللبان
٤٦، ٤٣	صابون	٤٣	ألياف القنب
٤٣	صوف	٤٣	الجبين
٤٣	طحينة	٤٣	الجلاب
٤٦، ٤٣	العطور	٤٣	جاود
٤٣	قشدة	٤٣	الحبال
٤٧	قماش عقربا	٤٣	الحيوط
٩٠، ٤٣	قمر الدين	٤٣	دبس
٤٦	ماء الورد	٤٣	الزبد
٤٣	البنقوع		

٨ - المشافي والمصانع والمعامل

١٦٥	معمل الجلود	١٦٦	المستشفى الانكليزي
١٦٥	معمل الجوخ	١٦٤	مستشفى السل
	معمل الدخان = معمل اللفائف	١٦٦	المستشفى الفرنسي
١٦٥	معمل رب السوس	١٦٤	مستشفى القيصري
	معمل الزجاج = مصنع الخزف	٢٢٦، ١٦٥	المجازيب
	معمل الزيوت والصابون	١٦٤	المواساة
	معامل السكة الحديدية	١٦٥	مأوى العجزة
	معمل الصابون = معمل الزيوت		
١٦٥	معمل الكحول	١٦٥	مصنع الخزف والزجاج
١٦٦	معامل الكهرباء	١٦٥	معمل الأقفال والمفاتيح
١٦٥	معمل الكونسروة	١٦٦	معمل التبريد
١٦٥	معمل اللفائف	١٦٥	معمل الثقاب
١٦٥	معمل شركة المغازل والمناسج	١٦٥	معمل الثياب

٩ - متنزعات الغوطة

٥٣، ٥٢	الجبهة	٥٣	الباسطية
٢٢٤، ٥٣	جسر ابن شواس	٥١	البلكي
٥١	جسر الغيضة	٢٢٤	البهنسية
٥٣، ٥٢	الجنك	٦١، ٥٤	بيت لهيا
		(وانظر فهرس القرى الدائرة)	
٥٨، ٥٢	الخلخال	٢٥٥	بين النهرين
٥٣	الحميسيات	٢٥٥	تحت الطارمة
٥٣، ٥٢	الدف	٥١	التخوت

٥٢	العدول	٦١،٥٠	دير مران
٢٥٥	العنابة	(وانظر فهرس الأديار)	
٥٢	قطبة	٦٧	الديلميات
٥٣	المرج الاخضر	٨٠،٧٥،٥٦،٥٢،٥١	الربوة
٥١	المرجة	(انظر فهرس القرى الدائرة)	
٥٢	المعشوق	٢٥٥	السبعة
٥٤،٥١،٥٠،٤٩	مقرا	٦٢،٥٤،٥١،٥٠،٤٩	سطرا
٧٥،٧٢،٦٩،٦٦		٧٥،٦٩	
(انظر فهرس القرى الدائرة)		(وانظر فهرس القرى الدائرة)	
٥٨	منبيع	٥٧،٥٤	السفح
٥١	ميدانا دمشق	٧٨،٧٣،٥٧،٥٤	السهم
٥٣	الميطور	٥٧	السهمان
٥٧،٥١	نصيب	٦٢،٥٣،٥١	الشرف الاعلى
٢٢٤،٦٩،٦٧	النيربان	٧٦،٥١	الشرفان
٥٧	وادي دمشق	٧٦،٧٢،٥١،٥٠،٤٩	الشقراء
٢٥٥	الوادي التحتاني		
٢٥٥	الوادي الفوقاني	٢٥٥	الصالحية
٧٦،٥٣	وادي النيربين	٥٢	العاشق

١٠ - القرى الدائرة، والمزارع، والخرائب، والأرضون، والفنادق

٢٠٠	أرض أبان	٢٠٠	الارجام
٢٠١	أرض التل	٢١١،٢٠١،٢٠٠، ١٨٥	اوزونا
٢٠١	أرض التلول	٢٠١، ٢٠٠، ٥٤، ٢٣	ارزة
٢٠١	أرض التلة	٢٥٦، ٢٤١	

٢٠٧، ٢٠٣، ١٨٥	ارض الخامس	٢١٦، ٢٠٨
٢٤٠، ٢٣٢، ٢٢٢	ارض الحرامة	٢٠١
٢٥٣	ارض داريا	٢٥٦
٢٥٣، ٢٠٤	ارض الدير	٢٠٩
١٤٤، ٥٥، ٢٢	ارض الطاقة	٢٠١
٢٤٣، ٢٠٤، ٢٠٣	ارض عاتكة	٢٣٠
٢٥٣	ارض عتيق	٢٥٦
٢٥٣، ٢٠٤، ٢٠٣	ارض المزرعة	٢٥٦
١٨٥، ١٤٤، ٥٥	اشفانية	٢٠٢
٢٥٣، ٢٠٤	الأكوخ	٢٠٢
١٢٦، ١٢٥، ٧٦	اناكس	٢٠٢
٢٠٠، ١٩٤، ١٤١	اوتايا	١٧
٢١٣، ٢١٢، ٢٠٤	الاوزاع	٢٠٢
٢٢٩، ٢٢٢، ٢١٦	باقطايا	٢٥٥
٢٤٠	بج حوران	٢٠٢
٢٠٥	برتيا	٢٠٢، ٢٠٠، ١٢٥
٢٥٣، ٢٠٥		٢١٠، ٢٠٩
٢٥٣، ٢٠٥	البرج	٢٥٣
٢٠٥	بستان الناعمة	٢٥٤
٢٠٦	بسطرا	٢٥٥، ٢٠٣
٢١٤	بيت الآبار	١٢٦، ١٢٥، ٢٢
٢٠٦		٢٠٤، ٢٠٣، ١٣٩
٢٠٦	تل سوجق	٢١٦، ٢١٤، ٢١٣
٢٠٦	تل القروء	٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٤
٢٠٥، ٥٥	تلفيئا	٢٢، ٥٤، ٧٥
٢١١	التكة	
	بيت رانس	
	بيت سابا	
	بيت قوفا	
	بيت لهيا	
	بيت ماراس	
	بيت والي	
	بيت وانة	
	تل	
	تل الاحمر	
	تل الثعالب	
	تل الحفارة	
	تل سوجق	
	تل القروء	
	تلفيئا	
	التكة	
	بيت أبيات	

٢٥٦ ، ٢٣٩ ، ٢١٠	خولان	٢٠٦	تل هجون
٢١٠	داريا الصغرى	٢٠٦	تلة باب الشرقي
٢٠٨ ، ١٨٥ ، ١٢٥	داعية	٥٠٦	تلة البيرة
٢١٦ ، ٢١٠		٢٠٦	توماء
٢٥٤	الدارة	٢٠٧	الشمودية
٢١١ ، ٢٠٠	الداودية	١٤٥ ، ١٢٥ ، ٧٨	جديا
٢٥٤	الدراجية	٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ١٩٣	
٢١١	دف الحجر	٢٥٦	الجبسورة
٢٠٠ ، ١٨٥ ، ١٤٥	دقانية	٦١	جمرايا
٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩		٢٠٧	جورة عطاء
٢١١	الدكة	٢٠٧	الجورتان
٢٥٤ ، ٢١١	الدواسة	٢٠٨	الحارثية
٢٣٩ ، ٢١١	الدوير	٢٠٩	حجرا
٢١١	الدويلعة	٢٠٨	الخرجية
٢١١ ، ٦٧	الديلميات	٢٠٨ ، ١٢٥ ، ٢٥	حردان
٢١١ ، ٢٠٠	الديوانية	٥٢٢ ، ٢١٤ ، ٢٠٨	حرلان
٢١٢	راوية	٢٣٩	
٢٥٤ ، ٢١٢	الراهب	٢٠٩	الحلاج
٢١٢	الربوة	٢١٦ ، ٢٠٨ ، ٥٥	حلفبلتا
٢٥٥	زراعة الضعك	٢٠٨	حمتا
٢١٢	الزعفرانية	٢٠٩ ، ١٤٤	الخميريون
٢١٢	الزعيزعية	٢٠٩ ، ٢٠٠ ، ١٨٥	حوارة
٢١٢	زملكان	٢٢٣ ، ٢١٠	حور تعلا
٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٠	زينون	٢١٠	الخربة
		٢١٠	الخزرج

٢١٥	الطيرة	٢١٢	ساجد
٧٩	الطواحين	٢١٣	سام
٢١٥	عالية	٢١٣	سبعين
٢١٦	العب	٢١٣، ٢٠٠	سريتين
٢١٦	العبادية	٢١٣	السطح
٢٥٤	العصرونية	٢١٣، ٢٣، ٦٣	سطرا
٢١٦	العطارة	٢١٠، ٧٨، ٢٠٢	
٢٥٤	علية	٢١٠	
٢١٧، ٢٠٠	العمادية	٢١٨، ٢١٣، ٢٠٠	السفليون
٢٣٥، ٢١٦	العنابة	٢١٣، ٢٠٩، ٢٠٠	سلطايا
٢١٥	عويلية	٢١٤	
٢٥٤	العوينة	٢١٠، ٥٤	سيلون
٢٥٥	غیضة السلطان	٢٠٢	شعبان
٢١٦	فتريس	٢١٤	الشقيري
٢١٦، ٢٠٤، ١٤٤	فذايا	٢١٤	الشماسية
٢٢٥، ٢١٧		٢١٤	الشماسيات
٢٠٢	الفراديس		
٢١٧	فطم التلة	٢١٤، ٢٠٢	الصدف
٢٥٣	فندق ابن العبادة	٢١٤، ٢٠٩، ٢٠٠	الصفوانية
٢٥٣	فندق الراهب	٢١٤، ١٤٤، ٢٢	صنعاء دمشق
٢٥٣	بني عبد المطلب	٢١٥	
٢٥٣	الفارقي	٢١٥	الصويطي
٢٥٤	الفنيدق		
٢١٧	القابون	٢١٥، ٢٠٠، ١٤٥	طرميس
٢١٧	قرحتا	٢١٨	

٢٢١	المنزة	٢١٧	قردي
٢٢١	مصطبة السلطان	٢١٧	قرية سيدي مدرك
٢٢٢ ، ٢٠٠	المصيصة	٢١٧	القدم
٦٣ ، ٦١ ، ٢٥ ، ٢٣	مقرى	٢١٨	قصيان
٧٩ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٦٦		٢١٨	قطيعة
٢٢٢ ، ٢٠٢		١٧	قلايا
٢٢٢	منازل بني رعين	٦٣ ، ٦٢ ، ٥٥	قلبين
٢٢٢	ميدعا	٢١٨ ، ٢٠٠ ، ٧٨	
٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٦٣	ميطور	٢١٨	القوينصة
٢٢٣ ، ٧١ ، ٦٢	الماطرون	٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٤٤	قينية
٢٤١ ، ٢٤٠			
٢٢٣	النحاسية	٢١٩	كوكب
٢٢٣	نصيب	٢٥٥	كفر مدير
٢٢٣	النمرانية		
١٩٣ ، ١٤٤ ، ٦٣	النيرب	٢١٩ ، ٢١٥	اللؤلؤة الكبرى
٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ١٩٤		٢١٩ ، ٢١٥	لؤلؤة الصغرى
٢٣١		٢٢٣ ، ٦٢	الماطرون
٧٦ ، ٧١ ، ٦٧	النيربان	٢٢٠ ، ٢٠٠	المأمونية
٢٢٤ ، ٢٢٣		٢٢٠	مجيرد
٢٢٥	الهلالية	٢٢٠	المرج
٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٦٩	الواديان	٢٢٠ ، ٢٠٢	مرج الاشعريين
٢٢٥	وادي مكرم	٢٢١	مزرعة بيت حمادة
٢٢٥ ، ٢١٧	واسط	٢٢١	مزرعة حاروش
٢٢٥	يعقوبا	٢٢١ ، ٢٢٠	الميادين

١١ - المدارس والخوانق والزوايا

١٥٨	الزاوية الداودية	١٥٩	تكية السلطان سليم
١٥٨	الدينورية	١٥٩	تكية السلطان سليمان
١٥٨	الدينورية الشيخية	١٥٥	الخانقة الاسكافية
١٥٨	السيوفية	١٥٥	الباسطية
١٥٩	العدوية	١٥٦	الحسامية
١٥٨	العمادية	١٥٦	الخانونية
١٥٨	الغسولية	١٥٦	الشبلية
١٥٨	الفقاعية	١٥٦	الطاحون
١٥٨	الفرثية	١٥٦	الطواويسيه
١٥٨	القوامية	١٥٦	العزبه
١٥٨	اليونسية	١٥٦	الكبيجانية
١٥٠	المدرسة الأتابكية	١٥٧	المجاهدية
١٥٠	الأسدية	١٥٧	الناصرية
١٤٩، ٢٩	الاشرفية البرانية	١٥٧	اليونسية
١٥٠	الاسعردية	١٥٧	رباط التكريتي
١٥٠	الابجدية	١٥٧	رباط ابن عربي
١٥٠	الامدية	١٥٧	رباط الفقاعي
١٥١	البدرية	١٥٧	الزاوية الأرموية
١٥٠	البهنسية	١٥٧	الأرموية الشرفية
١٥٣	الجاموسية	١٥٧	الحريرية
١٥١	الجمالية		

١٥٢	المدرسة العلمية	١٥١	المدرسة الحاجبية
١٥٤	العمرية //	١٥٥	الحافضية //
١٥٢	الفرخشاوية //	١٥١	الحاتونية //
١٥٢، ١٤٩	القلانسية //	١٤٨	الدلامية //
١٥٥	اللبودية //	١٥١	الركنية //
١٥٢	الماردانية //	١٥١	الشبلية //
١٥٢	المعظمية //	١٤٩	الصابونية //
١٥٣	المقدمة //	١٠٣	الصاحبة //
١٥٣	المنجكية //	١٥٤	الضيائية المحمدية //
١٥٣	الميطورية //	١٥٤	الضيائية المحاسنية //
١٤٩	الناصرية //	١٥٠	الظاهرة البرانية //
١٥٤	النقشبندية //	١٥٤	العالمية //
		١٥٢	العزية البرانية //

١٢ - القصور

٢٢٩	قصور الشرفين	٢٢٦	القصور
٢٢٩	قصر صاري بك، حسين	٢٢٦	القصور
٢٢٩	قصر الصفوري	٢٢٦	القصر الأبلق
٢٣٠	قصر عاتكة	٢٢٨	قصر تنكز
٢٣١	قصر العادل	٢٢٨	قصر حجاج
٢٣١	قصر ابن عمر	٢٣٠، ٢١١	قصر خمارويه
٢٣١	قصر الفقراء	٢٢٨	قصر الدهشة
٢٣٢	قصر كريم الدين	٢٢٨	قصور الزبوة
٢٣٢، ٢١٠	قصر البباد	٢٢٩	قصور السكسكي

٢٣٤	قصر يزيد	٢٣٣	قصر المأمون والمتوكل
٢٣١	جوسق الرئيس	٢١٣	قصور المرجة
٢٣١	جوسق العادل	٢٣٤	قصر الملوک
٢٣١	جوسق ابن الفراش	٢٣٤، ٥٣	قصر منجك

١٣ - الأديار والكنائس

٢٣٩	دير داريا	٥٦	دير البالسي
٢٣٨	الرهبان	٢٣٦	بجدل
٢٣٩	سابر	٢٣٧، ٢٣٦، ٢٥٠	بشر
٢٣٨	الساعة	٢٣٧	بطرس
٢٣٩	سمعان	٢٣٧	البقر
٢٣٨	صليبا	٢٣٦	ابن أبي أوفى
٥٦	العصافير	٢٣٩	ابن عصرون
٦٢	قانون	٢٣٨، ٢٣٧	بولس
٢٤٠	قيس	٢٥٧	تاودورس
٢٤٠	اللباد	٢٣٧	حرمة
٢٤٠	مار الياس	٢٣٨، ٢٢٢	الحكيم
٢٤١	الماطرون	٢٣٨	الخميري
٢٤٣	متى	٢٣٨	الحنابلة
٢٤١	محمد	٢٤٣، ٢٣٨	حنينا
١٦١، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٠	مران	٢٣٨	الخوراني
٢٤٣، ٢٤٢، ٢٣٠، ١٨٧		٢٣٧	خالد
		٢٣٩، ٢٠٣	خليل

٢٤٣	دير يثة	٢٤٣، ٥٦	دير النواطير
٢٤٤، ٢٤٣	يونا =	٢٤٣، ٢١٣، ٢٠٣	هند =

١٤ - الأعلام

ابن حبيب ٢٣٠	أبان بن مروان ٢٠٠
ابن الحرستاني ١٤٢	ابراهيم باشا ١٩٨، ١٩٧، ١٠٦
ابن حمدان ، أبو المطاع	ابراهيم بن غنائم ٢٢٧
ابن حمدان = سيف الدولة	ابراهيم الكجيجاني ١٥٦
ابن حمدان = وجيه الدولة	ابراهيم بن مبارك شاه الأسعري ١٥٠
ابن حيّوس ٥٠	٢٢٨، ١٥٦
ابن خداويردي ٢٢٣	ابراهيم بن الوليد الخلوع ٢٣٠
ابن خطيب داريا ٤٩	ابن الأثير ١٢٨
ابن خلكان ٢٠٢، ٤	ابن اسكاف = علي بن عبد الرحمن
ابن الحياط ٢٢٠، ٩٤	ابن اياس ١٩
ابن الداية = بدر الدين	ابن أبي أوفى ٢٣٦
ابن دراج = عبد الله	ابن أبي حصينة ٩٤
ابن دلامة ١٤٩	ابن أبي سرح = عبد الرحمن
ابن الدهان ٧٢	ابن أبي العجايز ٣
ابن راشد الخولاني ١٣٦	ابن بيهس ١٨٧
ابن رباب المعقلي ٣١	ابن تغري بردي ٢٣١، ٢٣٠
ابن الساعاتي ٢٢٤، ٥٧، ٥٠، ١٢	ابن تميم ٥١
ابن شاكر ٢٣٨، ٢٢٨، ٢٢٦، ٢١٩	ابن ثعلبة ١٣٦
ابن شداد ٢٠، ١٩	ابن جبير ٢١٥
ابن شواس ٢٢٤، ٥٣	ابن جماعة ٢٢٨
ابن الصايغ ٧٥	ابن الجوزي ٢٠٢، ١٣٣

ابن القيسراني ٢١٧	ابن الصمصامة ٢٠٤
ابن كثير ٢٨، ١٣٥	ابن طولون ٤، ١٤، ١٥، ٢٠،
ابن كنان ٢٣٨	٣٣، ٥١، ٥٢، ٥٤
ابن لؤلؤ الذهبي ٢٢٤	٢٠٢، ٢٠٤، ٢١١،
ابن مرّة ١٣٧	٢١١، ٢٢٦، ٢٢٧،
ابن المنجا ٢٣، ٢٠٥، ٢١٣	٢٢٨
ابن المقدم = شمس الدين	ابن عباد ٢١٥
ابن منقذ ٦٤	ابن عبد الرزاق ٢٣١
ابن منير الطرابلسي ١٢، ٦١	ابن عبد الهادي ٤، ٩٥، ١٦٢،
ابن المهنا ٣	٢٠٣، ٢٠٨، ٢١١،
ابن النشو ٢٢٨	ابن العديم ٧٠
ابن يغمور ١٥٣	ابن عربي ١٥٧، ١٦٤،
ابو أدريس الحولاني ١٣٥، ١٣٦	ابن عساكر ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،
ابو البقاء الصفوري ٢٢٩	٢١٧، ٢١٨، ٢٢٨،
ابو بكر الدينوري ١٥٨	٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٠،
ابو بكر الصديق ١٥٨	٢٥٥، ٢٥٦،
ابو بكر بن قوام ١٥٨	ابن عصرون ٢٣٩
ابو تمام ٧١	ابن العماد ٤، ١٤٢، ٢٠٢،
ابو جعفر المنصور ١٣٢	ابن عنين ١١، ٦٦، ٢١١،
ابو الدوداء ١٣١	ابن الفراش ٢٢٢، ٢٣١،
ابو سليمان الداراني ١٣٥، ١٣٧	ابن فضل الله ٤، ٦٧، ٢٢٧،
ابو شامة ٤، ٢٣١	٢٣٩، ٢٤٤،
ابو عبيدة بن الجراح ٩٩، ١١١،	ابن قاضي شبة ١٥٠، ٢٢٨،
٢٣٧	ابن قتبية ٢٣٧
ابو العميّطر ١٨٦	ابن القلانسي ٢١٦، ٢٣٧،
ابو قلابة الجرمي ١٣٧	ابن قوام = أبو بكر
ابو كثير المحاربي ١٣٧	ابن قيس الرقيات ٢٧

الاعور الكلبي ١٠١
 الاكرمي ١١٤
 آل سرسق ١٠٦
 آل الصواف ٢٠٤
 آل مردم بك ٢٢٠
 ام الحجاج بن عبد الملك ٢٢٨
 الأجد = بهرام شاه
 امة اللطيف بنت الناصح ١٥٤
 ام مسلم الحولانية ١٣٧
 الاوزاعي ٢٠٢
 ايدمر الظاهري ١٥٦
 اينال الحاجب ١٥١
 الببغاء الشاعر = عبد الواحد
 البحتري ٦٠، ٤٩
 بدر الدين ابن الداية ١٥١
 بدر العطار ١٢٦
 البصري ٤٧، ٥١، ٥٧، ٥٨،
 ٢٣٤، ٢٢٤
 بشر بن مروان ٢٣٦
 بطرس ٢٣٧
 بكر بن زرعة ١٣٧
 البكري ١٥، ٢٤١
 البكري الصابوني = احمد بن سليمان
 البلاذري ١٣
 بلال الحبشي ١٣٥، ١٣٦

ابو مسلم الحولاني ١٣٧، ٢١٠
 ابو المطاع ابن حمدان ١١
 ابو المغيث ١٨٧
 ابو نواس ٧٠، ١١
 ابو الهيثام ١٣٢، ١٨٥، ١٨٦،
 ٢٠٣، ٢١٨، ٢٥٦
 ابو الورد ١٨٥
 ابي ١٩ بن كعب
 احمد حمدي الحياط ٩٨
 احمد بن سليمان الصابوني ١٤٩
 احمد شوقي ٨٠
 احمد بن هارون ١٢٦
 الاختل ٦٦
 اخو ابي الهيثام ١٨٥
 ادريس بن ادريس ١٣٧
 الاربلي = مجد الدين
 الارهوي = عبد الله بن يونس
 الازهري ١٥
 اسد الدين شيركوه ١٠٥
 الاسدي ١١٦
 اسعد افندي ١٠٥
 الاسعدي = ابراهيم
 اسماعيل المحاسني ١٩١
 الاسود بن بلال ١٣٦، ١٣٧
 اسود بن اصرم ١٣٦

الجرمي = أبو قلابه
 جريز ٢٠٥، ٢٣٧، ٢٣٨
 الجلباني = عبد المنعم
 جيش ١٨٨
 حافظ ابراهيم ١٣٠
 الحجاج بن عبد الملك ٢٢٨
 الحجاج بن يوسف ٢٢٨
 الحراني = بن بصل
 حرملة بن الوليد ٢٣٧
 حرملة، الشيخ ٢١٥
 الحريري = علي
 حسان بن ثابت ١٣، ٥٩
 حسين صاري بك ٢٢٩
 الحسين بن عمار ١٢٣
 حظ الخير، خاتون ١٥٢
 حفص بن عمر ١٠١
 حكم بن عبد الله ٢١٨
 حكمة شيخ الارض ١٠٦
 الحلبي = عون الدين
 حمدون السلمي ١٨٥
 حمزة بن اسد ابن القلانسي ١٤٩
 حمزة بن القاسم ٢٤١
 حمزة بن محمد ١٥٥
 الحميري ٢٣٨
 حنينا ٢٣٨، ٢٤٣

بلال بن أبي الدرداء ١٣٥، ١٣٦
 بلال بن سعد ٢٠٣
 بنت معين الدين خاتون ١٥٦
 بنت الناصح الحنبلي = أمة اللطيف
 بنو المؤيد ١٥٢
 بهرام شاه ١٥٠
 بولس ٢٣٧
 بويرس، الملك الظاهر ١٠٤، ١١٣،
 ١١٤، ١١٥، ١٢٧
 بيت حماده ٢٢١
 التاج السبكي ١١٦
 التاج الكندي ٢٣١
 التكريتي، تقي الدين ١٤٩
 التكريتي = محمد بن علي
 التلمساني = شهاب الدين
 تميم بن عطية ١٣٧
 تنكز ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٥
 التنوخي الصوري = عبد الرحيم بن
 المحسن
 توفيق بن محمد الزنجوي ٥٠
 توما ٢٠٧
 تيمورلنك ١٩٤، ٢٢٧
 ثابت بن سعيد المحاربي ١٣٦، ١٣٧
 جرجة بن قعره ١٢٣

داود بن مروان بن الحكم ٢١١
 دقاق = الملك ١٥٦، ١٥١
 دهمان = محمد
 دوستو ١٥ ، ٢٠٥
 الدويهي ٢٥٥
 الدينوري = ابو بكر
 = عمر بن عبد الملك
 محمد بن عمر
 ديوقلطيانوس ٢٠٥
 الذهبي ٤ ، ١٤٣
 الراعي ٥١ ، ٥٣
 الرافعي = ابو المغيث
 ربيعة خاتون ١٥٣
 رجاء بن ايوب ١٨٧
 الرجيجي = سيف الدين
 رشأ بن نظيف ١٤٨
 الرشيد ١٢٣، ١٢٤، ١٨٥
 رشيد بن النابلسي ١١
 ركن الدين منكورس ١٥١
 ركن الدين الوهرائي ١٤٣
 روح بن زنباع ١٠٢
 زمرد خاتون ١٥١
 زنكي أبو نور الدين ١٥٤، ١٩٢،
 ١٩٣
 غ (٢٠)

حيدرة الكتامي ١٨٩
 خالد بن سعيد ٢٤٠
 خالد بن الوليد ١٣، ١٤، ٣١،
 ٢٣٨، ٢٣٧، ١٠٠
 خالد بن يزيد ٢١٤
 الحبيب ٧٠
 خضر الايوبي، الظاهر ٢٣١
 خضر العدوي ١٥٩
 خطلجة بنت ابراهيم ٢٢
 الخطيب = فؤاد
 خطيب بيت الآبار ١٣٩
 خطيب جامع بني امية ١٣٩
 خلف بن محمد ١٢٦
 خليل مردم بك ٨١
 خماروية ٤٩، ٥٠، ٢١١، ٢٣٠
 الحوارزمي ٥٩
 الحولاني = ابن رشد
 = ابو ادريس
 = عمر بن عبد الله
 الحباط = أحمد حمدي
 الداراني = ابو سليمان
 = سليمان بن حبيب
 درافيو ٣٣

الشاغوري = فتيان
 شاهنشاه بن أيوب ١٥٢
 شبل الدولة كافور ١٥١، ١٥٦
 شرف الدين ابن عثمان ١٥٧
 شمس الدين بن عطا ١٢٧
 شمس الدين ابن المقدم ١٠٢، ١٥٢
 شهاب الدين التلمساني ١٢٥
 الشواء الحلبي ٥٤
 شيخ الربوة ٤، ١٩، ٢٦، ٤٦، ٧٧
 شيرويه = أسد الدين
 صاحب جهان نما ٢٣٣
 صاحب الدارس ١٤١، ١٢٥
 وانظر النعيمي
 صاحب الفرج بعد الشدة ١٢٤
 صاحب القاموس ٢١٨
 صاحب نزهة المشتاق ٢١٩
 الصرخدي = تاج الدين
 الصفي بن القابض ٢٣٢
 صلاح الدين الايوبي = يوسف بن ايوب
 صلاح الدين المنجد ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٦
 ٢٥٥، ٢٥٨
 الصنوبري ٦١، ٢٤٢
 الضحاك بن رمل ٢٥٥
 الضحاك بن يزيد ٢٥٥

زوجة الملك الاشرف ١٥٠
 سالم بن عبد الله ١٣٥، ١٣٧
 سيرة بن فاتك ١٠٩
 سبط بن الجوزي ١٣٩، ١٤١
 السبكي = التاج
 سعد بن تميم ٢٠٣
 سعيد بن ابي سفيان ٢١٤
 سعيد بن عبد الملك ٢١٢، ٢٥٤
 سعيد بن عكرمة ١٣٦، ١٣٧
 سعيد بن يزيد ١٣٧
 سامة بن علي البلاطي ١٤٤
 سليم خان ١٥٧
 سليمان بن حبيب الداراني ١٣٥، ١٣٦
 ١٢٧
 سليمان بن داود ١٣٧
 سليمان بن ابي سليمان ١٣٨
 سليمان بن عبد الملك ١٢٣، ٢٣٠
 سليمان بن عتبة ١٣٧
 سليمان الحاسني ١٩١
 السمعاني ١٣٤
 السمساطي ٣
 سيف الدولة بن حمدان ١٠٤، ١٢٨
 سيف الدين الرجيجي ١٣٧، ٢٤٣
 سيف الدين منجك ١٥٢

عبد العزيز بن هاشم ١٢٦
عبد الغني النابلسي ٢٥٧
عبد القادر قويدر ١٤٧
عبد الله بن الحصين ١٢٣
عبد الله بن يزيد ١٣٥
عبد الله بن سلامة ٢٥٣
عبد الله بن عبد الرحمن ١٢٣ ، ١٣٧
عبد الله بن علي ١٢٢
عبد الله المقدسي ١٤٩
عبد الله المنجد ١٤٧
عبد الله بن يوسف الارموي ١٥٧
عبد الملك بن مروان ٩٤ ، ١٠١
١٣٦ ، ١٨٤
٢٠٠ ، ٢٢٨
٢٢٩ ، ٢٣٠
عبد المنعم الجلياني ٧٩
عبد الواحد البيضا ٢٤٢
عبد الواحد بن محمد ١٢٦
عتبة بن معاوية ٢٣٩
عثمان بن عبد الاعلى ١٣٧
العربيني = القطب
عرقلة بن جابر ٦٨ ، ٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
عز الدين ايبك ١٥٢
عز الدين بن عبد السلام ١١٣ ، ١١٤
العطار = بدر

الطرابلسي = ابن منير
طغتكين ١١٢ ، ١٩٢
ظالم بن موهب ١٨٨
الظاهري ٢٠٤ ، ٢٥٤
عاتكة بنت يزيد ٢٣٠
عامر بن الحصين ٣١
عامر بن شراحيل ١٣٧
عائذ بن عبد الله ١٣٥ ، ١٣٦
عبد الباسط بن خليل ١٥٥
عبد الجبار بن عبد الله الحولاني ١٣١
عبد الرحمن بن احمد ١٣٧
عبد الرحمن الجرشى ١٣٢
عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود ١٥٨
عبد الرحمن بن خطيب داريا ٢٤٠
عبد الرحمن بن ابي سرح ٢٠٧
عبد الرحمن بن ابي سفيان ٢١٣
عبد الرحمن بن سليمان ١٣٧
عبد الرحمن العمادي ١٣٥ ، ١٣٦
عبد الرحمن بن ابي كبيرة ١٣٧
عبد الرحمن بن يزيد ١٣٥ ، ١٣٦
١٣٧
عبد الرحيم بن صالح ١٣٨
عبد الرحيم بن المحسن التنوخي ٦٩
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الوليد ١٢٣ ،
٢٣٢ ، ٢٣٤

غازان ١٩٤
غازي ، الملك الظاهر ١٥٠
الغسولي = محمد بن ابي الزهر
غيلان الدمشقي ١٣٨
الفرنثي = علي
فروخشاہ بن شاهنشاه ٢٢ ، ١٥٢
الفقاعي ١٥٣
فؤاد الخطيب ٨٤
الفيروز آبادي ٢١ ، ٢٢
القاسم بن زياد ٩٤
القاسم بن هران ١٣٧
القاضي الفاضل ٢٢
قبيصة بن ذؤيب ١٠٢
القرماني ٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩
القرويني ١٤
قسام الحارثي ١٨٩
قسطنطينوس ٢٠٥
القطب العربي ١٤٢
قلاوون ، الملك الاشرف ١٩٥
قنصل انكابترة بدمشق ١١٨ ، ١٩٨
القيراطي ٥٧٠
قيس الهلالي ١٨٦
القيمري ١٦٤
كافور = شبل الدولة

القطار - محمود
عطية بن سعيد ١٣٦
علم الدين سنجر ١٥٢
علي الحريزي ١٥٧
علي بن داود ١٣٨
علي بن عبد الرحمن ١٥٥
علي الفرنثي ١٥٨
العماد الكاتب ٦٣
العمادي = عبد الرحمن
عمر بن الخطاب ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٩
١٠٠ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٣١
عمر بن عبد العزيز ١٠٩ ، ١٣٥
١٣٦ ، ٢٤١
عمر بن عبد الله الحولاني ١٣٦
عمر بن عبد الملك الدينوري ١٥٨
١٣٧
عمرو بن الاسود ١٣٧
عمرو بن خير ١٣٧
عمرو بن سعيد الاشدي ١٨٤
عمرو بن شراحبلي ١٣٧
عمرو بن عبد ١٣٧
عمر بن مخلدة ٢٥٥
العمري = ابن فضل الله
عمير بن هاني ١٣٥ ، ١٣٧
عين البصل الحراني ٧٣
عيسى بن مهنا ٣٢

٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨

٢٥٦، ٢٣٢، ٢٢٢

محمد بن عبد الرحيم ١٢٣

محمد بن عبد الواحد ١٥٤

محمد عبده ١٤٦

محمد علي باشا ١١٨، ١٩٧

محمد بن علي التكريتي ١٥٧

محمد بن عمر الدينوري ١٤٣

محمد بن عمرو السكسكي ٢٢٩

محمد بن قلاوون ١٥٢

محمود بن زنكي ١٠٤، ١١٢، ١٤٠

١٥٦، ١٥١، ١٥٠

٢٣١، ١٩٢

محمود العطار ١٤٧

مدرك بن زياد ٢١٢، ٢١٧

مراد المرادي ١٥٤

المرادي = مراد

مروان بن الحكم ١٨٤، ٢٣٠

مروان بن محمد ١٨٤

المزني، الحافظ ١٤٢

المسعودي ١٣٨، ٢٣٣

مسلم بن هبة الله ٦٥

مسلمة العدل ١٣٧

مشجعة بن التيم ١٤

مضر بن العلاء ٢١٧

الكججاني = ابراهيم

كشاجم ٢٤١

كشميلين ٢١٩

كعب بن حامد ١٣٧

كلثوم بن زياد ١٣٧

كمشكين ٢١٩

كناز الغنوي ٢٠٤

الكناني = ابن منقذ

كيوان ١٠٥

اللبودي = يحيى

المأمون ٢٨، ١٦٠، ٢١٤

٢٤٢، ٢٣٣

المتوكل ٢٣٣، ٦٠

مقي ٢٤٣

مجد الدين الاربلي ٧٣

المحاري = ابو كثير

محاسن، ضياء الدين ١٥٤

المحيي ١٢، ١٣٢

محمد بن ابي الزهر الغسولي ١٥٨

محمد بن ابي طالب ١٤٣

محمد بن ابي يعلى ١٨٨

محمد بهجة البيطار ١٤٧

محمد بن الحجاج ١٣٧

محمد بن خالد ١٢٦

محمد وهمان ١٤٧، ٢٠٢، ٢١٥

الهلاقي = قيس

هند ٢٤٣

الوائقي ١٨٧ ، ٢٤٢

الواساني ٦١

الوداعي ١٩٥ ، ٥٢

الوليد بن أبان ٢١٨

الوليد بن عبد الملك ٢٣٠ ، ٢٣٧

الوليد بن يزيد ١١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤

ياقوت ٣ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣

٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٦٢

٢٣٠ ، ٢٢٣ ، ٢١٦

يحيى بن حمزة ١٤١

يحيى ابن البودي ١٥٥

يزيد بن أسلم ١٢٣

يزيد بن أبي سفيان ١٣١ ، ٩٤ ، ٢٠٧

يزيد بن خالد القسري ١٨٤

يزيد بن عبد الملك ٢٣٠

يزيد بن معاوية ٦٢ ، ٦٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤

٢٣٤ ، ٢٣٠ ، ١٣٥

٢٤٠ ، ٢٣٦

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٣٨ ، ٢٣٠

يزيد بن يزيد ١٣٧

المعقوبي ٣١

الميلداني ١٤٢

معاوية بن أبي سفيان ١٢٩ ، ١٨٥

٢٣٠ ، ٢٢٣

معاوية بن طويح ١٣٧

معاوية بن يزيد ٢٣٠

معيوف ١٨٥ ، ٢٠١

المقدسي = عبد الله

المقدسي = محمد بن عبد الواحد

مكسيانوس ٢٠٥

منارة ١٢٤

المنجد = صلاح الدين

المنجد = عبد الله

منجك الابن ٥٣

منجك الاب ٥٣ ، ٥٨ ، ٢٣٤

منجك = سيف الدين

المنصور العباسي ١١٢

منكورس = ركن الدين

الموصلي = ابن الدهان

النايفة ١٤ ، ٢٨

النجار ١٩٦

النعمان بن المنذر ١٣٧

النعميني ٢٠٢

نمران بن يزيد ٢٢٣

النواجي ١٦٢

النووي ١١٥

هشام بن عبد الملك ١٣٥ ، ٢٣٠

يوسف ابن الملك العزيز الايوني

يثة ٢٤٣

١٥٧ ، ١٤٩

يوسف بن أيوب ١٠٢، ٧٠، ٦٣، ٢٢

٢٤٤ ، ٢٤٣ يونا ، يوحنا

١٣٨ ، ١١٢ ، ١٠٥

١٥٧ يونس الدوا دار

١٩٢ ، ١٥٣ ، ١٤٠

١٥٨ يونس بن يوسف القني

٢٣١ ، ٢٣٠ ، ١٩٣

٢٣٢

١١	١٠٢ ، ٧٠ ، ٦٣ ، ٢٢	يوسف بن أيوب
٢١	١٣٨ ، ١١٢ ، ١٠٥	يونا ، يوحنا
٢٢	١٩٢ ، ١٥٣ ، ١٤٠	يونس الدوا دار
٢٣	٢٣١ ، ٢٣٠ ، ١٩٣	يونس بن يوسف القني
٢٤		
٢٥		
٢٦		
٢٧		
٢٨		
٢٩		
٣٠		
٣١		
٣٢		
٣٣		
٣٤		
٣٥		
٣٦		
٣٧		
٣٨		
٣٩		
٤٠		
٤١		
٤٢		
٤٣		
٤٤		
٤٥		
٤٦		
٤٧		
٤٨		
٤٩		
٥٠		
٥١		
٥٢		
٥٣		
٥٤		
٥٥		
٥٦		
٥٧		
٥٨		
٥٩		
٦٠		
٦١		
٦٢		
٦٣		
٦٤		
٦٥		
٦٦		
٦٧		
٦٨		
٦٩		
٧٠		
٧١		
٧٢		
٧٣		
٧٤		
٧٥		
٧٦		
٧٧		
٧٨		
٧٩		
٨٠		
٨١		
٨٢		
٨٣		
٨٤		
٨٥		
٨٦		
٨٧		
٨٨		
٨٩		
٩٠		
٩١		
٩٢		
٩٣		
٩٤		
٩٥		
٩٦		
٩٧		
٩٨		
٩٩		
١٠٠		

فهرست عام

٣	:	كتاب الغوطة
٦	:	مصادر الكتاب
١١	:	الفصل الاول
١٩	:	الفصل الثاني
٢٦	:	الفصل الثالث
٣١	:	الفصل الرابع
٣٤	:	الفصل الخامس
٤٢	:	الفصل السادس
٤٩	:	الفصل السابع
٥٩	:	الفصل الثامن
٨٨	:	الفصل التاسع
٩٣	:	الفصل العاشر
٩٩	:	الفصل الحادي عشر
١١٠	:	الفصل الثاني عشر
١٢٢	:	الفصل الثالث عشر
١٣١	:	الفصل الرابع عشر
١٤٨	:	الفصل الخامس عشر
١٦٠	:	الفصل السادس عشر
١٦٩	:	الفصل السابع عشر
١٨١	:	الفصل الثامن عشر

١٩٩	القرى الدائرة	:	الفصل التاسع عشر
٢٢٦	القصور والجواسق الدائرة	:	الفصل العشرون
٢٣٦	الديورة الدائرة	:	الفصل الحادي والعشرون
	وحي الغوطة	:	الفصل الثاني والعشرون
٢٥٣		:	مستدركات
٢٥٨		:	خاتمة
٢٥٩		:	الفهارس
٢٩٠		:	تصويبات

تصويبات

ص ١٦ س ٤	تسقيها - تسقيها .
٢٠ = ١٦	البويضة من قرى الغوطة لا المرج .
٢٠ = ١٨	البرية - الابرشية .
٢٣ = ٢	أضف قرية سقبا
٢٣ = ٦	عين ترما ، عين ترمي - عين ثرماء ، عين ثرمي .
٣٢ = ٧	آل رجال
٥٥ = ٩	منتزهين من منتزهات - منتزهين من منتزهات .
٦٣ = ١	بالخذقونة - بالخذقدونة . وفي س ١٢ قلبي - قلب وفي
	س ١٥ الخذقونة - الخذقدونة .
٧٠ = ١٦	والغيطتين - والغيطتين
٧٨ = ٦	بالمنيع - بالمنيع
٧٩ = ١٤	اجتبوا - اجتبوا
١٠١ = ١٥ و ١٦	صنيعة - ضيعة . الصنيعة - الضيعة .
١٠٣ = ١٠	صنعه - وضعه
١٠٨ = ١	واحى - واحيا و س ١٠ الايوبيين - الامويين و ١٨
	يخيف الظلم - يحيق الظلم .
١١٢ = ٢	عما قرب - بما قرب و ٤ وما - وما .
١١٥ = ٥	للملوك الشراكسة - للملوك الشراكسة .
١٢٧ = ٣	قراه - قرى .
١٢٨ = ٥ و ٩	افحمت عبارة ابن الاثير هنا وقد جاء معناها في ص ١٠٤
	س ٤ و ٥ و ٦ .

- ص ١٣٩ س ٩ تعني - تعنى .
- ١٤١ = ١١ يرمى - يرمى .
- ١٥٨ = ٩ تحذف « ابن العماد » .
- ١٥٨ = ١٦ القني - القيني .
- ١٦٠ = ١٠ الى معسكره - من منين الى معسكره .
- ١٦٧ = ١ ابداع - من ابداع
- ١٧٨ = ١٧ اعتقد صلاح - اعتقد الغوطي صلاح
- ١٩٣ = ٥ ساد العدل - ساد السلام .
- ٢٠٢ = الاوزاع - الصدف قرب مقبرة الدحداح وراء الدور أو وراء بستان الدور .
- ٢٠٤ = ١٨ يغثون - يعثرون .
- ٢٠٧ = ١ حراجيجا - حراجيح
- ٢١٠ = ٤ حرث ثعلة - حرث ثعلة .
- ٢٢٢ = مقرى حقق دهمان موقعها : شرقي طاحونة الاشنان شمالي بيت ابيات .
- ٢٣٧ = ٨ دير الوليد — دير خالد بن الوليد
- ٢٤٠ = ٦ اسقني الكأس - اسقني الصهباء .
- ٢٤٩ = ٨ العره - القره
- ٢٥١ = ١ ربيع - ربيع
- ٢٥٥ = ١٢ مستلثم - مستلثم
- ٢٥٥ = ٩ مؤآزرا - مؤزرا





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS



